
بسم الله الرحمن الرحیم

طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة



الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

تنويه: إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول - الجزء التاسع.

الناشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: نسخة للنشر الإلكتروني.

سنة النشر: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

التصميم والإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.




قراءات معرفية في رحاب الغدير

وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول

الذي أقامته

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

في ٢٠ ـ ٢١/١١/٢٠٢٠ م

الجزء التاسع



مؤتمر الغدير العلمي العالمي
Al-Ghadir International Conference

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١ - ٢٣٤٢

مؤتمر الغدير العلمي العالمي (ال ١ : ٢٠٢٠ : كربلاء، العراق).
موسوعة وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول. – الطبعة الأولى. -- كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ = ١٤٤٢ للهجرة.
١٠ مجلد ؛ ٢٤ سم. --.
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – مؤتمرات. ٢. القرآن. سورة المائدة، آية ٣ (آية الغدير) – تفسير. ٣. حديث الغدير – مؤتمرات. ٤. الإمامة – مؤتمرات. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية. ب. العنوان.

ISBN: **978-9922-655-12-3**
BP193.1 . M83 2021

تمت الفهرسة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

١١- محور الدراسات الإجتماعية.

- سوسيولوجيا مجتمع الغدير.

- الغدير وإشكالية التعايش.

إمكانية استخدام التواصل الاجتماعي الإلكتروني في تعريف الطلبة بأهمية بيعة الغدير

أ. د. موفق عبد العزيز الحسناوي

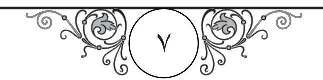
ملخص البحث:

تعد بيعة الغدير من اهم الأحداث الإسلامية التي اراد الرسول (صلى الله عليه وآله) من خلالها بوحي الله سبحانه وتعالى ان يرسم المسار الصحيح للمسلمين بعده ليكونوا في منأى عن الصراعات والفتن.

ولكن بيعة الغدير تعرضت الى الكثير من الاختلافات في التفسير لمعناها الحقيقي بين القبول والرفض عند المسلمين. ولازال هذا الاختلاف قائما وقد يكون من أسبابه الجهل بالهدف الحقيقي من البيعة او التعصب نتيجة للظروف التاريخية.

وعليه لابد من توعية المسلمين بأهمية بيعة الغدير ومعناها الحقيقي واهدافها من اجل توضيح الحقائق باستخدام التقنيات الإعلامية وشبكات التواصل الاجتماعي الالكتروني عبر شبكة الإنترنت لخلق المجتمعات التواصلية الافتراضية لتحقيق هذا الغرض.

ويهدف هذا البحث الى التعرف على امكانية استخدام التواصل الاجتماعي الالكتروني في تعريف الطلبة بأهمية بيعة الغدير.





وأختيرت عينة من الطلبة الجامعيين من اصدقاء الباحث على الفيس بوك وانشأت مجموعة مغلقة على برنامج الواتساب بينهم وبين الباحث.

وفي البداية تم اعداد اختبار يتعلق بمعلومات الطلبة عن بيعة الغدير وتم تطبيقه على عينة البحث. ثم قام الباحث بالتواصل مع الطلبة خلال هذه المجموعة لتزويدهم بمعلومات عن بيعة الغدير ومعناها واهدافها واهميتها ونتائجها واسباب الاختلاف في النظرة اليها لمدة مناسبة ثم اعيد تطبيق نفس الاختبار السابق على العينة وحللت نتائج التطبيقين.

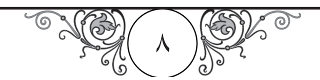
وتوصل البحث الى تفوق الطلبة في التطبيق البعدي للاختبار عما كانوا عليه في التطبيق القبلي. وهذا يشير الى امكانية استخدام التواصل الاجتماعي الالكتروني في تعريف الطلبة بأهمية بيعة الغدير. وخرج البحث ببعض التوصيات واقترح اجراء دراسات اخرى في هذا المجال.

الفصل الأول: أهمية البحث والحاجة اليه

اولا – مشكلة البحث:

يعد حديث الغدير من الأحاديث التاريخية المصيرية في تاريخ الرسالة الإسلامية والتي أدلى به رسول الله (صلى الله عليه وآله) في السنة الأخيرة من حياته المباركة وهو من الأحاديث التي تثبت إمامة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتوجب ولايته على جميع المسلمين بعد الرسول محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) بكل صراحة و وضوح.

وهذا الحديث الشريف يعد بيعة صريحة من قبل كل المسلمين لخلافة

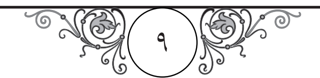


الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه و آله وسلم). حيث تعاهد عليه جميع المسلمين امام الرسول محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) في حياته.

ولكن الاختلاف حول تفسير ماهية هذا الحديث حدث بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) وتبنى هذا الاختلاف في التفسير اصحاب المصالح الدنيوية الضيقة الذين لايريدون تولي الإمام علي (عليه السلام) لمقاليد الحكم والامور بعد الرسول محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) لانه عليه السلام رجل نذر نفسه وحياته كلها للحياة الاخرة طويلة الامد وليس الى الحياة الدنيا الفانية القصيرة. وبذلك حصل الكثير من التشويه والتزييف لبيعة الغدير وتفسيرها خلال التاريخ الإسلامي.

ويعاني عدد كبير من المسلمين وخاصة من الطلبة والشباب من قصور واضح في معرفة الحقائق في التراث الإسلامي نتيجة عدم اطلاعهم عليه بشكل وافي اضافة الى التشويه والتعتيم وتكميم الافواه في العهود السابقة سواء كان ذلك بصورة مقصودة او غير مقصودة وكذلك الجهود الكبيرة والاموال الطائلة التي تبذلها ماكنة الدعاية الغربية المغرضة التي تحاول تشويه مباديء الرسالة المحمدية الحقيقية والأحداث الكبرى في الرسالة الإسلامية بوجود التطور الكبير في وسائل الاعلام والاتصالات الإلكترونية والمجتمعات الافتراضية التي أصبحت موجهه بشكل كبير ومقصود لتحقيق هذا الغرض.

لذا كان لابد من العمل على محاولة تعريف المسلمين وخاصة الطلبة





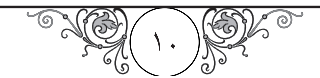
والشباب منهم على الأحداث الكبرى في الرسالة الإسلامية ومنها بيعة الغدير واهميتها ومحاولة وتعديل تصوراتهم نحوها أهمية وتحصينهم في مواجهة التأثير الكبير للحضارة الغربية الزائفة واهدافها المغرضة تجاه ابناء الشعوب الإسلامية والفكر الإسلامي الحقيقي.

وقد ارتأى الباحث الاستفادة من معطيات التطور العلمي والتكنولوجي من خلال استخدام شبكات التواصل الاجتماعي الالكتروني متمثلة ببرنامج الواتس آب عبر شبكة الإنترنت لغرض التواصل الالكتروني مع الطلبة الجامعيين لتعريفهم على بيعة الغدير واهميتها في الرسالة الإسلامية وبيان اهميتها ودورها الكبير في الحفاظ على مباديء الدين الإسلامي الحقيقة التي ارادها الله سبحانه وتعالى فيما لو تم الالتزام بتنفيذها بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) من اجل توضيح الحقائق لهم بصورة موضوعية بعيدة عن التطرف والتعصب من اجل جعلهم يعتزون بدينهم الإسلامي وحضارتهم الكبيرة.

ثانيا – أهمية البحث:

تعد بيعة الغدير من الأحداث الكبرى في مسيرة الرسالة الإسلامية فهي بحق قد مثلت موقفا كبيرا للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) امام الجموع الضخمة من المسلمين من شتى بقاع الارض في حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة النبوية الشريفة.

وهو يمثل حديثا متواترا رواه المحدثون واصحاب السيرة عن أصحاب

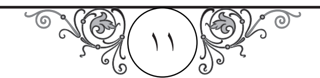


الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) وعن التابعين بصيغٍ مختلفة والتي تؤكد جميعها على إمامة أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) لكون اصل الحديث الشريف واحد وإن اختلفت بعض العبارات والمسميات. والذي تناقلته معظم المصادر الإسلامية مهما كانت توجهاتها وافكارها في كتب التفسير و الحديث و التاريخ.

ويمثل حديث الغدير احد الأحاديث المصيرية الكبرى التي أدلى بها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) في السنة الأخيرة من حياته المباركة. وهو يمثل احد اكثر الأحاديث صراحة ووضوحا التي تؤكد وجوب اتباع المسلمين كافة في مشارق الارض ومغاربها لولاية أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) و يثبت ولايته بعد ولاية الله تعالى وولاية الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) بصورة واضحة وصريحة.

وتأتي أهمية بيعة الغدير كونها تمثل خاتمة المطاف لاكتمال الرسالة الإسلامية. فلو لم يبلغ الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) المسلمين المجتمعين بعد حجة الوداع بحديث الغدير خوفا من المعارضة الشديدة من قبل البعض للولاية العامة لأمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) لما اكتمل الدين الإسلامي بصورته البهية التي نعرفها.

إن الله سبحانه وتعالى ذو تخطيط حكيم و كامل للكون اجمع ومنه الحياة البشرية والرسالة الإسلامية. وهو بذلك لايمكن أن يترك امامة الأمة الإسلامية وقيادتها بعد الرسول الكريم (صلى الله عليه و آله وسلم)



للمصلحة العامة للمسلمين بدون تخطيط مسبق حكيم ليبعد الأمة الإسلامية عن الانحراف والتزييف والانزلاق نحو الفتن والصراعات والتناقضات ويكون سبباً لإنحدار الرسالة الإسلامية واضاعة تضحيات ودماء المسلمون الاوائل في الحفاظ عليها ونشرها.

وقد تعرضت بيعة الغدير الى العديد من الدراسات والبحوث والنقد والتحليل من مختلف المراجع العظام والعلماء والباحثين ومن مختلف الطوائف والمذاهب الإسلامية لانها كانت بحق تمثل مفترق طريق بين الحق والباطل. وكان هناك اتفاق واضح بين الجميع على حقيقة النص مع اختلاف حول تفسير النص وتأويله.

ومن اجل توضيح الحقائق حو ل بيعة الغدير بصورة موضوعية وصادقة للمسلمين وخاصة من فئة الطلبة والشباب ينبغي العمل على تثقيفهم حول هذه البيعة واطلاعهم على اهميتها الكبيرة في الرسالة الإسلامية ودورها في حفظ المسار الصحيح لها عبر الاجيال باستخدام مختلف الوسائل المتاحة ومنها شبكات التواصل الاجتماعي الالكتروني عبر الإنترنت جاء هذا البحث.

ثالثا – أهداف البحث:

يهدف البحث الى التعرف على امكانية استخدام التواصل الاجتماعي الالكتروني في تعريف الطلبة بأهمية بيعة الغدير.

رابعا – حدود البحث:

يتحدد البحث بما يأتي:

١ – الحدود المكانية: عدد من الجامعات العراقية.

٢ – الحدود الزمانية: العام الدراسي (٢٠١٨ – ٢٠١٩).

٣ – الحدود البشرية: عدد من طلبة الجامعات العراقية.

٤ – الحدود المعرفية: مواضيع وأحاديث عديدة تتعلق ببعة الغدير وأهميتها في الرسالة الإسلامية تم تجميعها من المصادر التاريخية والدينية الموثوق بها والرصينة لغرض طرحها على الطلبة ومناقشتها معهم.

خامسا – فرضية البحث:

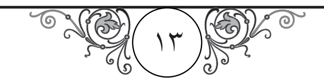
حاول البحث التحقق من صحة الفرضية الصفرية الاتية:

لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى معنوية (٠٠٥) بين متوسط درجات الطلبة عينة البحث في التطبيق القبلي للاختبار المتعلق بمعلومات الطلبة عن بيعة الغدير وبين متوسط درجاتهم في التطبيق البعدي لنفس الاختبار بعد انتهاء عملية التواصل الاجتماعي الالكتروني.

سادسا – تحديد المصطلحات:

١ – الاتصال الالكتروني (E – Commutation):

تعريف (براهمه وحديد ٢٠١٤): هو عبارة عن مجموع التقنيات او الادوات او الوسائل او النظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المحتوى المراد توصيله من خلال عملية الاتصال الجماعي او الفردي والتي يتم



من خلالها جمع المعلومات بمختلف انواعها من خلال اجهزة الحواسيب وتخزينها واستعادتها عند الحاجة ومن ثم نشر هذه المعلومات الاتصالية ونقلها من مكان الى اخر. (براهمه وحديد ٢٠١٤ ٣)

٢ - شبكة التواصل الاجتماعي الواتس آب (WhatsApp):

تعريف) ويكيبيديا الموسوعة الحرة في الانترنت(: هي عبارة عن تطبيق تراسل فوري محتكر متعدد المنصات للهواتف الذكية. ويمكن بالإضافة إلى الرسائل الأساسية للمستخدمين إرسال الصور والرسائل الصوتية والفيديو.) ويكيبيديا الموسوعة الحرة في الانترنت(

٣ - بيعة الغدير (Allegiance Alghadeer):

تعريف(ويكيبيديا الموسوعة الحرة في الانترنت):

عيد الغدير هو عيد إسلامي يحتفل به المسلمون الشيعة يوم ١٨ ذي الحجة من كل عام هجري احتفالًا باليوم الذي خطب فيه النبي محمد صلى الله عليه وآله خطبة عين فيها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مولى للمسلمين من بعده حسب نص الحديث. حيث يعتقد الشيعة بأن النبي محمد صلى الله عليه وآله قد اعلن ان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سيكون خليفة من بعده أثناء عودة المسلمين من حجة الوداع إلى المدينة المنورة في مكان يسمى غدير خم في السنة العاشرة للهجرة النبوية المباركة.

(ويكيبيديا الموسوعة الحرة في الانترنت)

الفصل الثاني: خلفية نظرية ودراسات سابقة

اولا - خلفية نظرية:

١ - بيعة الغدير:

تعد بيعة الغدير من الأحداث الكبرى في التاريخ الإسلامي والتي هدفت الى اكتمال الرسالة الإسلامية حيث كانت حدثا اسلاميا كبيرا اراد الله سبحانه وتعالى ان يخبر المسلمين كافة به ليتبين لهم الحق من الباطل. ويوجد هناك اتفاقا شاملا حول نص ومكان بيغة الغدير ولكن هناك اختلافا في تفسير ذلك النص بين عدد من الطوائف الإسلامية والعلماء.

ويحظى يوم البيعة في غدير خم بأهمية كبيرة خاصة عند المسلمين وذلك لأن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في طريق عودته من حجة الوداع في الثامن عشر من شهر ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة النبوية الشريفة توقف عند الغدير الذي هو مكان تجمع الماء في الصحراء ومنخفض يحط إليه السيل يقع بين مكة والمدينة ويبعد عن الجحفة مسافة ميل أو ميلين.

وفي هذا المكان خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) خطبة طويلة في عدد كبير من أصحابه والمسلمين ومن رافقه في رحلة الحج. وقد تضمنت هذه الخطبة عبارته الشهيرة (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) وتناقلت هذا الحديث الشريف جميع الروايات عند مختلف الطوائف الإسلامية من حيث صدق الحديث مكانا وقولا. ولكن الشيعة يعتقدون

بصورة راسخة لا تتزعزع بأن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) قد نصب الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) رسمياً خليفة وإماماً للمسلمين من بعده.

ويبين (النحوي) بان البيعة في الاصطلاح الإسلامي العام تعني كلمات تعبر عن نية وعزيمة على الوفاء والأداء. ويصحب ذلك بسط يد ومصافحة توثق ذلك كله ليتم العهد قلب بقلب ويدا بيد ومن هنا جاء التعبير (ولا تنزعوا يدا من طاعة). فالبيعة تعهد بالوفاء وتوثيق له. (النحوي ب. ت ١٠٧)

إن حديث الغدير حديث متواتر رواه المحدثون عن أصحاب النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) وعن التابعين بصيغ مختلفة تؤكد جميعها على إمامة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لكون الجوهر الأصلي فيه واحد وإن اختلفت بعض العبارات والتفسيرات.

وقد ذكر الشيخ الصدوق في الامالي ان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) قال يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره فيه بنصب أخي علي بن أبي طالب علما لأمتي يهتدون به من بعدي وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأتم على أمتي فيه النعمة ورضي لهم الإسلام دينا. (الصدوق ١٨٨- ١٩٧)

ان حديث الغدير فيه دلالة واضحة وصريحة على إمامة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للمسلمين باعتباره المرشح الوحيد لتسلم زمام

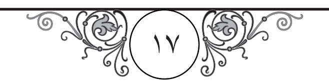
الأمة بعد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وكونه الولي الشرعي المنصب من قبل رب العالمين بواسطة سيد الأنبياء والمرسلين (صلَّى الله عليه وآله وسلم) وهو الأمر الذي اعتبره الله سبحانه وتعالى تكميلا للرسالة و تتميما للنعمة الالهية على المسلمين.

٢ - التواصل الاجتماعي الالكتروني:

لقد ظهر مفهوم جديد هو التواصل الاجتماعي الالكتروني وبدأ ينتشر بصورة سريعة بين مختلف المؤسسات التعليمية وخاصة الجامعية منها وبين الافراد من مختلف الشعوب والثقافات وقد اصبح هناك اتجاه متزايد بالاهتمام بالتواصل الاجتماعي الالكتروني بين المؤسسات الجامعية والطلبة والمدرسين والافراد في مختلف البلدان من اجل تبادل وجهات النظر والاراء والافكار والمعلومات والقيم في مختلف الجوانب الحياتية التي تهم المجتمع.

وهذا نتيجة لتعدد استخدامات شبكة الإنترنت في مختلف مجالات الحياة وفي جميع الميادين ومن ضمنها مجال التربية والتعليم. فقد استخدمت بفاعلية في تحقيق التواصل الاجتماعي الالكتروني في المؤسسات التعليمية وخاصة الجامعية منها وبين مختلف الافراد في شتى انحاء العالم لتعبر اصدق تعبير عن مفهوم التعليم الالكتروني ولتكون ابرز تقنياته واحدثها واكثرها كفاءة وتطورا وفاعلية.

ويوجد في شبكة الإنترنت نظام المجموعات المفتوحة او المغلقة الذي



يشترك فيه عدد كبير من الاشخاص يتحادثون فيما بينهم ويشتركون في مناقشات مختلفة عبر شبكة الإنترنت من الممكن ان تشترك كل مجموعة فيما بينها في مناقشة موضوع معين والتي يمكن الاشتراك فيها بشكل مجاني ومباشر وهذه المجموعات تعد مصدرا غنيا للمعلومات والافكار ومنبرا للحوارات الحية وفرصة للتواصل الاجتماعي الالكتروني بين اشخاص مختلفين قد تكون لديهم اهتمامات مشتركة او غير مشتركة ولديهم مختلف الاتجاهات والاراء والافكار نحو قضايا محددة. (كوراني ٢٠٠٠ ٢٥)

ومن تطبيقات هذه المجموعات في التعليم هي تسجيل المدرسين والطلبة فيها من اجل وضع ساحة حوار اجتماعية ومنتديات مشتركة للطلبة والمدرسين لغرض تبادل وجهات النظر والافكار نحو مختلف القضايا التي تهمهم ومناقشة اساليب التعاون فيما بينهم وبما يحقق التقدم في مستوياتهم الدراسية والثقافية والاجتماعية. (الموسى ٢٠٠١ ١٧٣)

ويمكن من خلال شبكة الإنترنت والتواصل الاجتماعي الالكتروني توفير بيئة تعاونية جديدة يستطيع فيها الطلبة العمل سوية ويشتركون في تبادل الافكار والاتجاهات والقيم المختلفة ويحلون المشاكل التي تواجههم بصورة تعاونية. (Kecmanovic ٢٠٠٠ p. ٧٣)

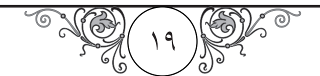
ونتيجة لامكانية استخدام شبكة الإنترنت متمثلة بشبكات التواصل الاجتماعي ومنها الواتس آب في عملية التواصل الإنساني بين مختلف الافراد واستخدامه بكثرة بين صفوف الطلبة والشباب. لذلك اصبح من الممكن استخدامه في عملية التواصل من اجل تحقيق أهداف محددة

وللامور الايجابية التي تخدم الطلبة والشباب والمجتمع بدلا من الاكتفاء باستخدامه لاغراض التسلية والترفيه. وبذلك نستطيع ان نحقق أهداف ايجابية عديدة من استخدامه. ولذلك ارتأى الباحث ان يستخدمها لغرض تنمية قيم المواطنة الصالحة والتسامح لدى طلبة المرحلة الجامعية لاننا بحاجة ماسة في هذه الظروف لتعزيز هذه القيم لديهم من اجل اصلاح المجتمع والاحتفاظ بثوابته وتقاليده ومبادئه والانطلاق به سريعا نحو التقدم والتطور والحياة الفاضلة دون المساس بالعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية الاصيلة في المجتمع.

ومن التطبيقات المهمة في شبكة الإنترنت والتي يشترك فيها الملايين من الاشخاص والمؤسسات في مختلف بقاع العالم تبرز عدد من شبكات التواصل الاجتماعي ومنها شبكة الواتس آب (WhatsApp) حيث انتشر استخدامها بدرجة كبيرة لانها تحتوي على مميزات كثيرة للتواصل وتبادل المعلومات والافكار بين مختلف الثقافات الإنسانية وامكانية النشر عليها بصورة حرة وميسرة وبدون تدخل من اشخاص اخرين كما ان الشخص بأمكانه ان يتحكم في الاصدقاء الذين يرغب باضافتهم والمعلومات التي يتم نشرها. وكذلك بأمكانها توفير الخصوصية لمنشورات الاخرين وحسب رغبتهم. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة في الانترنت)

ثانيا – دراسات سابقة:

لم يجد الباحث أي دراسة سابقة تهدف الى الاستفادة من شبكات التواصل الاجتماعي الالكتروني في تعريف الطلبة ببيعة الغدير واهميتها في



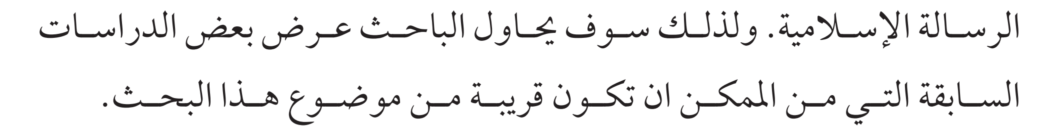
الرسالة الإسلامية. ولذلك سوف يحاول الباحث عرض بعض الدراسات السابقة التي من الممكن ان تكون قريبة من موضوع هذا البحث.

- دراسة (الخليفي) عام (٢٠٠٢):

اجريت هذه الدراسة على طلبة كلية الهندسة وهدفت الى معرفة تأثير مواقع التواصل الاجتماعي الالكتروني في المجتمع من خلال دراسة التأثيرات التي تحدث نتيجة لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي الالكتروني من خلال شبكة الإنترنت على المجتمع ومدى الاستفادة منها واثارها السلبية والإيجابية على الإنسان. وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك العديد من الايجابيات والسلبيات الناتجة عن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي الالكتروني على الإنسان وتم تحديدها من خلال الدراسة. (الخليفي ٢٠٠٢ ٤٩٦ - ٥٠٢)

-دراسة (الشويقي) عام (٢٠٠٣):

اجريت على طلبة عدد من الجامعات السعودية. وهدفت الى معرفة بعض المشكلات السلوكية والنفسية المرتبطة باستخدام شبكة التواصل الاجتماعي الالكتروني عبر الإنترنت لدى الشباب السعودي من خلال معرفة اثره على الجوانب الأخلاقية والعلاقات الاجتماعية والاقتصاد المنزلي والوقت. واستخدم المنهج الوصفي الارتباطي. توصلت الدراسة الى ان افراد العينة يرون ان التواصل من خلال شبكة الإنترنت ساعد على تنمية انماط سلوكية جديدة. وان الانماط المكتسبة يتنافى بعضها مع



الأخلاق الإسلامية الحميدة. (الشويقي ٢٠٠٣)

- دراسة (حلمي) عام (٢٠٠٥):

اجريت هذه الدراسة في مدينة الدوحة في قطر على عدد من الشباب القطري. وهدفت الى دراسة الآثار السلبية والإيجابية لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي الالكتروني من خلال تأثيراتها عليهم. وقد توصلت الدراسة الى أن الإقبال الشديد على مواقع التوصل الاجتماعي الالكتروني قد يكون سببا للعزلة النفسية والاجتماعية التي يعاني منها بعض الشباب كما وجد الباحث أن هناك عدم رضا من قبل أسر الشباب نتيجة استخدامهم مواقع التواصل الاجتماعي الالكتروني وأن هناك ضعف في العلاقة الأسرية بين الشباب وعائلاتهم بسبب ذلك.

(حلمي ٢٠٠٥ ١٩)

- دراسة (Nie and Erbing) عام (٢٠٠٩):

هدفت هذه الدراسة الى معرفة تأثير استخدام مواقع التواصل الاجتماعي الالكتروني على ابناء المجتمع والحياة الاجتماعية. حيث قامت بتوضيح تأثير الإكثار من استخدام مواقع التواصل الاجتماعي الالكتروني على قدرة الفرد على التواصل الاجتماعي الاعتيادي مع من هم حوله. وتوصلت الدراسة الى أنه كلما زاد استخدام الفرد لوسائل التواصل الاجتماعي الالكتروني كلما قلت قدرته على التواصل الاجتماعي الاعتيادي مع الأقارب والأصدقاء.

Nie and Erbing ٢٠٠٩

- دراسة Kraut et. al عام (٢٠١١):

هدفت هذه الدراسة الى دراسة تأثير التواصل الاجتماعي الالكتروني من خلال شبكة الإنترنت على الحياة الاجتماعية والنفسية للفرد. وتوصلت الدراسة الى أن الأفراد الذين يفرطون في استخدام التواصل الاجتماعي الالكتروني من خلال شبكة الإنترنت قد يفتقدون للسعادة التي تجلبها العلاقات الاجتماعية الحقيقية التي تحدث بين الأهل والأقارب والأصدقاء كما أوضحت الدراسة أن هؤلاء الأشخاص الذين يدمنون استخدام مواقع التواصل الاجتماعي الالكتروني يعانون من الإحباط والاكتئاب الشديد ومحاولة تجنب النشاطات الاجتماعية التي تعرض عليهم. Kraut et. al ((٢٠١١

-دراسة (الطيار) عام (٢٠١٤):

اجريت في جامعة الملك سعود في الرياض بالسعودية وهدفت الى معرفة أثر شبكات التواصل الاجتماعي على القيم لدى طلبة الجامعة من خلال معرفة الاثار الايجابية والسلبية الحاصلة لدى الطلبة نتيجة استخدامها وكذلم معرفة اثر هذه الشبكات في تغيير القيم لدى طلبة الجامعة. واستخدم المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت الدراسة الى تحديد بعض الاثار الايجابية والسلبية لهذا الاستخدام. كما انها بينت قدرتها على تغيير القيم والافكار لدى طلبة الجامعة. (الطيار ٢٠١٤ ١٩٣)

الفصل الثالث: أجراءات البحث

١ - التصميم التجريبي:

اختير تصميم المجموعة التجريبية الواحدة ذات الاختبار القبلي والبعدي ليكون تصميما تجريبيا مناسبا لتحقيق أهداف البحث.

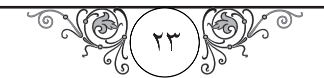
٢ - مجتمع وعينة البحث:

حدد مجتمع البحث بالطلبة الجامعيين في عدد من الجامعات العراقية من اصدقاء الباحث على شبكة التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت الفيس بوك Facebook خلال العام الدراسي (٢٠١٨ - ٢٠١٩) واختيرت منهم عينة عشوائية مكونة من (٧٨) طالبا وطالبة على شكل مجموعة تجريبية واحدة.

٣ - مستلزمات البحث:

أ - تحديد أهداف المعلومات المقدمة للطلبة: تم تحديد أهداف المعلومات المقدمة للطلبة الجامعيين عينة البحث التي ينبغي تحقيقها بعد اطلاعهم عليها. حيث كان الهدف الرئيس هو (تعريفهم بأهمية بيعة الغدير في الرسالة الإسلامية). وتم صياغة أهداف فرعية وسلوكية من الهدف الرئيس وتم عرضها على مجموعة من المختصين لبيان صلاحيتها وبالتالي تم تحديدها لتكون أهدافا ينبغي تحقيقها من قبل الطلبة عينة البحث بعد الاطلاع على هذه المعلومات.

ب - تحديد مواضيع المعلومات المقدمة للطلبة: تم تحديد مواضيع



المعلومات المقدمة للطلبة الجامعيين عينة البحث والتي تهدف الى تعريفهم بأهمية بيعة الغدير في الرسالة الإسلامية بعد اطلاعهم على هذه المعلومات.

ج - اعداد خطط تقديم المعلومات للطلبة: تم اعداد خطط تقديم المعلومات للطلبة والمواضيع والأحاديث عن بيعة الغدير واهميتها في الرسالة الإسلامية من اجل تقديمها من قبل الباحث الى عينة البحث من خلال التواصل الاجتماعي الالكتروني في المجموعة المغلقة عبر برنامج الواتس آب ومناقشتها معهم من اجل تحقيق الاهداف المنشودة منها. وعرضت هذه الخطط على عدد من المختصين وتم تعديل بعض الافكار فيها من خلال ملاحظاتهم.

٤ - اعداد اداة البحث: الاختبار المتعلق بمعلومات الطلبة عن أهمية بيعة الغدير:

تم اعداد اداة البحث وهو الاختبار المتعلق بمعلومات الطلبة عن أهمية بيعة الغدير وهو مكون من (٢٢) سؤالا من نوع الاختيار من متعدد لغرض التعرف على معلومات الطلبة عن أهمية بيعة الغدير في الرسالة الإسلامية والتعرف على التغيير الحاصل في هذه المعلومات بعد اطلاعهم عليها من قبل الباحث من خلال المجموعة المغلقة عما كانت عليه قبل الاطلاع. وقد تم استخراج الخصائص السيكومترية له وهي:

أ - الصدق: لغرض معرفة صدق الاختبار عرض على عدد من المختصين لبيان ملاحظاتهم حوله اسئلته حيث تم تعديلها في ضوء تلك

الملاحظات. ثم طبق الاختبار على عينة عشوائية من الطلبة تتكون من (٣٠) طالبا وطالبة من غير عينة البحث الأصلية واستخرجت معاملات التمييز والصعوبة وفعالية البدائل الخاطئة للاختبار فتبين ان جميع الاسئلة مميزة وذات معامل صعوبة مناسب وذات بدائل خاطئة فعالة وبذلك اصبح الاختبار مستوفيا لشروط الصدق.

ب - الثبات: لغرض استخراج ثبات الاختبار استخدمت طريقة إعادة التطبيق على نفس العينة الاستطلاعية بعد مرور اسبوعين على التطبيق الأول للاختبار وكان معامل الثبات بين التطبيقين باستخدام معامل ارتباط بيرسون (٠. ٨١). وحسب ثبات الاختبار باستخدام معادلة كرونباخ - الفا فكان (٠ ٨٤) وبذلك اصبح الاختبار مستوفيا لشروط الثبات وجاهزا للتطبيق على عينة البحث.

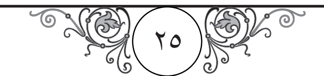
٥- تطبيق البحث:

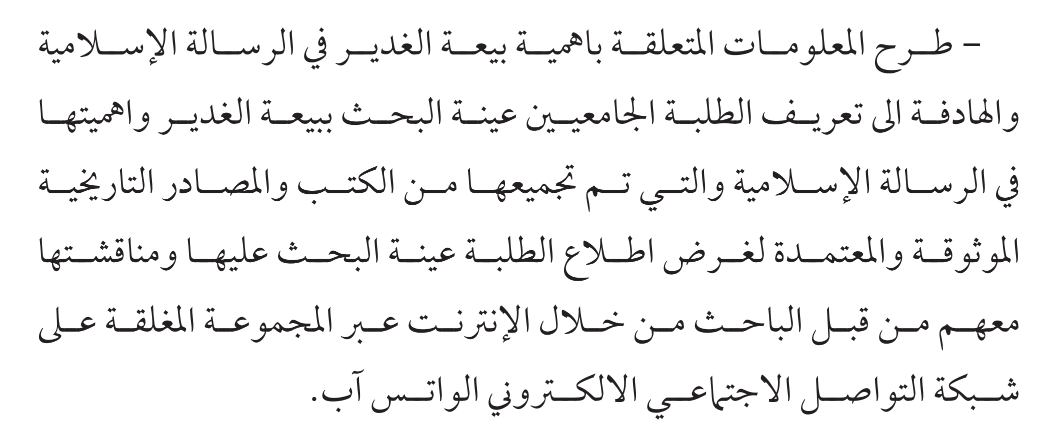
مرت عملية تطبيق البحث بالخطوات الاتية:

- اجراء التطبيق القبلي للاختبار المتعلق بمعلومات الطلبة عن أهمية بيعة الغدير على عينة البحث.

- تحليل نتائج استجابات الطلبة على اسئلة الاختبار اثناء التطبيق القبلي.

- انشاء مجموعة مغلقة بين الباحث والطلبة عينة البحث على شبكة التواصل الاجتماعي الواتس آب لغرض التواصل بينهم.





- طرح المعلومات المتعلقة باهمية بيعة الغدير في الرسالة الإسلامية والهادفة الى تعريف الطلبة الجامعيين عينة البحث ببيعة الغدير واهميتها في الرسالة الإسلامية والتي تم تجميعها من الكتب والمصادر التاريخية الموثوقة والمعتمدة لغرض اطلاع الطلبة عينة البحث عليها ومناقشتها معهم من قبل الباحث من خلال الإنترنت عبر المجموعة المغلقة على شبكة التواصل الاجتماعي الالكتروني الواتس آب.

- اجراء التطبيق البعدي للاختبار المتعلق بمعلومات الطلبة عن أهمية بيعة الغدير على عينة البحث.

- تحليل نتائج استجابات الطلبة على اسئلة الاختبار اثناء التطبيق البعدي.

- المقارنة الاحصائية بين نتائج التطبيقين القبلي والبعدي للاختبار بأستخدام الوسائل الاحصائية المناسبة.

٦- الوسائل الاحصائية:

تم استخدام البرنامج الاحصائي (SPSS) لاستخراج صدق وثبات الاختبار المتعلق بمعلومات الطلبة عن أهمية بيعة الغدير في الرسالة الإسلامية على عينة البحث وتحليل نتائج البحث ومعرفة دلالة الفروق الاحصائية بين التطبيق القبلي والتطبيق البعدي للاختبار.

الفصل الرابع: نتائج البحث

اولا- عرض نتائج البحث:

من ملاحظة جدول رقم (١) نجد انه:

-توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى معنوية (٠٥٠) بين متوسط درجات الطلبة عينة البحث في التطبيق القبلي للاختبار المتعلق بمعلومات الطلبة عن أهمية بيعة الغدير في الرسالة الإسلامية وبين متوسط درجاتهم في التطبيق البعدي لنفس الاختبار بعد انتهاء التجربة لصالح التطبيق البعدي للاختبار.

جدول رقم (١): نتائج البحث

المقارنة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة
التطبيق القبلي	١٧٣.٦٥	٠٧٨.١٣	٣٢٣.٤
التطبيق البعدي	٨٢٦.٧٩	٨٠٠.٩	

ثانيا- مناقشة النتائج:

لقد بينت المعلومات التي تم اطلاع الطلبة عينة البحث عليها من خلال التواصل الاجتماعي الالكتروني أهمية بيعة الغدير في اكتمال الرسالة الإسلامية وكونها حدثا اسلاميا كبيرا اراد الله سبحانه وتعالى ان يخبر المسلمين كافة به ليتبين لهم الحق من الباطل. حيث ان هناك اتفاقا شاملا حول نص ومكان بيعة الغدير ولكن هناك اختلافا في تفسير ذلك النص بين عدد من الطوائف الإسلامية والعلماء. وتبين أهمية دراسة بيعة

الغدير وتفسيرها وتحليلها من جوانب اخرى ونشر هذه الاراء بين ابناء المجتمع وتوضيحها بصورة ميسرة ومفهومة بعيدا عن الغلو والتعصب من اجل التوصل الى نتائج اكثر ايجابية حول هذا الموضوع.

فقد تبين للباحث بعد الانتهاء من تنفيذ البحث من خلال شبكة التواصل الاجتماعي الالكتروني الواتس آب واطلاع الطلبة على المعلومات المتعلقة ببيعة الغدير واهميتها في الرسالة الإسلامية والتي هدفت الى تعريفهم على هذه البيعة ان الطلبة الجامعيين بحاجة كبيرة الى مثل هذه المعلومات عن بيعة الغدير وغيرها من الأحداث الإسلامية الكبرى التي قد تكون قد غيرت مجرى التاريخ الإسلامي وضرورة تواصلهم مع المدرس وبين الطلبة فيما بينهم من اجل معرفة هذه المعلومات والاستزادة منها.

وقد لوحظ ذلك من خلال النتائج الايجابية التي حصل عليها الطلبة والتي ادت الى تفوقهم في الاجابة على اسئلة الاختبار المتعلق بمعلومات الطلبة عن أهمية بيعة الغدير في الرسالة الإسلامية على عينة البحث خلال التطبيق البعدي له.

وهذا يتطلب من المؤسسات الجامعية الاستفادة من شبكة الإنترنت وخاصة شبكات التواصل الاجتماعي الالكتروني للتواصل مع الطلبة وتنفيذ الارشاد التربوي الالكتروني وتفعيله وتطويره والاستفادة من الدروس المستوحاة من الأحداث الكبرى في الرسالة الإسلامية والاطلاع عليها وعلى مضامينها بصورة دقيقة وموضوعية وناقدة وبدون تعصب

او تطرف في اصدار الأحكام واتخاذ المواقف حيث انه من الضروري ان يكون الطالب الجامعي على دراية ومعرفة واطلاع على التراث الإسلامي التربوي الكبير للرسالة الإسلامية بكل مايحتويه من احداث وثقافات وتعاليم دينية وحياتية.

حيث انه من خلال البحث لاحظ الباحث وجود امكانية لتعريف الطلبة ببيعة الغدير واهميتها في الرسالة الإسلامية نتيجة للاسلوب الممتع والمشوق في طرح المعلومات عبر شبكة الإنترنت بصورة قد تكون غير مألوفة عند الطلبة في السابق.

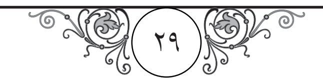
الفصل الخامس: الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

اولا - الاستنتاجات:

١- امكانية استخدام التواصل الاجتماعي الالكتروني في تعريف الطلبة باهمية بيعة الغدير.

٢ - استطاع الطلبة الحصول على معلومات اضافية عديدة عن بيعة الغدير واهميتها في الرسالة الإسلامية بعد استخدامهم لشبكة التواصل الاجتماعي الالكتروني.

٣ - أمكانية استخدام شبكة الإنترنت وتطبيقاتها المختلفة في تقديم معلومات متنوعة قد تساهم في زيادة معلومات الطلبة العامة وتغير وجهات نظرهم نحو العديد من الافكار والقضايا والأحداث.



٤ - الاستفادة من شبكة الإنترنت لتعريف الطلبة بالتاريخ الإسلامي الخالد والأحداث الكبرى فيه وتقديم المعلومات لهم وارشادهم بصورة موضوعية وعلمية صحيحة بعيدا عن التعصب والخلافات.

ثانيا - التوصيات:

١ - الاستفادة من شبكات التواصل الاجتماعي الالكتروني من خلال التواصل مع الطلبة وتزويدهم بالمعلومات الدقيقة التي تساهم في اثراء ثقافتهم حول التاريخ الإسلامي والأحداث الكبرى فيه ومنها بيعة الغدير.

٢ - اهتمام المؤسسات الجامعية بتعريف الطلبة على التراث الإسلامي الخالد والأحداث المهمة فيه واهميتها في الرسالة الإسلامية من اجل تنمية اتجاهاتهم نحو عظمة التراث الإسلامي.

٣- تضمين المناهج الدراسية في المؤسسات الجامعية بعض القصص للاحداث المهمة في التاريخ الإسلامية وبيان اهميتها في الرسالة الإسلامية وتاثيرها عليها.

٤- العمل المشترك والتكاملي بين المؤسسات الجامعية والدينية والاعلامية لوضع خطط استراتيجية منظمة وقابلة للتنفيذ لتعريف الطلبة على التاريخ الإسلامي واحداثه وبيان مدى تاثيرها في الرسالة الإسلامية.

٥ - اجراء العديد من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة بالاعتماد على المصادر الموضوعية لبيان حقيقة واهمية بيعة الغدير في الحفاظ على

الرسالة الإسلامية وتعريف الطلبة عليها.

٦ - معالجة قضية بيعة الغدير من وجهة نظر اكاديمية جامعية وضرورة اشتراك اساتذة الجامعات في هذا الموضوع وتعريف الطلبة عليها.

٧ - الانفتاح على الطوائف الإسلامية الاخرى واجراء المناقشات العلمية الهادفة عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي الاعتيادية والالكترونية لتوضيح حقيقة واهمية بيعة الغدير لهم.

ثالثا - المقترحات:

استكمالا لهذا البحث يقترح البحث اجراء بحوث ودراسات في هذا المجال ومنها:

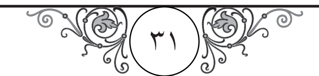
١ - توظيف الافكار التربوية في بيعة الغدير في بناء الشخصية الفاضلة للطالب الجامعي. ٢- فاعلية شبكة الإنترنت في تعريف الطلبة بمباديء وتعاليم الدين الإسلامي وفرائضه.

٣- بيعة الغدير بين النص والتفسير عند الطوائف الإسلامية.

المصادر:

-القران الكريم

- براهمه نصيره وحديد يوسف (٢٠١٤). تكنولوجيا الاتصال الحديثة واختراق الخصوصية الثقافية للاسرة الحضرية الجزائرية مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية عدد ١٧ جامعة جيجل الجزائر.



- حلمي ساري (٢٠٠٥). ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- الخليفي محمد بن صالح (٢٠٠٢). تأثير الإنترنت في المجتمع دراسة ميدانية عالم الكتب، المجلد ٢٢، عدد ٥ و ٦.

- الشويقي ابو زيد (٢٠٠٣). بعض المشكلات السلوكية المرتبطة باستخدام الإنترنت لدى الشباب السعودي بحث في المؤتمر الرابع للشباب الخليجي الديوان الاميري الكويت

- الشيخ الصدوق الامالي.

- الطيار فهد بن علي (٢٠١٤). شبكات التواصل الاجتماعي واثرها على القيم لدى طلاب الجامعة تويتر نموذجا المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب مجلد ٣١ عدد ٦١ الرياض السعودية.

- كوراني نبيل (٢٠٠٠) كيف نستخدم Internet. شعاع للنشر والعلوم حلب سوريا.

- الموسى عبد الله (٢٠٠١). استخدام الحاسب في التعليم. جامعة محمد بن سعود الإسلامية الرياض السعودية.

- النحوي عدنان علي رضا (ب. ت). العهد والبيعة وواقعنا المعاصر.

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة في الانترنت

- Kecmanovic C. Dubravk and Carolyn Weeb. (٢٠٠٠). Toward Communicative Model of Callaborative Web-



Mediated Learning (in) Australian Journal of Education Technology Vol. ١٦ No. ١.

- Kraut Robert et al. ; (٢٠٠٤). "The Internet and Social Participation Contrasting Cross-Sectional and Longitudinal Analysis". [Web page]. Retrieved July ٢٠٠٦ ٢٤ from world wide web: http://jcmc. Indiana. edu/vollo/issue ١/shklovshi-kraut. html

- Nie Norman and Erbing Lutz. (٢٠٠٩). Internet and Society: A preliminary Report. Standford Institute for the Quantitative study of Society. Intersurvey Inc. and Mckinsey and co.





أنموذج الغدير قراءة في علم الاجتماع السياسي

أ. د. عبد الأمير كاظم زاهد

المدخل

يكاد ينعقد الإجماع أنّ جهر المعضلة الحضارية الراهنة في العالم الإسلامي هو الانسداد الحضاري وعقم المشروع النهضوي، وإنّ سببها الأزمة المستحكمة في الشرعية السياسية للدولة من زمن ما بعد عصر الرسالة إلى عصرنا الراهن، والمقصود بأزمة الشرعية: المباينة بين المبدأ الأساسي الثابت وبين مجريات التجربة السياسية التي صنعها المسلمون بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وتبدو آثار هذه الأزمة كالتوتر الأزلي والدائم في الحياة السياسية في التقليد الذي أوجدته السقيفة لمجتمعات المسلمين إلى هذا اليوم١.

وليس غلوًا أن يقال أنّ جميع مظاهر التراجع المدني من فقر وفشر في تجارب التنمية وتوالي الهجرات الجماعية إلى خارج بلدان المسلمين والحروب والنزاعات المسلحة الداخلية والتمرد على القوانين والشرعية الا تداعيات لتلك الأزمة، بما في ذلك وعي الأمة لذاتها ووعيها لعلاقتها بالآخر الذي قد تشوه بفعل إدخال رؤيتنا في أتون ايديولوجيا زمن

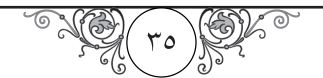
(١)- لم يشهد العالم الإسلامي في طول تاريخه تجربة سياسية تتمتع بالشرعية السياسية، فهي بين التغلب، والسيطرة بالحروب والقوة، وبين السيطرة بقوة مراكز قوى قبلية/ عرقية.



التخلف، فلا الأمة تفهم ذاتها فهما حقيقيا وموضوعيا ولا تفهم الآخر من الأمم والدول والكيانات فهما علميا ليكون تعاملها معها تعاملا علميا وبهذا تتحول الأزمة إلى أزمة حضارة وليست أزمة نظام سياسي فقط كما ومن جهة عقدية، فليس خلاف المدارس الكلامية في نطاق الأصول والأسس إنما يمكن أن نجده في التفصيليات الجزئية لأن الأصول عندهم جوامع مشتركة إلا أصل الإمامة ففيه تكمن المباينة في الأسس والجزئيات معًا، لذلك قال الشهرستاني أن خلافهم في الإمامة هو أعظم خلاف بين الأمة ويقول (ما سلَ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سلّ على الإمامة في كل زمان)١.

لقد بقيت مقولة الشهرستاني حاضرة في أروقة نقد التجربة السياسية الإسلامية حضورًا فاعلًا ودائميًا مرورًا بكلّ كتب الفقه السياسي والأحكام السلطانية وكتب علم العمران كابن خلدون ومن قبله روّاد الفلسفة السياسيّة من المسلمين كالفارابي وابن رشد وابن طفيل وغيرهم من الذين توافقوا على أنّ تحديد السبب في سقوط الحضارة الإسلامية وتدهور آدابها وعلومها وفنونها هو الاستبداد وفقدان شرعية السلطة وليس هذا التسالم ديدن العلماء الأقدمين إنّما سرى إلى العلماء في العصور المتأخرة ففي العصر الحديث نجد أن محمد عبده يشير إلى هذا (المشكل) الذي لم يمارس المسلمون قدرًا من الشجاعة في مراجعته وتطوير ذاتهم الحضارية من خلال نقده ولم يعرف عنهم انهم متجهون نحو (سلطة)

(١)- الملل والنحل (الحلي)، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: ج١، ص٢٢.



تستمد شرعيتها أما من النص الإلهي الجلي القاطع بعد تسوية التأويلات المفتوحة للنص أو من اختيار الناس الطوعي والواعي للحاكم، إذ لا ثالث لأصل السلطة في عموم الفكر السياسي الإسلامي، بل في عموم الفكر السياسي الوضعي وبهذا يتوافق محمد عبدة مع الأقدمين في تشخص العوق الحضاري وقد اتفق معه عبد الرحمن الكواكبي ففي كتابه (أم القرى) يشخص الكواكبي سبب الفتور العام في جهد النهضة للمسلمين بأنّه الاستبداد السياسي ويمثله للانكسار التاريخي كعلاقة العلة بالمعلول، وقد أعلن أنّ الشورى الدستورية هي الحل١.

ومثلهما الميرزا حسين النائيني الذي أعاد إنتاج أسس الدولة بأنموذج نيابي دستوري مختلف عن النموذج الخلافة المعهود ضمن لائحة مبرهنة فقهية وأصولية في كتابه النفيس تنبيه الأمه وتنزيه الملة٢ الذي رسم فيه لائحة لدولة دستورية برلمانية حديثة ووضع لها أسسها الدينية والعقلية وشاطرهم الرأي المفكر مالك بن نبي فقال أن الأزمة الدستورية المزمنة من عصر السقيفة هي السبب في انحطاط مدنية المجتمع الاسلامي وتراجعه الحضاري٣.

وقد تقدم أن أصلي الشرعية السياسية إمّا نصّ إلهي أو اختيار حرّ

---

(١)- أم القرى، عبد الرحمن الكواكبي، دار الرائد، ١٩٨٢م: ص١٨. ينظر: طبائع الاستبداد (حلب): ص٩.

(٢)- تنبيه الأمة وتنزيه الملة، الميرزا حسين النائيني، بيروت: ص٢٨.

(٣)- شروط النهضة، مالك بن نبي: ص٥٤.

وطوعـي للحاكـم مـن النـاس ورغـم بديهيـة هـذه الرؤيـة نجـد تواطـؤا مريبًـا يسـعى لتغيـب النصـوص التـي رسـمت البوصلـة وحـددت أسـس تشـكيل دولـة تتمتـع بكامـل الشرعيـة في كتـب الفـرق والعقائـد والملـل والنحـل، وتعمـد واضـح عـلى الانطـلاق مـن مظاهـر الأزمـة وليـس مـن أسـبابها وتداعياتهـا.

مـن ذلـك مثـلًا ابـن خلـدون الـذي صـوّر عمـوم الموقـف بالسـقيفة بــ(إنّ مـا حصـل ابتـداءً توليـة واحـد مـن الصحابـة بـرضى (الصحابـة[1] خليفـة عـلى المسـلمين)، دون أن يغـوص هـذا المؤسـس لأنثروبولوجيـا (التجربـة العمرانيـة الإسـلامية) في عمـق الأزمـة ويصـور ذلـك الانتقـال الخطـر مـن القيـم القرآنية إلى قيـم البـداوة التـي كانـت تقـدّس سـلطة زعيـم القبيلـة وتتسـم بأنّهـا الجماعـة المتمـردة عـلى القوانـين والتـي ترفـض الخضـوع لسـلطة الدولـة، فالبـداوة بطبيعتهـا ومسـارها لم تعـرف الانضـمام لمجتمـع يخضـع لهرميـة القـرار المؤسـسي ويطيـع القانـون ويلتـزم بتـداول السـلطة.

والسـؤال كيـف انتقـل الذهـن العـربي (البـدوي) مـن قيـم البـداوة تلـك في السـقيفة إلى صناعـة الدولـة؟

وتبقـى الإجابـة عـلى ذلـك مضطـرة لكـي تتجـه إلى القـول بـأنّ السـقيفة صنعـت دولـة متفقـة مـع القيـم البدويـة وتشـكلت مـن خـلال كبـار الممثلـين المراكـز القـوى القبليـة وعـلى وفـق الأعـراف القبليـة.

---

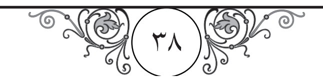
(١)- المقدمة، ابن خلدون: ص٦٩.





أمّا السؤال السوسيولوجي اللاحق فهو كيف رسمت هذه الانتقالة بحيث صار أنموذج السقيفة مختلف نوعيا عن مقتضى النص القرآني والتجربة النبوية التي أمرتهم بتشكيل الدولة على أسس (الكفاءة + الأفضلية المطلقة + السابقة النقية المتقدمة) علمًا أنّ هذه الأسس معلومة للجميع وممثلة في شخص منهم يعترف الجميع بأفضليته المطلقة وكفاءته وسابقته النقية، هذا إذا نوقش الأمر بعدم وجود النص أمّا مع الإقرار بالنص صدورًا ودلالة فإني أظنّ أنّ النّص لم يأت بالتّولية له لأنّه قريب نسبة للنبي صلى الله عليه وآله أو صهره، إنّما لثبوت كونه الفرد الأكمل والأعلم والأكثر قدرة على استكمال مهمات الرسالة المحمدية بإقرار الجميع السابقين منهم واللاحقين فلو لم يكن لولايته نصّ من القران أو بحديث الغدير فإنّ واقع أحداث زمن النبي صلى الله عليه وآله تكشف أنّه الأكمل والمؤهّل بلا منافس لاستكمال التجربة الحضارية الإسلامية بإقرار كل شهود العصر آنذاك.

وقد يقال أن تجربة السقيفة لم تكن من وحي الواقع القبلي في الجزيرة إنّما قد تكون متأثّرة بالنماذج المجاورة، وهذا كما يبدو لي افتراض لا يصمد للفحص إذ لا يتصور انتقال النموذج الساساني لوعي الفاعلين في الجزيرة العربية لأسباب عدة منها الفاصل الحضاري والنفسي بين العرب والفرس وبالنسبة للروم، فإنّ ديمقراطيتهم قد تلاشت قبل الإسلام بقرون، وما وصل من فكر الروم السياسي إلى المسلمين كان ضئيلًا مثل



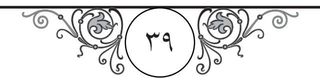
كتاب السياسة والفراسة لأرسطو طاليس[1] فلم يتأثروا بها لأنّهم لم يعرف فيهم التّثاقف الحضاري آنذاك مع حضارات الأمم الأخرى، بل لم تكن تلك الأمّة تفك الحرف.

نعم ربّما قد تأثّرت بعض الجماعات العربية التي مسكت السلطة بالفرس، بعد فتح العراق حيث أخذوا منهم أنظمة الخراج والأنظمة التدبيرية الأخرى للدولة وقواعد الاشتباك بالحروب.

لكن ما أخذه الفقهاء فيما بعد كان هو الخطورة الاستراتيجية مثل مبدأ قداسة الحاكم والخضوع له، الذي كان ذلك من أبجديّات الفكر الساساني فأخذه الفقهاء بحرمة الخروج على السلطان حتى لو كان جائرًا وظالمًا ووضعوا له مستندًا دينيًا فجعلوا الناس بين خيارين إمّا الانصياع لحكم تعوزه الشرعية والعدل وإمّا العيش ضمن تبعات الفوضى والهرج وافتقاد الأمن، وبذلك غيّبوا الأنموذج السياسي المعتمد على النّص الذي يركز مضمونه على أنّ الأفضل هو المرشد وهو المعلّم والقائد وهذا المبدأ يكاد يحتلّ مقدمة الهرم القيمي للتجربة الإسلامية الملتزمة بنصّ الغدير.

لأنّ هذا المبدأ معنيّ ضمن قيمته الأساسية ببناء الإنسان بناءً تكامليًّا لكلّ قدراته النّفسيّة والروحيّة والعقليّة والجسديّة والعاطفيّة ليكون المؤهّل للاستخلاف وعمارة الأرض وإقامة العدل وبناء دولة الإنسان ضمن ثلاثة عناصر هي طبيعة النظام السياسي المتضامن مع الإنسان، والالتزام

(١)- السياسة والفراسة، أرسطو طاليس، دار العلوم، بيروت، ١٩٩٠.



بتنصيب الحكام العدول، وقيم الحكم الرشيد[1] وهذه كما يتّضح تتباين مع قيم البداوة التي تهدر هذه القدرات لصالح استقرار الطاعة لشيخ القبيلة التي تسللت الأدبيات فلسفة الدولة فأوجدت اضطرارًا تاريخيًّا شكّل الدولة على أنموذج يفتقد للشرعية فأنتج دولة مكونة من رؤساء القبائل التي تشكّل القوى الصانعة للحدث الاجتماعي والسياسي، مضحيًّا بوحدة الأمة وشرعية السلطة ومعايير اختيار الحاكم الأفضل، وهكذا عدلوا من الفاضل إلى المفضول ومن الدستورية إلى الدولة المنسجمة مع تقاليد ذلك المجتمع القبلي الذي يتمسك بالغزو والعرق والقبيلة واستراتيجيات الغنيمة وهي الأساس لدولة ريعية.

إنّ أيّ مراجعة للقيم القرآنية في بناء المجتمع والدولة، وقيم التجربة النبوية تكشف أن فجوة كبيرة ظهرت إزاء نموذج السقيفة، لاسيما ما أفرزته التجربة النبوية في المدينة المنوّرة من نظام حكم وتجربة سياسية فقد نقل أنموذج السقيفة الإنسان من الالتزام بمصالح الأمّة وتطبيق القوانين إلى تقديس الحاكم بدل الأمّة، وصار عليها احترام الحاكم حينما يكون ملهمًا وعادلًا ومهتمًّا بالإنسان وقادرة على أداء مهمّاته وحولت مفهوم البيعة إلى إقرار الأمة بهذا الالتزام دون إقرار الحاكم بالتزاماته، لأنّ مفهوم البيعة الحقيقي هو (مفهوم حقوقي مزدوج) يوضّح حقوق الطرفين الحاكم والمحكوم وواجباتهما، لقد تخلّت تجربة السقيفة عن كل هذه الاشتراطات وجعلت الحقوق للحاكم والواجبات على المحكوم.

---

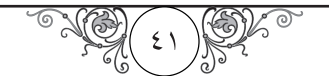
(١)- سيتناول البحث لاحق تفصيل هذه المحاور.

ولعلّ هذا من أهم تجليات المباينة المبكرة مع القيم التأسيسية القرآنية، ومضامين التجربة النبوية.

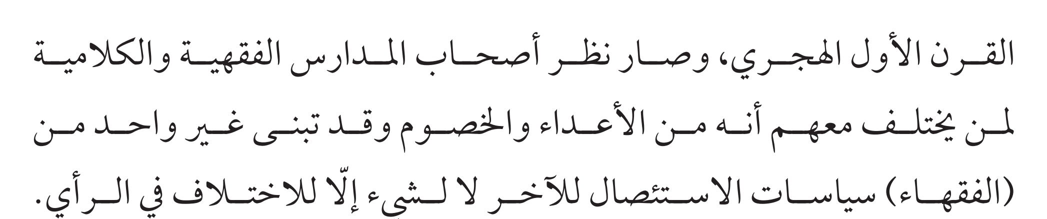
لقد اتجهت دولة السقيفة من الاعتماد على معايير الحق والشرعية وحقوق الإنسان إلى معايير الأعراف المتوارثة وبعض الأعراف المجاورة وأهمها تحكيم معايير القوة وكانت تلك البذرة التي تطورت فيما بعد فأوجدت تجارب تعسف الحكام وسطوتهم واستبدادهم وإخلالهم بالحقوق المدنية للمجتمع في طول تجربة الحكم بعد عصر النبوة حتى يومنا الراهن إلّا استثناءات نادرة جدًا فلم يشهد التاريخ من بدء تجربة دولة السقيفة إلى نهاية الخلافة العثمانية مشهدًا لمحاسبة الحاكم، بل تحرّر الحكّام فقهيًّا من طائلة المساءلة له حينما أجمع أغلب الفقهاء من أكثر المذاهب على تقديس السلطان وحرمة الخروج عليه وضرورة نصيحة برفق...الخ[1].

وتفسيق من ينادي بمحاسبته وإدانة ظلمه وجوره. كما حصل لأبي حنيفة الذي أنكر عليه جل فقهاء السلطة قوله بضرورة الخروج على الحاكم الجائر. ويلاحظ: أن الأزمة السياسية التي حصلت بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله قد عمدت وعززت أطرافها، بأدلة دينية وأحاديث نبوية مصنوعة وضعت السلطة ما يسوغ لها وجهتها وهذا ما حول الصراع من صراع سياسي إلى صراع ديني، ثمّ صار الحراك انقسامًا مذهبيًا وأوجد استنزافًا بالغ الخطورة للحضارة الإسلامية منذ

(١)- يراجع لذلك: مقالات الإسلاميين: ج١، ص٣٥، وص١١١. ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني: ج١، ص٨٩.







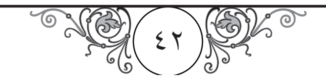
القرن الأول الهجري، وصار نظر أصحاب المدارس الفقهية والكلامية لمن يختلف معهم أنه من الأعداء والخصوم وقد تبنى غير واحد من (الفقهاء) سياسات الاستئصال للآخر لا لشيء إلّا للاختلاف في الرأي.

بل لقد صيغت علوم كثيرة على أساس حديث مشكوك في وثاقة سنده وهو (حديث الفرقة الناجية مقابل الفرق الضالة التي في النار على حد زعمهم) مثل علم الأديان والمذاهب (الملل والنحل أو الفرق والعقائد)(١) وعلم الرجال إذ تدور الوثاقة على الرأي والمذهب، وليس على الصدق والنزاهة، وعلم الكلام الذي نقل مهامه من عقلنة القضايا الإيمانية إلى البرهنة على بطلان الآخر العقائدي، وهكذا تجد هذه النزعة سائدة في الفقه وأصوله والتفسير أن هذا الاستنزاف العلمي للإبداع والاكتشاف قد حوّل المفكرين المسلمين بعد القرن الرابع إلى كتّاب حواشٍ وشروحٍ بدل اختراعهم المتون الجديدة، ثمّ عاد هؤلاء في القرون اللاحقة إلى اختزال الشروح والحواشي بالمختصرات، ثم حولوها إلى ارجوزات وعادوا فشرحوا تلك الارجوزات وهكذا ترسخ في صناعة الثقافة والمعرفة عقل دائري، يعود دائما لنقطة البدء.

١- أنموذج السقيفة:

من المعلوم في فضاء التفكير الإسلامي أنّ نشأة السلطة السياسية، يستند فيها الجميع إلى أنّ الوحي الرباني قد قدم الأسس العامة والمبادئ

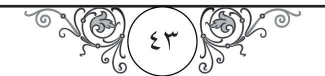
(١)- كتب الفرق والمقالات حتى نهاية القرن السادس، جاسم الجزائري، رسالة دكتوراه، كلية ابن رشد.



الضرورية للنظام السياسي، وترك تجسيد تلك المبادئ سواء على مستوى الإجراءات والمؤسسات لأجيال المسلمين ولعلّ هذا هو المعيار النصيّ الذي ثبت بآيات وأحاديث تشير للأفضل بل تكاد تصرّح باسمه لكن الذي حصل بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وحيث كان بنو هاشم منشغلون بتجهيزه، كانت الأنصار تعقد اجتماعًا في سقيفة بني ساعدة لاختيار خلف النبي منهم بناءً على مبررات تاريخية من أنّهم المناصرون الذين أنقذوا التجربة من اضطهاد مكة وآووا ونصروا وحاربوا خصوم التجربة النبوية لكن الانقسام القبلي بين الأوس والخزرج أحبط هذه المحاولة.

واعتمدت قريش (معيارًا تاريخيًا تجسد في اجتماع (قادة المجتمع القرشي) للتشاور في خلافة الرسول رغم أنّ الروايات لا توفّر لنا أسماء الحضور ولا عددهم، إلّا قادة الأنصار وقادة المهاجرين، ويلاحظ أن الأنصار بوصفهم المواطنين الأصليين) فقد أرادوا صناعة السلطة لهم باعتبارهم العامل المهم في نجاح التجربة النبوية، فلما علم المهاجرون سارع عمر وأبو بكر إلى تحويل الاجتماع لصالح المهاجرين على معيار (الأهل والقرابة) وهو معيار قبلي وعلى وفق مقتضى المباغتة تقول الروايات أن عمر طلب من أبي بكر أن يبسط يده فبايعه ثم بايعه المهاجرون وكان انقسام الأنصار قد أدّى بهم إلى قبول هذه المباغتة ثم تلت ذلك إجراءات من الإجبار والقسر والإكراه لمن لم يبايع منهم[1] مثل سعد بن عبادة، ثم روى عن

(١)- تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ج٢، ص٢٢٤.



عمر قوله: أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقي الله شرها.

وهنا يمكننا دراسة (التجربة التاريخية للسقيفة) من خلال ثلاثة مداخل أساسيّة المدخل التأصيلي والمدخل التاريخي والإجرائي.

ففي مجال التأصيل الديني يزعم عدد من حفاظ الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله ترك الناس بلا توصية بالخلافة لأحد فاعتقد الناس أنّ الأمر إليهم، بيد أنّه لا يمكن للعقل أن يقبل مضمون هذه المرويّات، ذلك أن نبيًا جاء برسالة تؤسس عليها حضارة تاريخية كونية أزلية إلى يوم الدين وقد كان يضع لأبسط الأشياء (حكمًا)، كيف له أن يترك الناس لصراع دموي ربما يطيح بتجربته برمتها؟

وفي هذا المحور نجد تباينًا كبيرًا في الرواية التاريخية بين فريق السقيفة (الموالاة) والفريق الآخر الرافض (المعارضة) الذي يزعم وجود نص إلهي صحيح الصدور بتكليف علي عليه السلام بالخلافة تؤيده قرائن الأفضلية والكفاءة والسابقة النقية.

أما المحور التاريخي فهي سرديات المؤرخين لما جرى في السقيفة والتي يمكن مراجعتها واكتشاف ما وراء سطورها في كتب التاريخ كالإمامة والسياسة وتاريخ الطبري.

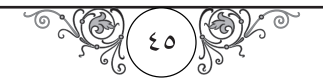
ثم المحور الإجرائي الذي يستذكر، الفعاليات الأولى لترسيخ بيعة الأول والفترة المضطربة لستة أشهر بعد انعقادها وما رافقها من تمرد في

أطراف الجزيرة (اليمامة) فيما سمّي بـ(حركات الردة)١.

أنّ حصيلة التباين في المحورين الإجرائي والتاريخي تظهر أنّ الثلاثة الأوائل لم يصلوا إلى السلطة بظروف طبيعية دستورية تعتمد على معايير الحق والكفاءة، لاسيما وقد انتهى حالهم بمقتل ثلاثة الحكّام فلقد كان انتخاب الأول (من مجموعة مثلت مراكز القوى القبلية)، وكان انتخاب الثاني (بوصية من الأول) دون أخذ رأي الجماعة، وكانت للثالث من خلال (تنازع إرادات القوى الفاعلة في مجتمع المدينة المنورة بعد مجريات حصلت في زمن الأول والثاني).

أما بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد الثالث فكانت في ظروف استثنائية وتمزّق مجتمعي حصل بعد مقتل عثمان لذلك دعاهم إلى بيعة عامة وفي المسجد علنًا جهارًا، وكان له أن يطبّق قانون الطوارئ ويعلن الأحكام العرفية ويعطّل دور مراكز القوى، إلّا أنّه اختار النمط الطبيعي السياسة الأمّة لكن لحجم التغيرات المباينة لموازين العدل والنزاهة استعصى عليه تصحيح ما وصل إليه مجتمع الاستغنام لذلك ولأنّه أصرّ على بناء دولة كاملة مستوفية السمات العدل والنزاهة انزلق الموقف إلى ثلاثة حروب داخلية، في حين كانت فترة حكم الثاني فترة طوارئ فعليّة إذ حرم على الصحابة مغادرة المدينة وصادر أموال بعضهم وفرض عقوبات تعزيرية على آخرين واجتهد (للضرورة) قبالة النص ولم ينزلق الموقف إلى تمرد عام كما حصل بالجمل وصفين والنهروان بل لم يجرؤ

(١)- ينظر: حكم الردة، طه جابر العلواني: ص٤٣.



أحد على إعلان الخلاف على الحاكم المدعوم بمراكز القوى التي استوفت مطالبها بالتقسيم الطبقي للعطاء وفي زمن عثمان استحوذ بنوا أميّة على المال والسلطة فانتهى الحال إلى فوضى عارمة انتهت بقتله.

ولعل مقتله كان السبب في أن تفتح أبواب الحروب الأهلية والتمردات على أمير المؤمنين عليه السلام وهذا السر الذي يفسر موقف الإمام علي عليه السلام من رفض الاعتداء عليه.

وبعد مقتل عثمان بايعوا عليًا (سدًا للفراغ) وأملًا في استتاب الأمور بعد شغور منصب الخلافة لكن عليًا عليه السلام لم يجبر الذين لم يبايعوه على البيعة، ولأجل إعادة المجتمع إلى الاستقامة اضطر أن يخوض حروبًا ثلاثة لإرجاع الأمر إلى الشرعية إلّا أنّه لم يستطع ومع ذلك ظل صامدًا لبناء دولة الشرعية وغادر شهيد الحق والعدالة وحقوق الإنسان ولايزال معيار العدل في طول التاريخ اختار الناس بعده الإمام الحسن عليه السلام الذي وجد أنّ الموقف أصعب ممّا كان عليه أبيه أمير المؤمنين عليه السلام فغادر لئلا تكون الأمة بين خيارين إمّا استمرار الحرب الأهلية أو التضحية بالشرعية السياسية، فأهدرت الشرعية لصالح حقن الدم.

أن المباينة التاريخية والإجرائية تؤكد أن التضحية بالشرعية لم تكن لصالح وحدة الأمة فحسب بل أنّها لصالح إخضاع الأمة للإرادات والقوة.

يقول الجاحظ: لقد سمّوه - يقصد عام صلح الحسن عليه السلام - عام الجماعة وما كان عام جماعة بل عام فرقة وقهر وجبرنة وغلبة وعام

تحولت به الإمامة إلى ملك كسروي والخلافة غضب قيصري[1].

ومن هنا نستعير فكرة (هيجل ١٨١٣م) عمّا سمّاه بالإمكان التاريخي ويعني به الفارق بين المبادئ الأساسية والمتحقق العياني، فهو يرى أنّ كل حضارة تحقق بعض مبادئها السبب القصور الذاتي أو ظروف السياق التاريخي[2].

وهنا نرصد التشوهات في المحاور الثلاثة ففي صدد المحور التأصيلي نجد تشوهات الوعي في أن الرسول لم يخلف أحدًا لقيادة المجتمع تغييب كامل للأسس الثلاثة الطبيعة النظام المنشور قرآنية ونبوية وهي:

مبادئ السلطة الشرعية وهي (الشورى، البيعة المحددة للحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم، وسيادة القانون وسلطة الأمة والتكامل بين الديني والدنيوي) وضوابط مسؤولية الحكام (مسؤولية الحاكم، محاسبته والقيم التي تقام عليها الدول (العدل/ الحرية/ الحقوق الإنسانية) أنّ دولة (السقيفة) لم تحقق الشورى إلّا بصورة شكلية (أثناء التأسيس، وحولت البيعة إلى صيغة تعاقدية ملزمة للمحكوم فقط) وإعطاء الحاكم صفة فوق القانون، بل هو الذي يضع القوانين، وأهدر حقّ الأمة، وافترق الديني عن الدنيوي.

ولم يعرف في مسار التجربة موضوع مسؤولية الحاكم ومحاسبته وكان من

(١)- رسالة في الثابتة، الجاحظ: ج٢، ص١١.

(٢)- العالم الشرقي، هيجل، دار التنوير: ص٧٢.



جرّاء إلغاء مبدأ المسؤولية والمحاسبة أن أضطر الناس إلى إعلان الثورة ضد الثالث واستعمال القوة لتغيير الحكام بسبب السياسات الإدارية والمالية. والسبب ذاته وراء حركات التمرد التي حصلت في الأربع سنوات من ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام (الجمل - النهروان - صفين) ولعلّ ما آل إليه أمر السلطة بالانتقال إلى (الملك العضوض) زمن معاوية كان إحدى أهم تداعيات إلغاء الشرعية التأسيسية.

ومن هنا: استطاع التغلب على إرادة الأمّة تغلبًا كاملًا بحيث لم يعد بحاجه إلى تأويل أو تبرير أمر عادي تبلته الناس، وصار، الإكراه السياسي معتادا بل أدخل في حلبة التديّن بإلزام الناس بطاعة المتغلب، وطاعة بلا حدود.

- أنموذج الغدير:

أيّاً كان الخلاف في حديث الغدير صدورًا وتأويلًا فإنّ عشرات الآيات والأحاديث النبوية كانت واضحة الإشارة والدلالة إلى أنّ الحاصل النوعي للرسالة الإسلامية يجب أن يكون الأكمل والأفضل والأكثر قدرة على حمل الأمة على الارتقاء للمستوى الذي يريده الله لها وهذا في الأقل المنطق الفطري الذي لا يختلف عليه أحد.

ويؤيده أن القرآن الكريم جاء بهذا المفهوم في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾١.

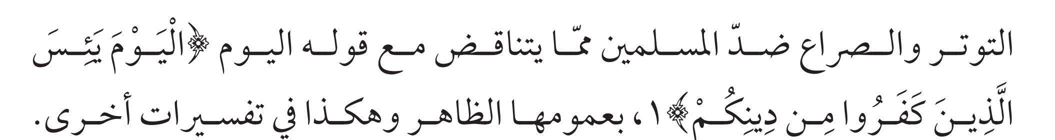
فإكمال الدين وإتمام النعمة وبرضى الله عما بلغ به النبي صلى الله عليه وآله كاملًا المنحة الإلهية بالبيان والهداية وتأسست القيم العامة ولم يبق إلّا الاستجابة الإنسانية والتطبيق الصحيح لهذه القيم. بيد أنّ ضغط السلطة الاستبدادية التي تنامت بعد السقيفة تناميًا تدريجيًا حتى انتهت إلى الملك العضوض وقد أملت على المدونين من أصحاب التفاسير وشرّاح الحديث أنْ يستخدموا التأويل استخدام أيديولوجيًا غرضيًا مقصودًا ومن ذلك مثلًا ما كانوا يفسّرون به قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ من تفسيرات غير منطقيّة، فغالبًا ما تراها مختلفةً ومضطربةً يضرب بعضها بعضًا لأنّها ليست منطقيّة ولا نابعة مما لا يأتيه الباطل من بين يديه.

فقد قال بعضهم أنّ كلمة (اليوم) تعني يوم الصّدح بالدعوة، وقال آخر هو يوم فتح مكة وأردف ثالث بأنّه يوم عرفة، وهكذا وكلٌّ يبرّر مقالته ليبعد هذه الآية عمّا نزلت فيه وهو يوم إعلان الحاصل النوعي للرسالة الذي تميّز بأنّه الشّخص الأفضل والأكمل.

والغريب أنّ المتعسّفين بالتأويل يتجاهلون حقائق لا غبار عليها ايغلًا بخدمة السلطة التي تهدر ذائقة المجتمع ومنطق التفكير وكمثال على ذلك ما يراه المفسّرون أنّ مفردة اليوم في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت في فتح مكة وينسى أنّ فرائض وواجبات كثيرة نزلت بعد ذلك ممّا يتناقض مع قوله (أكملت - وأتممت)، وأنّ الواقع التاريخي واضحٌ ببقاء

(١)- سورة المائدة، الآية: ٣.



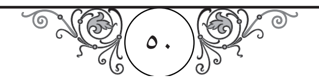
التوتر والصراع ضدّ المسلمين ممّا يتناقض مع قوله اليوم ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾١، بعمومها الظاهر وهكذا في تفسيرات أخرى.

مثل يوم البراءة من المشركين ومثال آخر ما ورد أنّها نزلت في يوم عرفة في السنة العاشرة وهذا يتناوله الإشكال نفسه الذي يقف حائلا إزاء التفسيرات الأخرى.

ولعل أيّ متتبع لسياق النصّ القرآني يدرك بل يلمس في الآية عدّة إمارات مفسّرة لمراد مفردة ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ لما فيها من دلالة العموم المطلق الذي لا يقتصر على كفّار الجزيرة لأنّ مقتضى العموم شمول كلّ كفّار الأرض وهذا لم يحصل على التفسيرات الأيديولوجية الهادفة إلى تغييب دلالة النصّ بعد أن عجزوا عن تغييب النص ذاته ثم تلمس أنّ الأمر الإرشادي بأنْ لا تخشوهم واخشوني تدلّ على امتلاك المستقبل ولا يتضح إلّا بتولي من يقود بقوّة وكفاءة تلك المسيرة، وإماره إكمال الدين، وإتمام النعمة التي تنتقض بنزول العديد من الفرائض والأحكام بعد دعوى إكمال الدين في حين لم ينزل شيء بعد الغدير وهكذا رضا الله عنّا ولنا الإسلام دينًا.

أي بعد إتمام كلّ الشروط الموضوعية للاستمرار من ذلك يتبين أنّ هذه العلامات التي تحقّقت في (يوم) جاء في الآية معرفًا (اليوم) بأل العهدية التي يعرفها المخاطب لا تنطبق إلّا على يوم بيعة الغدير ونزول الآية ﴿يَا

(١)- سورة المائدة، الآية: ٣.



أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾١، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله «مَنْ كُنتُ مَولاهُ فَهذا عليٌّ مَولاهُ»٢.

يقول صاحب الميزان أن يفند كل الآراء التفسيرية السابقة من جميع ما تقدم يظهر:

أ- أنّ تمام يأس الكفار يتحقق عندما ينصّب الله من يقوم مقام النّبي صلى الله عليه وآله لأنّهم لأنّ قريشًا كانت تعول على موته لاسيما وإنّه لا عقب له وبعقد الغدير يخرج الدّين من الحامل الشخصي وهو النبي صلى الله عليه وآله إلى الحامل النّوعي وهو الإمام عليه السلام الذي به ستبدأ مسيرة الأوصياء وبه يحوّل الدين من صفه الحدوث إلى صفة البقاء أي من (وضع هو فيه جديد غير مستقر إلى حقيقة واقعية راسخة غير قابلة للإزالة)٣.

---

(١)- سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢)- صحيح مسلم: ٢٤٠٨. مسند أحمد: ١٩٢٨٥. سنن النسائي: ٨١٤٨. شرح مشكل الآثار، الطحاوي: ١٧٦٥. الحاكم في المستدرك: ٤٥٧٦. البداية والنهاية: ٥/ ٢٢٩. ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة: ٢/ ٣٣٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤/ ٣٣٠، ح١٧٥٠. سنن الترمذي: ٣٧١٣. صححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/ ١١١٢. المعجم الكبير للطبراني: ٤٠٥٣. مجمع الزوائد للهيثمي: ٨/ ٤١٦. تفسير الرازي: ١٢/ ٥٠. أنساب الأشراف: ١/ ٣١٥. تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام علي عليه السلام: ٣/ ٨١، ح١١٢٧. السيرة النبوية: ٤/ ٤٢٦. فتح الباري: ٧/ ٦١. منهاج السنة: ٤/ ٨٤-٨٥. البخاري: ٤٣٤٩. سنن البيهقي: ٦/ ٣٤٢. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ١/ ١٠٩. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٥١٠.

(٣)- الميزان: ج٥، ص١٣١.



المبادئ العامة لأنموذج الغدير:

قلنا أيّاً كان الموقف من مدى صدور حديث الغدير أو دلالته إلّا أنه كأنموذج لبناء الدولة قدّم توصيفًا للسلطة السياسية يرتكز في أساس مشروعيتها على المبادئ العشرة الآتية:

١- مبدأ الرد إلى الله ورسوله:

وهو أعظم الأسس في إقامة الدولة القانونية أي خضوع الحاكم والمحكوم للقانون إضافة لما أوجبه الله على الحاكم من أداء الأمانة والعدل كضمانة للتطبيق الأمثل للقانون، وأنّ مبادئ القرآن وسلوك النّبي ومقتضى العقلانية المنضبطة بالكليات القرآنية هي الأطر الأساسية للأنموذج فالحاكم تحت القانون بينما قدمت تجربة السقيفة أنموذجًا دفع الفقهاء أن يجعلوا السلطان فوق القانون وأشاعوا أنّ تغيير السلطان يفضي إلى الفتنة.

٢- احترام رأي الأمة ومصالحها:

حينما لا تتعارض مع العقل والشرع فأن الأمة ليست معصومة لذلك كان الإمام هو الآخذ بيدها نحو الكمال، فالإجماع في أنموذج الغدير مرهون بالأطر الكلية أي بأطر الشرع والعقلانية وكلاهما لم يظهرا في مجريات تجربة السقيفة.

٣- مقامة الظلم:

وهي سنة الممانعة والمدافعة وهذا المبدأ يمنع الأمة من أن تستقيل

وتترك مراقبة الشأن العام وعليها أن تتيقّن من أنّ عقاب الله للأمة على سكوتها عن الظالم قانون سنني والظلم مؤذّن بخراب العمران كما يقول ابن خلدون[1] والمواجهة مع الظالم تبدأ بكلمة الحق وهي أفضل الجهاد، وتتصاعد مع التّغوّل والإصرار على الظلم والعدوان.

٤- رعاية المال العام:

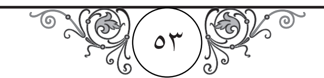
من الواضح أنّ المال هو الدافع والمصدر للطغيان السياسي، وقد سماه العلماء (مال الله) لكي يحمل هذا الوصف مدلولًا أخلاقيًا لا تتقرب إليه اليد الغاصبة وبذلك ننعش طبقة الفقراء ولا يكون المال دولة بين الأغنياء وان مركز الحاكم إزاء المال العام مثل الوصي على مال اليتيم ومنه يشتق حرمة الغلول والرشا، وبذلك تتجلى الأمانة وتظهر ثمرة المؤهل الأخلاقي للحاكم فقد ورد في الحديث «ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلّا حرم الله عليه الجنة»[2].

٥- أساس التفضيل في تولي الولايات القوة والكفاءة المهنية

أساس التفضيل في تولي الولايات (القوة والكفاءة المهنية) وعليه فلابد من مراعاة الأفضل، والأنفع للولاية بيد أنّ مجريات أنموذج السقيفة دعت حتى المدرسة العقلانية المعتزلة إلى ابتداع فكرة جواز العدول من الفاضل إلى المفضول. وسنخصص له جانبا في هذه المقاربة.

(١)- المقدمة، ابن خلدون: ص٣٥٣.

(٢)- البخاري: ج٦، ص٢٦١٤، برقم ٢٦١٤. ينظر: المعجم الكبير، الطبراني: ج٢٠، ص٢٠٥.



٦- اعتماد الحكمة في سياسة الناس

فلقد وجد علي عليه السلام الناس على مشارب واختلالات فصحّح بعضها، وأجّل تصحيح الأخرى حكمة منه لئلا يخسر الصحيح السائد، فقد استحكمت في زمن أبي بكر نوازع البشر على حساب أساسيات الشرعية وتنامت الطبقية في زمن عمر واستأثر بنو أميّة في زمن عثمان واعتاد الناس على ما يتنافى مع تطبيقات العدل لكن تصحيح الكل ربما يؤدي إلى خسارة ما هو سليم، فتعامل علي عليه السلام مع الواقع تعامل القران الكريم مع الظواهر المستعصية بأن عالجها بالتدريج والتريّث مثل معالجته لصلاة التراويح.

٧- الشورى:

رغم أن مفهوم العصمة الضامن لصحة اجتهادات الحاكم الأكمل والأفضل، إلّا أنّ نموذج الغدير رغم عصمة الإمام لم يترك الحاكم طليقًا، فبعد اختياره من النّاس جعله رجلًا في دائرة الرقابة، وقرّر أنّه لا يسلم من الأخطاء إلّا باعتماد المشورة (وهذه الفكرة هي أساس البرلمان)، فالحاكم مأمور بالمشاورة والناس مأمورون بنصح الحكام لقوله تعالى وشاورهم في الأمر وقد حصل من النبي صلى الله عليه وآله فيما يخص أمر الدنيا كقدر متيقّن وبذلك صار هذه الأمر قانون عامًا وأكرّر هنا أنّ هذه لا تتعارض مع التأهيل الإلهي للمعصوم، إذ أنّه يستمد الأسس والأطر العامة وحقائق الدين من الله ويستمد مصالح المجتمع من المجتمع نفسه.

٨- وجوب نصح الحاكم للرعية:

استقر في علم السياسة الإسلامي وجوب أن يبذل الحاكم غاية جهده لنصح الرعية وتأهيلهم ورفع مستواهم في جميع المجالات فإذا أدّى ما عليه وجب على الرعية مناصحته بلا مديح أو تزلّف أو عزوف عن تصويب، فالبدء منه والواجب عليه.

٩- الرفق بالرعية:

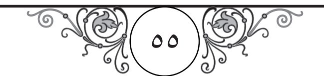
ومقتضى هذا المبدأ أن طاعة السلطة الشرعية مقيدة بالاستطاعة لقوله صلى الله عليه وآله «إذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم»١، وانتقاء الحرج وليس لحاكم حتى كانت إذا كانت شرعيته تامّة أن يكلف الرّعية ما لا يطيقون، فإذا حصل منه فهو تعسف وسوء استخدام للسلطة ومن مقدمات هذا الرفق، ألا يحتجب الحاكم عن المجتمع، ويندمج فيه ويعرف حاجاته ومشكلاته وسبل رقيه.

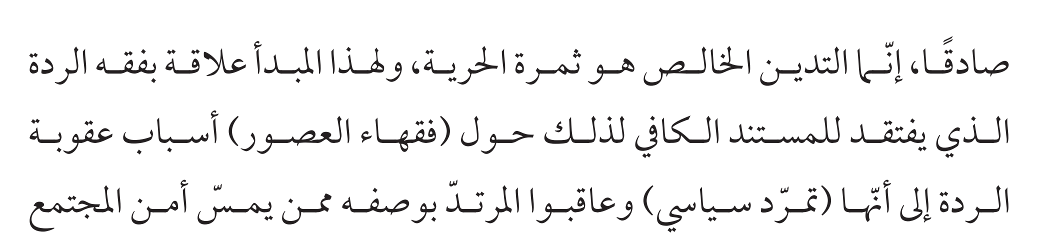
١٠- منع الاكراه على الدين:

فلقد ورد قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾٢ بأعم صيغة للعموم (النكره في سياق النفي) منعًا لتضييق دلالة الآية، والنص مؤسس لحرية الاعتقاد ابتداء واستمرارًا وانتهاءً وهو مبدأ أخلاقي ضخم مقتضاه أن يعامل الناس بغضّ النظر عما تقتنع به عقولهم ولأنّ الإكراه لا يثمر تدينًا

(١)- ابن حبان: رقم الحديث ١٨.

(٢)- سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.





صادقًا، إنّما التدين الخالص هو ثمرة الحرية، ولهذا المبدأ علاقة بفقه الردة الذي يفتقد للمستند الكافي لذلك حول (فقهاء العصور) أسباب عقوبة الردة إلى أنّها (تمرّد سياسي) وعاقبوا المرتدّ بوصفه ممن يمسّ أمن المجتمع والدولة وليس لكونه خارجة من الدين لأنّهم عجزوا عن التماس دليل تام الدلالة.

وأظن: إنّما يتصل بهذا المبدأ العظيم كل ما له علاقة بحرية التفكير والتعبير وتبعًا لهذا المبدأ فلا يجوز إجبار أحد على البيعة للحاكم حتى ولو كان شرعيًا وعادلًا.

معطيات الجدل:

من خلال المتابعة التاريخية لمسار التجربة السياسية للمسلمين بعد عصر النبوة إلى اليوم يتبين:

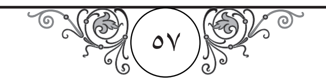
أ- أنّ موضوع الغدير كغيره من موضوعات المبادئ التأسيسية والأساسية في الإسلام وأنّه مع الأسف لم ينتقل من عالم الإمكان إلى عالم التحقق، ومثله الكثير كمبدأ حرمة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وحرمة سلب الحقوق المدنية فلم تحقق التجربة البشرية التي تنسب إلى المسلمين بوصفهم مسلمين شيئا من هذه المبادي رغم أنهم زعموا أنهم يستقون مواقفهم من النص بل كان المتحقق فعلًا مباينًا للأسس وأحيانًا ليس مغايرة للنص فقط إنّما يصل إلى حد التعاكس والتضاد.

ب- رأينا أن تجربة الخلافة (خلافة السقيفة) من جهة نمط (شرعيتها)

قدّمت ثلاثة طرق لاختيار الحاكم، الأوّل اختيار الخليفة في حالة طوارئ وتنازع واضطراب وكان اختيارًا مقتصرًا على رؤوس القوم الذين سموهم أهل الحل والعقد وبدأ كأنّه ناتج عن صراع على السلطة بين مكونات أهل المدينة (المهاجرون والأنصار) من جهة، وتحالف قريش من جهة أخرى، وبنو هاشم من جهة ثالثة، وبالرغم ممّا حصل فقد ادعى الإجماع على اختياره والحقيقة أنّه لم يحصل شيء من الإجماع وإن حصل فإنّه غير كافٍ لتقرير مسألة ذات صلة بعمق ومستقبل التجربة الدينية.

ج- ان مسار له السياسات في تجربة الخلفاء الثلاثة مختلف في مراحله ، ففي عصر أبي بكر كان الشغل الشاغل قمع المتمردين وترسيخ الخلافة الجديدة، وفي عصر عمر بن الخطاب كان الشاغل بناء الدولة على نظم إدارية لم يكن العرب على علم بها فاستعاروا أنظمة من الحضارات المزامنة لهم مثل نظم الخراج، ثم تنظيم المجتمع على أساس طبقي (عرقي - أقدمية الإسلام - القرابة من النبي) وقد ميّزتهم سياسات التفاضل في اعطيات دولة ريعية قادها عُمَر، فكان من أبرز مهامه التوسع في الفتوحات لتأمين الإنفاق الحكومي، ومن هنا تشكّل نوع من الفساد الإداري والمالي وظهر بشكل حاد في زمن حكم عثمان إذ جمع إلى تلك المهام تسليط الأقارب على مؤسسات الدولة والمال العام ولعلّ هذا الفساد هو الذي أدخل عثمان في أتون ثلاثة حروب داخلية منظّمة كان أبرز دوافعها خسارة البغاة مكتسباتهم في سياسات العدل.

د- تميزت فترة (أبو بكر وعمر وعثمان) بأن تم اغتيال اثنين منهم،



ومقتل الثالث من المحتجين على سياساته وبهذا يتبين أن تجربة السقيفة لم تقدم أنموذجًا للمشروعية يرضى الناس عن حكامهم وآل موضوع السلطة بعد ذلك للإمام الحسن عليه السلام الذي وجد أنّ قوى التّمرد قد تمكّنت من الهيمنة على الأغلبية الصامتة فكان بين أمرين إما جعل الإمة في خضم حرب أهلية دموية طويلة أو الاضطرار إلى التضحية بالشرعية السياسية فصار الحكم (إلى جهة قاومت الدّين الجديد حتى سنة فتح مكة، وكانت وراء الفساد في عصر عثمان) إذن فهذه التجربة بكل ما فيها، لا يمكن أن تكون تجربة قد تأسست على أساس صحيح ولا يمكن اعتبارها أصلًا يقاس عليها كما فعل الماوردي.

هـ - التداخل بين النص والتاريخ ولعل هذا التداخل من أهم التداعيات أن الحدث التاريخي حينما تحول إلى دين تلتزم به أجيال المسلمين رغم تناقضاته وتضاداته صار المائز بين ما هو إلهي وما هو تاريخي بشري مفقود، الاختلاط الأمر بدخول حوادث التاريخ في الأمور الدينية فأصبحت في ذهن بقية الأجيال دينا مثل: أن يكون الخليفة من قريش[1]، كشرط أزلي من شروط الحاكم ودعموه بالنصوص مثل «قدموا قريشا ولا تقدموها»، وهو حديث مرسل أخرجه الشافعي في مسنده[2]،

(١)- الأحكام السلطاني، الماوردي: ص١٧. ينظر: لذة العيش في طرق حديث الأئمة من قريش، ابن حجر: ص١٠٢. قال الباحثون: إسناده ضعيف لجهالة رواية بكير بن وهب الجزري وإن كثرة طرق الحديث لا تجعل الضعيف معتمدًا.

(٢)- مسند الشافعي: ج٢، ص٥٠٩.

والبيهقي في السنن[1] من طريق الشافعي نفسه، قال الجميلي عن الحديث ليس بالقوي[2].

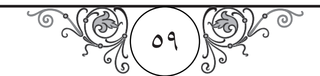
وكذلك الحال: القول بأنّ الإمامة تنعقد بإجماع أهل الحل والعقد ولا تنعقد بالنص ورغم ذلك فلا أحد يعرف كيف يكون الشخص من أهل الحل والعقد لاسيما مع اعتبار التقاليد القبلية ومعايير القوة، وتجد اضطرابًا في العدد اللازم لأهل الحل والعقد الذي يجب أن يكون نصابًا تنظيميًا، وما يثير الانتباه أنّ فكرة مؤسسة الحل والعقد لم تطبق أبدًا ناهيك عن إهدارهم إذا كانوا من جمهور الأمصار (غير عاصمة الخلافة) لأنّ إشراكهم شرط ليكون الرضا عامة والتسليم للإمامة يقع إجماعًا.

يقول الماوردي: (وهذا مذهب مدفوع بيعة أبي بكر باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب) وبهذا يؤسّس الماوردي لقلة من رؤوس القوم أن ينصبوا خليفة، ويثير اختلافهم في عدد أهل الحل والعقد الكثير من الاستغراب.

فقد قالوا: إنّ أقل من تنعقد به البيعة هو خمسة، أو يعقدها واحد من هؤلاء برضا الأربعة استدلالًا ببيعة أبي بكر فصارت الواقعة التي تحتاج إلى مستند ديني هي المستند وهنا نلحظ تضليل الكتاب للناس وتشوهات الوعي السياسي في التراث وذهب آخرون إلى أنّهم ستّة لأنّ

(١)- سنن الترمذي: ج٣، ص٦٢١.

(٢)- الأحكام السلطانية، هوامش إقباس الأنام في تخريج أحاديث الأحكام، الجميلي: ص١٨.



عمر جعل الشورى في ستة أشخاص. فتحول الإجراء الذي له أسبابه الزمنية وتموضعاته إلى نص ديني يستند إليه في الواقعات اللواحق، يقول الماوردي: وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين(١).

ونقل أن علماء الكوفة قالوا أنها تنعقد بثلاثة أو يعقدها واحد برضا الاثنين فهم بمثابة حاكم وشاهدين قياسًا على عقد النكاح بولي وشاهدين(٢)، وهنا يبدو لك النزعة الآلية للتفكير الفقهي إذ رغم تفاوت أطراف القياس يقاس تنصيب الحاكم وإقامة ركن مهم للدولة على عقد الزّواج كما نقل الماوردي: إنّها تنعقد بواحد لأن العباس بن عبد المطلب قال لعلي عليه السلام أمدد يدل أبايعك ولم يتطرق إلى أسباب رفض علي عليه السلام لهذا العرض لأنه سيؤسّس طريقة سياسية تصنع الاستبداد.

ويتضح التداخل بين الدين والتاريخ فيما ذهب إليه علماء الفقه والأصول في المذاهب الأربعة من اعتبار سلوك الصحابي دينًا يقاس عليه، وما جرى عليه العمل باجتهادات عصر أبي بكر وعمر وعثمان كمستند ديني بكل ما في بعضه من تباين مع النصوص التأسيسية واعتبار الإجماع مصدرًا من مصادر التشريع بناءً على الإجماع الأول أي إجماع (تعيين أبي بكر كخليفة) الذي لم يكن إجماعًا إنّما تسوية سياسية لرؤساء القوى الاجتماعية. فصار المصدر الثالث من مصادر الأحكام من صناعة البشر ومن مجريات التاريخ إذ لا عصمة لأحد غير من نصّ الله على عصمتهم.

(١)- هوامش اقباس الأنام في تخريج أحاديث الأحكام: ص١٨.

(٢)- م.ن.

وبشأن الكفاءة والأفضلية يقول الماوردي: إذا اجتمع أهل الحل والعقد للاختيار عليهم أن يتصفحوا أحوال من يصلح أن يكون أهل الإمامة فيقدّموه للبيعة واشترطوا له شرطين أساسين وآخر تبريري وهي:

١- أكثرهم فضلًا.

٢- أكملهم شروطًا.

٣- من يسرع الناس إلى طاعته[1] ويبدو في هذا الشرط نزعة لوضع أساس لتبرير مجريات السقيفة.

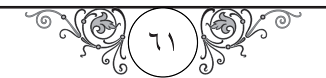
قال الطبري في تاريخ الأمم: اجتمعت الأنصار بعد وفاته واتفقوا على انتخاب سعد بن عبادة[2]، وكان الحباب بن المنذر يقول للأنصار (إنّ الناس في فيئكم وفي ظلّكم ... أنتم أهل العزّ والثّروة وأولوا العدد والمنعة والتجربة وذوو البأس والنجدة)[3]، ليصنع أسباب طلب الأنصار تولي الخلافة بالإيواء والنصرة والتضحيات التي قدمها الأنصار إبان كان أقرباؤه خصومه وقاتلي أصحابه في حين يحاورهم عمر فيقول (والله لا ترضى العرب أن يؤمركم ونبيها من غيركم) معتمدًا على القرابة النسبية.

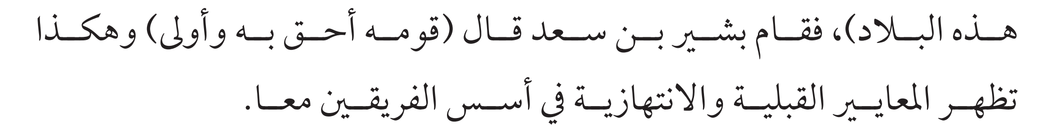
فيرد عليه الحباب بمخاطبة الأنصار (إذا عليكم القوم فأجلوهم عن

(١)- الأحكام السلطانية، الماوردي: ص١٩.

(٢)- تاريخ الأمم، الطبري: ج٢، ص٢٢٤. لقد تم اغتيال سعد بن عبادة إذ رمى بسهم وقت كان مقيمًا في الشام بعيدًا عن المدينة ولم يعلن أي تمرد على سلطة الخلافة. ينظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه: ج١٧، ص٢٤١٧.

(٣)- تاريخ الأمم، الطبري: ج٢، ص٢٢٤.





هـذه البـلاد)، فقـام بشـير بـن سـعد قـال (قومـه أحـق بـه وأولى) وهكـذا تظهـر المعايـير القبليـة والانتهازيـة في أسـس الفريقـين معـا.

عندهـا قـال أبـو بكـر هـذا عمـر وهـذا أبـو عبيـدة فايّهـما شـئتم فبايعـوه واسـتثمر الخـزرج بنـاءً عـلى صراع تاريخي مـع الأوس فبايعـوا أبـا بكـر لئـلا تسـود عليهـم الأوس١، ويكفـي أن ننظـر المشـادة بـين عمـر وسـعد بـن عبادة٢ فلـما حاولـوا إجبـاره عـلى البيعـة قـال (أمـا والله لا أبايـع حتـى أرميكـم بـما في كنانتـي مـن نبـلي وأخضـب سـنان رمحـي وأضربكـم بسـيفي مـا ملكته يـدي... فـلا افعـل وأيـم الله لـو أن الجـن اجتمعـت لكـم مـع الأنـس مـا بايعتكـم حتـى أعـرض عـلى ربي وأعلـم مـا حسـابي)٣.

يقـول الطـبري: (فـكان سـعد لا يصـلي بصلاتهـم، ولا يجمـع معهـم ولا يحـج، ولا يفيـض بإفاضتهـم، فلـم يـزل كذلـك حتـى هلـك أبـو بكـر)٤ مـن جهـة أخـرى كان الزبـير وجمـع مـن الأنصـار وبنـي هاشـم معتصمـين احتجاجا عـلى هـذا الحـدث ولم يدخلـوا في البيعـة ورغـم كل ذلـك تؤسـس البيعـة عـلى مـا يطلـق عليـه بالإجمـاع ويعتمـد كأسـاس ومصـدر مـن مصـادر الأحـكام.

٤- قنوات الفساد في تجربة الخلافة:

عـلى الرغـم مـن أن قـدرة مـن سياسـات الفسـاد قـد جـرت في الزمـن المبكـر

(١)- م.ن: ج٢، ص٢٢٦.

(٢)- م.ن.

(٣)- م.ن.

(٤)- م.ن.



للخلافة متمثلا في خروقات خالد المسكوت عنها على انه ما حصل في عصر عمر كان عصر تقنين تفاوت الطبقات وفق تركيبه اجتماعية متراتبة جديدة وبدء مظاهر الفساد، وكان عصر عثمان كان عصر استئثار أقاربه من بني أمية بالمال والولايات وإقصاء بقية الصحابة، وقد برّر له الكتاب ذلك بسبب ضعفه وهاجموا المحتجين ووصفوهم (بالدهماء والغوغاء الذين غرهم حلمه وتغاضيه وأنهم من لا يعرفون معنى للطاعة الشرعية[1] ومن الواضح أن الخليفة الثالث أبي التصحيح كما أبي التنازل والأغرب أن ابن تيمية وابن حجر يلومان عثمان على تردده في سحق الاحتجاج، لأن ذلك في رأيهم يعني الحسم[2] وهما يشرعان قمع المطالبات بالإصلاح وكانت مهمة علي عليه السلام في معالجة (ما أقطعه عثمان) مهمه صعبة جدًا إذ كلفته سياسات إعادة الأمور إلى نصابها وفق القيم التأسيسية أن يخوض مظلومًا ثلاثة حروب دموية أفقدت الأمّة تجربة سياسية عالية المستوى لو كانت قد عاشت ظروفًا سلمية وامتدت ولكان التاريخ الإسلامي من بداياته إلى اليوم أقل استبدادًا، وأقل قهرًا للإنسان.

٥- تشكل الاستبداد:

لا يستولى الاستبداد على أمة مستطيلا تام الأجزاء دفعة واحدة أنما يبدأ بذره ثم ينمو ويتغول حتى يعم كل مفاصل الحياة، فبدايات

---

(١)- الأزمة الدستورية، محمد المختار الشنقيطي: ص٢٨١.

(٢)- منهاج السنة، ابن تيمية: ج٧، ص٤٥٢. فتح الباري، ابن حجر: ج١٣، ص١٣.



الاستبداد في تجربتنا التراثية كان عبارة عن (خمسة أشخاص) اختاروا الخليفة ثم أوصي هذا الذي أختاره خمسة أشخاص وسط خلافات حادة إلى واحد فجعله خلفا له بلا مشورة أحد وبلا اعتراض من أجد ثم (ستة الشورى) الذين أنابهم عن الأمة ليقرروا شخص الحاكم وبذلك لم تتحقق الشورى بمعناها الحقيقي حتى وصل الأمر إلى إعلان معاوية عن نفسه أنّه الحاكم الذي نصّبه الله وعلى الناس قبول ذلك بوصفه دينًا وهكذا تكامل أنموذج الاستبداد السياسي الذي بقي ملازمًا لشكل الدولة في العالم الإسلامي ومستمرة إلى سقوط الخلافة العثمانية، وانعكست آثاره حتى على شكل الدولة العلمانية الراهنة، ولم تنجح محاولات النائيني والكواكبي ومعارضتهم لها معارضة دينية ومن ذات الوسط الديني.

واعتقد أنّ تلك النمطية الاستبدادية أثّرت حتى على شكل التفكير الديني فقد تخطى التفكير الديني إحدى البديهيات العقلية في وجوب تولية الأفضل منحازًا بسبب تجربة السقيفة إلى تبرير تولية المفضول لأنّ تلك التجربة أعطيت سمة دينية - من تداعيات براديم السقيفة ما ظهر فيما بعد من تنظير الجواز تولية المفضول متخطّيًا مقتضى الأصل كما يقول الماوردي أنّ على أهل الحل والعقد أن يختاروا الأكفأ والأفضل والأكمل[1]، لكنه يستدرك بقوله: (لكن إذا اختار أهل الحل من هو أدنى في الفضل لدواعٍ مقبولة جاز ذلك) قال: (فإن كان الاختيار لعذر

---

(١)- الأحكام السلطانية، الماوردي: ص١٩.

كأن يكون المفضول أطوع في الناس أو أقرب للقلوب، صحّت إمامته)١، وهنا يبدو التبرير واضحًا لأنّ ذيل الجملة يناقض مقدّمتها، لأنّ الذي حصل فعلًا هو الذي دعا الماوردي إلى أن يضع ما يبرر ذلك الواقع ثم ينقل الماوردي ما سماه اتفاق أكثر الفقهاء والمتكلمين على جواز إمامة المفضول ولا يكون وجود الأفضل مانعة من انعقاد إمامته ونقل عن بعض الخوارج، وقسم من المعتزلة، وعموم الزيدية وقسم من المرجئة٢، ومعهم أبن حزم الأندلسي٣.

قولهم بجواز تولية المفضول وأغفل ما ذهب إليه متكلمو الشيعة الإمامية ومعهم الجاحظ وطوائف من الخوارج ومن المعتزلة ومن المرجئة إلى أنه لا تجور إمامة من يوجد في النّاس من هو أفضل منه٤، ونقل عن أبن تيمية قوله (أن تولية المفضول مع وجود الأفضل ظلم عظيم)٥، لكن ابن تيمية نفسه سيبرر تولية المفضول فيما بعد ومثله محب الدين الطبري٦، ويكفي أن يستند المانعون إلى بديهة عقلية أنّ الأفضل هو الذي يحقّق المراد من تشكل الدولة الرشيدة ويرون أنّ تجاوز الأكمل والأفضل لقيادة هذه الأمة قبيح عقلًا.

(١)- م.ن: ص٢٠.

(٢)- الأحكام السلطانية، الماوردي: ص٢١.

(٣)- الفصل في الملل والنحل، ابن حزم: ج٤، ص١١٠.

(٤)- م.ن.

(٥)- منهاج السنة، ابن تيمية: ج٣، ص٢٧٧.

(٦)- الرياض النضرة، محب الدين الطبري: باب خلافة أبي بكر.

فقد قال الأشعري: يجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه ولا تنعقد لأحد مع وجود من هو أفضل منه فإنْ عقدت كان من الملوك وليس من الأئمة١.

وهكذا يتبنى الفكر الكلامي الذي صار تبعا لمجريات الواقع نظرية توليه المفضول دون تحديد الضوابط هل هو إباحة بالعنوان الأوّلي أو الثّانوي وإذا كان الأمر يجري مجرى الاستثناء والضرورة أو ما يطلق عليه بالعنوان الثّانوي في علم الأصول فلابد من تحديد سمات الضرورة التي تقدر بقدرها، لكن ليس في ثنايا الفكر الكلامي أي تفاصيل في شروط المفضول سوى قبول النّاس به سواء كان هذا القبول اضطراري أو غيره، وعلى هذا تأسّست مشروعية سلطة المتغلب على السلطة بأي شكل من أشكال القوة قهرًا لإرادة الناس وتجاوزًا لمفاهيم العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم وتدحرج حال التنظير للسلطة غير الشرعية فقال الشهرستاني (لا يشترط أن يكون الإمام أفضل علمًا وأقدمهم رأيًا وحكمًا، لأنّ الحاجة تتطلب قيام المفضول)٢.

ثم يقول (ومالت جماعة من أهل السنة أنّه يجوز أن يكون الإمام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الاجتهاد)٣، وبذلك يؤسس نموذج السقيفة لحاكم جاهل غير مجتهد ولا خبير أسوأ وتسنّ شريعة الحكام الجهلة

---

(١)- الإبانة، الأشعري: ج١، ص٢٥٢.

(٢)- الملل والنحل: ص٢٦.

(٣)- م.ن: ص٢٦.

المتعسـفين.

ومـن هنـا أوقـع (مـا جـرى في السـقيفة) المؤلفـين والمحققـين وأصحـاب الـرأي في حـرج فهـم أمـا ينكـرون شرعيـة الحـكّام الثلاثـة) وهـذا أكثـر مـن المحرمـات غلظـه وخوفـا، أو يهـدروا البديهـة العقليـة فلجـأوا إلى حـل وسـط هـو التبريـر.

يقـول ابـن تيميـة: إنّ الملـك حـرام في الإسـلام لأنّـه خـروج عـن منهـاج النبـوة والخلافـة الراشـدة. لكـن إذا مـا اضطـر إليـه المسـلمون مـن القبـول بالملـك فإنّـه يدخـل في بـاب الرّخـص الاسـتثنائية لقاعـدة الـضرورة تبيـح المحظـورات قبـل النـاس بالمفضـول١.

لكـن نـسي: أنّ ليـس هنـاك ضرورة أصـلًا وإذا وجـدت فتقـدر بقدرهـا ولا تصبـح سـنّة سياسـية مسـتدامة.

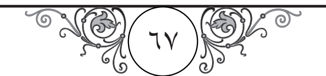
ونجـد عنـد ابـن خلـدون أنّـه رغـم توصلـه إلى اسـتنتاج مفـاده (أنّ أكثـر الأحـكام السـلطانية جائـرة في الغالـب) لأنّ العـدل المحـض في الخلافـة الشرعيـة٢ يصحـح مـا كان عليـه الراشـدون، وقـال (الـكل متبرئـون مـن الملـك، متجـاوزا مـا حصـل في عـصر عثـمان)، ومـن تبريـرات ابـن خلـدون أنّـه يقسّـم أنـماط السـلطة عـلى النحـو التـالي:

١- الخلافة الشرعية على منهاج النبوة.

---

(١)- الخلافة والملك، ابن تيمية: ص٢٧.

(٢)- مقدمة ابن خلدون: ص٤٦١.



٢- مزيج من الخلافة والملك.

٣- الملك المحض١.

دون التسميات والتشخيصات وإذا كان حكم معاوية هو الملك المحض فمن هو المزيج.

ويكشف المودودي في كتابه (الخلافة والملك) الفروقات بينهما:

١- التغير في قانون نصب الخليفة فالبيعة مانحة للسلطة وسببها.

٢- التغيير في طريقة عيش الفقهاء.

٣- التغيير في وضع بيت المال من التصرف به كأمين إلى مالك.

٤- زوال حرية الرأي.

٥- زوال حرية القضاء.

٦- انتهاء حكومة الشورى.

٧- ظهور العصبيات القومية.

٨- زوال سيادة القانون٢.

ولعمري هذه خصائص التجربة السياسية لعصور ما بعد النبي صلى الله عليه وآله دون أن يسميها ورغم ذلك نادى باستعادة الخلافة مع علمه

---

(١)- م.ن: ص٢٦١.

(٢)- الخلافة والملك، المودودي: ص٩٩-١١١.

بمفاسدها في كل العصور[1].

ومن الغريب أن يكتب باحث معاصر نصًا فيه قدر كبير من تجاوز الحقائق التاريخية يقول (وبهذا الوضوح النظري والتحليلي استطاع ابن تيمية أن يوفّق بين النصوص الشرعية توفيقًا حسنًا عجز عنه كثيرون من فقهاء السياسة الذي تصدوا لرقع هذه المفارقات النظرية واصطدامها بالمأزق العملي.

قال عبد السلام ياسين: أنّ تجربتنا السياسية الإسلامية انحدرت إلينا من خلال تأريخ متكسّر بالصراعات المذهبية الخطيرة التي ورثناها عنها[2].

وأشار: إلى ورطة فقهاء السياسة حينما قالوا بإمامة المتغلب، وأشار أيضًا إلى قصر النظر في اختياراتهم[3]، التي ضحت بالشرعية السياسية ويلمح عبد السلام ياسين أنّ قبول ابن تيمية بعيوب الملك كان ناتجًا عن اضطرار للدفاع عن الحال القائم خوفًا من انهيار الأسس الأولى لما هو متراكم الآن من تطبيقات نظرية عدالة الصحابة[4]، وإلى مثله ذهب أيضًا رضوان السيد من أنّه كان مأزقًا كبيرًا للترجيح بين الشرعية والوحدة.

وما نصل إليه مما تقدم أنّ السياق التاريخي للتجربة السياسية الإسلامية

(١)- أنظر: الخلافة والملك، عبد السلام ياسين: ص٥١-٦٨.

(٢)- الخلافة والملك، ياسين: ص٥٢-٦٦.

(٣)- م.ن: ص٦٦.

(٤)- الخلافة والملك، ياسين: ص٧٩.



بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله لم يكن سياقًا حقق المبادئ الإسلامية للشرعية وقد اختلطت به القيم القبلية والعرفية فكان عبارة عن تمسك بمرجعية العشيرة والقوم في أوله واستلهام النماذج الإمبراطورية من كسرى وقيصر في وسطه والغرق في الدماء والجور والتفرد في نهاياته التي أفصحت عنها قصة آخر الخلفاء مع قائد جيش المغول الذي دخل بغداد مستغلًا هشاشة الوضع السياسي.

ووضح أنّ الضمير اليقظ المسلم لم يستسلم للاستبداد والانكسار التاريخي فكان يمثل تيار المعارضة المستمرة التي تكافح الجور مرة بالعمل التعبوي السلمي وأخرى بوسائل الدفاع الشرعي عن الذات لاسيما عندما تتغول سلطة الاستبداد لذلك فالدعوى المعاصرة إلى استئناف الخلافة، واستعادة الحكومة الإسلامية يلزمها إجراء مراجعة شاملة على أساس القيم التأسيسية لدولة المدينة المنورة وميثاقها والخروج مما يسمى بفقه الضرورات وهواجس الفتنة إلى فقه المبادئ ونصاعة الرؤية الإلهية وتخطي الذات التاريخية المنكسرة وترجمة تلك القيم والمبادئ إلى مؤسسات ونظم وقوانين وإجراءات دستورية لازمة.

ولا بد من ردم الهوة بين القيم الدينية الأساسية في صدد مشروعية السلطة وبين الإجراءات التي اعتمدها الناس طبقًا لمقتضيات أزماتهم وهذه الهوه وما لحقها من تبريرات هي السبب في (نمط الاستبداد السائد في العالم الإسلامي بل أنّ ذلك التراث يشكل ذهنية للإنسان المسلم تجعله لا يقدر على أسلمة الديمقراطيات المعاصرة والإفادة منها



في مؤسساته وإجراءاته السياسية وما لم تجر مثل هذه المراجعة يبقى الحال دون حل شاف.

وما صوّره التبريريون من تزاحم وتصادم وتضاد الشرعية مع وحدة الأمة (تبرير محض) تحول إلى معضلة (عدم الجمع بين الأمرين) وربما لم يقف منظر في عالمنا أمام معضلة مثل هذه في طول التاريخ فالمعادلة جعلت الناس أمام أحد خيارين إمّا الفوضى وانعدام الأمن وتفشي سلوكيات العدوان على الغير وإمّا القبول بالاستبداد والطغيان، وكان المبررون يخيفون الناس بالفوضى أكثر من الاستبداد.

ويلفت النظر: أنّ القدماء والمتأخرين من منظري الفكر السياسي الإسلامي لم يستفيدوا من التجارب الإنسانية والفكرية في المجال السياسي على خلفية أيديولوجيا المباينة بين الأمة المؤمنة والأمم الكافرة التي لا تنتج بالضرورة إلّا فكرة كافرة!! وهو جزء من الصراع الفوقي بين الذات والآخر.

المصادر والمراجع

الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، ضبط حواشي وتعليق عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت.

صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت٣٥٤هـ)، نشر دار المعارف، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت٤٥٠هـ)، ضبط وتصحيح أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأحكام السلطانية، بهامش إقباس الأنام في تخريج أحاديث الأحكام، خالد رشيد الجميلي، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية، ١٩٨٩م.

الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية من الفتنة الكبرى إلى الربيع العربي، محمد المختار الشنقيطي، نشر منتدى العلاقات العربية والدولية، ٢٠١٨م.

أم القرى، عبد الرحمن الكواكبي، دار الرائد، ١٩٨٢م.

جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

البداية والنهاية، ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيرت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دار الفكر.

تفسير الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

تنبيه الأمة وتنزيه الملة، الميرزا الشيخ محمد حسين النائيني، تقديم شيماء العقالي، تحقيق عبد الكريم آل نجف، تعريب عبد المحسن آل نجف، دار الكتاب المصري، القاهرة، مكتبة الاسكندرية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م.

المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

لا إكراه في الدين إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم، طه جابر العلواني، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦.

الخلافة والملك، ابن تيمية، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

الخلافة والملك، المودودي، تحقيق أحمد إدريس، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

الخلافة والملك، عبد السلام ياسين، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٨م.

رسائل الجاحظ.

الرياض النضرة في مناقب العشرة، أحمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس محب الدين الطبري، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.



سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

السنن الكبرى، (سنن البيهقي)، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

سنن الترمذي (الجامع الكبير)، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م

السنن الكبرى (سنن النسائي الكبرى)، أحمد بن علي بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

السياسة والفراسة، أرسطو طاليس، دار العلوم، بيروت، ١٩٩٠.

السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

شرح مُشْكِلِ الآثار، حمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ الطحاوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

مشكلات الحضارة شروط النهضة، ندوة مالك بن نبي، ترجمة عمر

كامل مسقاوي وعبدالصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصرة، بيروت، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى (ت٢٦١هـ)، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

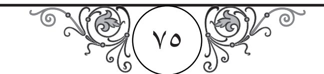
طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبدالرحمن الكواكبي، دار الكرامة.

ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

هيجل العالم الشرقي، ترجمة وتقديم تعليق الدكتور إمام عبدالفتاح إمام، محاضرات في الفلسفة والتاريخ، دار التنوير، ٢٠٢٠م.

العقد الفريد، شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.



الفصل في الملل والأهواء والنحل، وبهامشه الملل والنحل، ابن حزم الشهرستاني، نشر محمد علي صبيح، ١٣٤٨هـ.

كتب الفرق والمقالات حتى نهاية القرن السادس، جاسم الجزائري، رسالة دكتوراه، كلية ابن رشد.

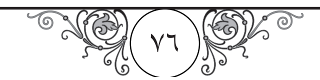
لذة العيش في طرق حديث الأئمة من قريش، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

مسند الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية محمد عابد السندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية،



القاهـرة، الطبعـة الثانيـة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

مقـالات الإسـلاميين واختـلاف المصلـين، أبـو الحسـن عـلي بـن إسـماعيل بـن إسـحاق الأشـعري (ت٣٢٤هـ)، تصحيـح هلمـوت ريـتر، دار فرانـز شـتايز، فيسـبادن، ألمانيـا، الطبعـة الثالثـة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

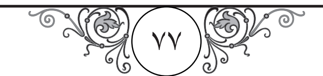
مقدمـة ابـن خلـدون، عبدالرحمـن بـن محمـد بـن خلـدون ولي الديـن، تحقيـق عبـد الله محمـد الدرويـش، دار يعرب، الطبعـة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الملـل والنحـل، أبـو الفتـح محمـد بـن عبدالكريـم بـن أبي بكـر أحمـد الشهرسـتاني (ت٥٤٨هـ)، مؤسسـة الحلبـي.

منهـاج السـنة النبويـة في نقـض كلام الشـيعة القدريـة، تقـي الديـن أحمـد بـن عبدالحليـم بـن عبدالسـلام تقـي الديـن ابـن تيميـة، تحقيـق محمـد رشـاد سـالم، جامعـة محمد بـن سـعود الإسـلامية، الطبعـة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الميـزان في تفسـير القـرآن، العلامـة السـيد محمـد حسـين الطباطبائـي، دار الكتـب الإسـلامية، انتشـارات اسـماعيليان، قـم، إيـران.

النهايـة في غريـب الحديـث والأثـر، مجـد الديـن أبـو السـعادات المبـارك ابـن الأثـير (ت٦٠٦هـ)، تحقيـق أحمـد الـرازي، ومحمـود محمـد الطناحـي، المكتبـة العلمية، بـيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.



الغدير وإشكالية التعايش قراءة سوسيولوجية في دولة العدل الإلهي

أ. م. د. احمد عبد الرضا الحسني... أ. د. وليد عبد جبر الخفاجي

المقدمة :

هنالك رؤيتان للدين والحضارة، احدهما ترى ان الحضارة هي منتجة للأديان، وهذا الاتجاه يتبناه ويروج له الاتجاه المتريالي، الذي يعتقد ان الاديان هي نتاج الإنسان والمجتمع، وما الاعتقادات بالماورائيات وغير المحسوسات الا جملة من الخرافات والاساطير التي اختلقها ونسجها وتخيلها الإنسان، ولذلك ترى السوسيولوجيين والانثروبولوجيين الغربيين بنوا فرضياتهم على تخمينات ابتعدت عن الاسس العلمية السليمة القائمة على الحجة والدليل، بل فرضوا رؤيتهم القائمة على نكران سماوية الاديان نتيجة ردة فعلهم على الكنيسة وقسسها ورهبانها، ولذلك رفضوا كل التشريعات والقوانين السماوية وعدوها غير متماشية زمانيا ومكانيا مع واقع المجتمعات، بالمقابل كانت الرؤية الوحيانية التي ترى الاديان هي نتاج السماء وهي خلق الله انزلها وانبيائه دستورا وقانونا لتنظيم الحياة وبناءها الاجتماعي، صحيح ان الديانتين الكبريين اليهودية والمسيحية قد تعرضت الى الضياع والتحريف وهذا ما صرح به احبارهم ورهبانهم، ولذا لا نجد في تلكم الاديان التشريعات التي جاء بها موسى وعيسى عليهما السلام، فالتوراة تعني بالجانب الدنيوي مهملة اللاهوت،

بينما الانجيل تراه يركز على الجانب اللاهوتي متجاهلا الناسوت، بينما الإسلام بقرآنه المجيد يعني بجانبي الإنسان والمجتمع الروح والمادي، فالإسلام ركز على تحقيق التوازن الإنساني بشقيه المعاملاتي والعباداتي، هذا التكامل اضفى على الإسلام التكامل والقابلية لإدارة وتنظيم الحياة الإنسانية منذ نشأة الإنسان الأولى وحتى قيام الساعة، كونها سنن وقوانين الهية خالقها ومصيرها عليم خبير، وليست كالقوانين الوضعية الخاضعة والقائمة على شهوات وغرائز واضعيها مستهدفة مصالحهم واهوائهم، فهي تزول وتضمحل بمجرد تعارضها ومصالحهم. ولهذا ترى الإسلام تعرض ويتعرض لهجمة شرسة من المنظومات الدينية المنحرفة، فضلا عن المنظومات الالحادية العلمانية، والتي تقدم نفسها اليوم تحت اسم العولمة، فهم يريدون ان تتسيد حضارتهم ومنظومتهم القيمية الحضارات الإنسانية، وعدوا الحضارة الإسلامية، هي الخطر المحدق ويجب ازالته بأية وسيلة، ولذلك تراهم افتعلوا الازمات والحروب في العالم الإسلامي وقدموا نماذج من عملائهم البسوهم عباءة الإسلام، فعاثوا بالأرض الفساد، مستهدفين كل من لا يتوافق وطروحاتهم من ابناء جلدتهم وكذلك الاخرين غير المسلمين من المسيحيين واليزيديين (الايزيديين)، والصابئة، مقدمين حضارتهم بديلا عن الإسلام في احتضان التنوع الديني والعرقي، ويكأن الإسلام لا يقبل الاخر، موهمين المجتمع الإنساني بما فعله وقدمه انموذجهم من اساءة للإسلام والمسلمين. في هذه الدراسة سنستعرض مقارنة وتحليلا المنظومة القيمية الإسلامية وحضارتها في قبول الاخر



تعايشا وتسامحا ومحبة هذه المبادئ والمرتكزات التي انفرد بها الإسلام المحمدي العلوي الناصع، والوقوف على مفهومات الغدير والتعايش والتسامح، ودولة العدل الالهي، والتكافل الاجتماعي، ومعالجة تلكم المواضيع بطريقة مستهدية ومستلهمة كتاب الله وسنة نبيه مع الاهتمام بتجربة الإمام علي باب مدينة العلم لأنها التجربة الإسلامية الأولى في قبول الاخر على وفق مبادئ كتاب الله والعترة الطاهرة.

أولاً: موضوع الدراسة:

تناولت الدراسة موضوعا في غاية الاهمية والحساسية وهو هل الإسلام بتشريعاته وسننه يستوعب الاخر؟ وهل التنوع الديني والعرقي من مقوماته الاجتماعية؟ وهل دعوى العولمة بمدنيتها ولبرلتها وبحسب دعواها هي البديل الناجع للحفاظ على ذلك التنوع في المجتمع الإسلامي؟ وهل الحضارة الغربية نجحت في حفظ التنوع في بلدانها، وقضت على افة التمييز العنصري التي تفتك ببنيتها؟ ام هي دعاوى زائفة يراد منها الاستعمار والهيمنة؟.

هذه التساؤلات ستتبنى الدراسة الاجابة عليها من خلال استعراض مفهومات الغدير، والتعايش والتسامح، ودولة العدل الالهي والتكافل الاجتماعي، واقفة على اي الحضارتين وكارزماتها، اقوم وانجع في تحقيق العدالة الاجتماعية؟.

ثانيا:- المنهجية



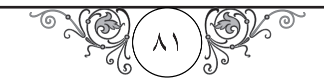
اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي المقارن في قراءة تحليلية للحضارة الإسلامية ومقوماتها وامتداداتها الوحيانية وتشريعاتها وقوانينها ودساتيرها السماوية الالهية التي تمتاز بشمولها الزماني والمكاني، مقابل الحضارة الغربية بمقوماتها وكينونتها الوضعية القائمة على النظام الرأسمالي الليبرالي.

ثالثا: - التعايش والتسامح على وفق المنظور الإسلامي: -

العيش لغة: الحياة، والمعيشة: التي يعيش بها الإنسان من المطعم والمشرب، والارض معاش للخلق يلتمسوا فيها معايشهم١، وعايشه: عاش معه كقوله عاشره، قال قعنب بن ام صاحب: وقد علمت على اني اعايشهم لانبرح الدهر الا بيننا احن٢

عند البحث عن مفهوم التعايش، تجد أن أغلب المعرفين لهذا المفهوم، يعرفونه من ناحية غير مرتبطة بالمعنى الديني أو العقائدي بشكل خاص، لذلك تجد أن هذا المفهوم مرتبط بمعنى التعايش السلمي، أو التعايش الثقافي. ان التعايش مع أهل الكتاب والآخرين بواقع عملي واحتكاك مباشر معهم، يظهر مدى أصالة وقيم الإسلام في التعامل معهم،

فالعلاقات الإنسانية على وفق النظرة الإسلامية تنطلق من رؤى تقوم على اساس احترام التعدديات بانواعها الدينية والاثنية العرقية والحضرية والفكرية وغيرها، فضلا عن الاعتراف الايجابي بالاخر، وذلك في اطار السعي لبناء حضارة اجتماعية تعمل لخير الإنسانية جمعاء وهذه العلاقة بين البشر على اختلافهم وتنوعهم تقوم على مجموعة من الاسس منها:-



سنة الاختلاف وفيها ان التنوع والتعدد والاختلاف سنّةٌ من سنن الله. قال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالون مختلفين(١١٨) الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (١١٩) هود.

وكذلك اقرار الاختلاف في الدين بانه سنة من سنن الكون، فمن المستحيل ان يتفق الناس جميعا في الافكار والتصورات، فضلا عن الدين ومن المعلوم ان الإسلام يقوم على الاعتراف الايجابي وقبول الاخر، واقراره على معتقده ودينه، كما في قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) الكافرون(٦).

وبما ان المسلمين يعتقدون ان هداية الناس بيد الله وحده قال تعالى (ليس عليكم هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) البقرة ٢٧٢. فهم مأمورون بالدعوة الى الله قال جل شأنه (فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ) الشورى ٤٨. وعليه فان المسلم ليس من حقه ان يحاسب ويعاقب من لم يقبل الدعوة الإسلامية، فالحساب بحسب هذا المفهوم هو لله صاحب المشيئة المطلقة قال تعالى (وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) الحج. ٦٨

ان هذه الاسس كانت من مرتكزات النظام الإسلامي في دولة النبي الأكرم صلوات الله عليه واله ووصيه وخليفته الإمام علي سلام الله عليه. ويبقى التساؤل قائما لماذا لاتقوم دعائم المجتمعات الإسلامية في راهننا

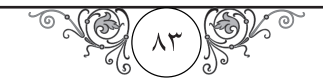
المعاصر على النهج المحمدي العلوي في التعايش والتسامح؟

ان الفشل الذي تعيشه مجتمعاتنا في تجسيد التآخي والتعايش والتسامح الإنساني بين المسلمين وغيرهم، بل وبين المسلمين انفسهم مردُه جملة من الاسباب الخارجية والداخلية (فحصوننا مهددة من الداخل والخارج)، فالخارجية متمثلة بالغزو الصهيوامريكي بكل ميكانزماته وادواته للسيطرة والحؤول من حيوية وديمومة الإسلام وقيمه، من اجل الهيمنة على جغرافية وديموغرافية العالم الإسلامي لتحقيق مصالحهم واطماعهم. مستخدمين وموظفين جملة من اذنابهم وخدمتهم، النظم الحاكمة في تحقيق تلكم الاهداف مستغلين واقع الجهل والانحطاط الديني والحضاري الذي يعيشه المسلمون. وما دعوات العلمانية ومدنيتها وتزويقها مقابل تقديمهم انموذج يسمونه ديني من صنيعتهم كما في طالبان والقاعدة وداعش الا لتشويه صورة الإسلام وسلخ المجتمع المسلم من منظومته القيمية والباسه ثقافتهم القائمة عل التفكك الاسري والمجتمعي.

ان الرجوع الى النهج الإسلامي ومبادئه الالهية يتطلب الاهتمام بلبنة المجتمع الأولى(الاسرة) فهي مدار التمدن والتحضر في خلق مجتمع معافى وهذا يتطلب تظافر جهود مجتمعية نخبوية حاملة لتلكم القيم وفضائلها.

التعايش والتسامح:

ان الوقوف على مفهوم التعايش لابد من الوقوف على مفهوم التسامح الذي يعد من جزئياته بل من مكوناته الاساسية



فالتسامح لغة كما جاء في لسان العرب في مادة (سَمَحَ) السَّماحُ والسَّماحةُ: الجُودُ. سَمُحَ سَماحَةً وسُمُوحة وسَماحاً: جاد؛ ورجلٌ سَمْحٌ وامرأة سَمْحة من رجال ونساء سِماح وسُمَحاء فيهما، حكى الأَخيرة الفارسي عن أَحمد بن يحيى. ورجل سَمِيحٌ ومِسْمَح ومِسْماحٌ: سَمْح؛ ورجال مَسامِيحُ ونساء مَسامِيحُ؛ وفي الحديث: يقول الله عز وجل: أَسْمِحُوا لعبدي كإِسماحه إِلى عبادي؛ الإِسماح: لغة في السَّماحِ؛يقال: سَمَحَ وأَسْمَحَ إِذا جاد وأَعطى عن كَرَمٍ وسَخاءٍ؛ وقيل: إِنما يقال في السَّخاء سَمَح، وأَما أَسْمَح فإِنما يقال في المتابعة والانقياد؛ ويقال: أَسْمَحَتْ نَفْسُه إِذا انقادت، والصحيح الأَول؛ وسَمَح لي فلان أَي أَعطاني؛ وسَمَح لي بذلك يَسْمَحُ سَماحة. والمُسامَحَة: المُساهَلة. وتَسامحوا: تَساهَلوا. وفي الحديث المشهور: السَّماحُ رَباحٌ أَي المُساهلة في الأَشياء تُرْبِحُ صاحبَها. ويقال: أَسْمَحَتْ قَرِينتُه إِذا ذلَّ واستقام، وسَمَحَتِ الناقة إِذا انقادت فأَسرعت، وأَسْمَحَتْ قَرُونَتُه وسامحت كذلك أَي ذلت نفسه وتابعت. ويقال: فلانٌ سَمِيحٌ لَيحٌ وسَمْحٌ لَمْحٌ. وتقول العرب:عليك بالحق فإِن فيه لمَسْمَحاً أَي مُتَّسَعاً، كما قالوا: إِن فيه لمَنْدُوحةً[3].

و التسامح كما جاء في تعريفه إصطلاحاً: (هو كلمه دارجة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية كانت أم الفردية تقضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء. وأخيراً فالتسامح بالمعنى الحديث يدل على قبول اختلاف الآخرين - سواء في الدين أم العرق أم السياسة - أو عدم منع الآخرين من أن يكونوا

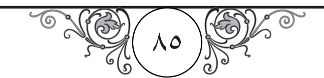
آخرين أو إكراههم على التخلي عن آخريتهم.

*نظرة أولية في المفهوم: يتعلق مفهوم التسامح بمجموعة من الحقوق التي تميز أي نظام ديموقراطي من قبيل السماح بالتعبير عن الرأي و التنظيم و مساواة الجميع أمام القانون والرفق بأسرى الحرب، واحترام أو قبول رأي الاقلية. وهو ممارسة أخلاقية يمكن أن تكون على مستوى الأفراد والجماعات والأديان والمذاهب والدول، وهو مبدأ ينبثق عنه قرار الاستعداد للسماح بالتعبير عن الأفكار والمصالح التي تتعارض مع أفكارنا ومصالحنا.

ومن هذه الجهة يمكن تعريف التسامح اصطلاحا: بأنه الاحترام و القبول والتقدير للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة.

وإن هذا التعريف للتسامح يعني قبل كل شيء اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوقهم وحريتهم الأساسية المعترف بها عمليا. وممارسة التسامح لا تتعارض مع احترام حقوق الإنسان ولا تعني قبول الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن حقوقه ومعتقداته أو التهاون بشأنها.

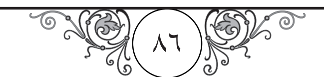
*أشكال التسامح ووسائله: للتسامح عدة متعلقات ويتمظهر في موضوعات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية بين الأفراد و الجماعات و العلاقات بين الدولة وأبرز أشكال التسامح ما يلي: التسامح الديني كما





يظهر من إشارة قوله تعالى: إن الذين امنوا و الذين هادوا و الصابئين والنصارى من ءامن بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون سورة المائدة آية(٦٩)التسامح في المعاملات كما يظهر من قوله تعالى: ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون سورة المؤمنون: آية(٩٦) التسامح العرقي كما يشير إليه نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله في خطبة حجة الوداع: إن أباكم واحدٌ كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى. التسامح الثقافي حيث تبرز خصائص المجتمعات المتعددة، فإن لكل مجتمع ثقافته التي يعتز بها ويحاول نشرها. *أما وسائل التسامح فتتمثل في ما يلي: * الحوار العقلاني الهادف والالتزام بقواعد العيش المشترك. * التهدئة السلوكية والرفق العملي ونبذ العنف مع الآخر. * احترام حرية الآخرين والالتزام برحابة الصدر وقبول التعددية * إعطاء الأولوية للمصلحة العامة وقضايا الإنسان. * التعليم و التثقيف ونبذ التحريض وتجريم سلوك الكراهية٤.

*أثر التسامح في العلاقات الإنسانية إن المجتمع الإنساني ينطوي على درجة كبيرة من التباين والتوحد في الوقت نفسه حيث يتجلى التباين في العدد الكبير من الأعراق و الأجناس و الأديان والمذاهب و القوميات التي تحمل قيماً ومعتقدات تؤدي إلى ثقافات مختلفة ويتجلى التوحد في أن كل أعضاء هذه الكيانات البشرية يشتركون في كونهم يسعون للعيش بكرامة وسلام وتحقيق طموحاتهم ومصالحهم، وعلى ذلك فإن ما يجمع الناس



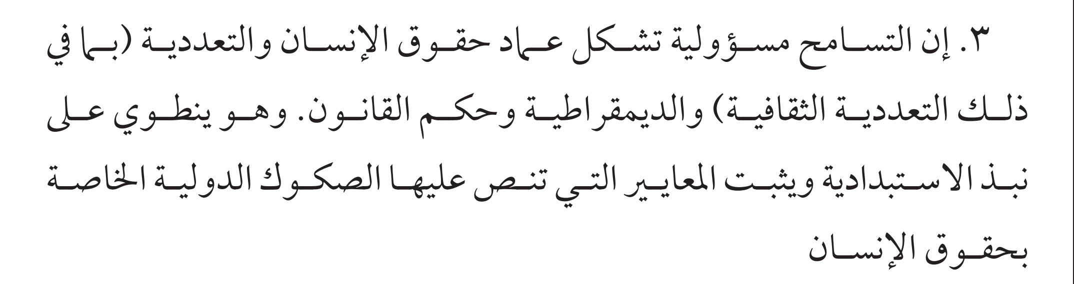
هو أكثر مما يفرقهم ولكن لماذا العنف والصراع و الحقد والكراهية التي يشهدها العالم اليوم؟! وفي العصر الحالي فإن احتكاك المجتمعات بعضها البعض وتشابك المصالح فيما بينها نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات و المواصلات جعل من التسامح و التعايش و الاتصال و الحوار المفتوح والعيش المشترك ضرورات لا بد منها لتحقيق مصالح المجتمعات جميعها. وبهذا يصبح العالم يوما بعد يوم أكثر حاجة إلى التسامح والتساهل.

*المحددات العامة لمفهوم التسامح:

١. إن التسامح يتمثل في الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا. ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد. فهو الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجبا أخلاقيا فحسب، وإنما هو واجب ديني وسياسي وقانوني أيضا، والتسامح، هو الفضيلة التي تيسّر قيام السلام، وتسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب

٢. إن التسامح لا يعني المساواة أو التنازل أو التساهل بل التسامح هو اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالميا. ولا يجوز بأي حال الاحتجاج بالتسامح لتبرير المساس بهذه القيم الأساسية. فلا يجوز بحجة التسامح أن يتم شطب الحق في الأرض أو حق العودة إلى الوطن أو حق ممارسة الشعائر الدينية أو حق الدفاع عن المقدسات الدينية

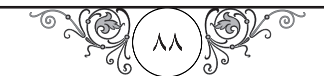



٣. إن التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية (بما في ذلك التعددية الثقافية) والديمقراطية وحكم القانون. وهو ينطوي على نبذ الاستبدادية ويثبت المعايير التي تنص عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان

٤. ولا تتعارض ممارسة التسامح مع احترام حقوق الإنسان، ولذلك فهي لا تعني تقبل الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها. بل تعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم. والتسامح يعني الإقرار بأن البشر المختلفين بطبعهم في مظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، لهم الحق في العيش بسلام وفي أن يطابق مظهرهم مخبرهم، وهي تعني أيضا أن آراء الفرد لا ينبغي أن تفرض على الغير، كما لا يحق للغير أن بفرض رأيه أو معتقده أو نمط عيشه أو هويته على الكون بمعنى قولبة العالم لصالح مشروح واحد يطمس هويات المجتمعات وثقافاتهم

٥. ومن الجوهري لتحقيق الوئام على المستوى الدولي أن يلقى التعدد الثقافي الذي يميز الأسرة البشرية قبولا واحتراما من جانب الأفراد والجماعات والأمم. فبدون التسامح لا يمكن أن يكون هناك سلام، وبدون السلام لا يمكن أن تكون هناك تنمية أو ديمقراطية

٦. وقد يتجسد عدم التسامح في تهميش الفئات المستضعفة، واستبعادها من المشاركة الاجتماعية والسياسية، وممارسة العنف والتمييز ضدها. كما يتجسد عدم التسامح في السكوت عن جرائم الحرب والاحتلال والكيل

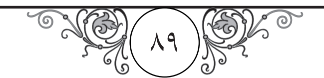


بمكيالين على مستوى السياسة الدولية.

٧. إن التسامح أمر جوهري في العالم الحديث أكثر منه في أي وقت مضى، فهذا العصر يتميز بعولمة الاقتصاد وبالسرعة المتزايدة في الحركة والتنقل والاتصال، والتكامل والتكافل، وحركات الهجرة وانتقال السكان على نطاق واسع، والتوسع الحضري، وتغيير الأنماط الاجتماعية. ولما كان التنوع ماثلا في كل بقعة من بقاع العالم، فإن تصاعد حدة عدم التسامح والنزاع بات خطرا يهدد ضمنا كل منطقة، ولا يقتصر هذا الخطر على بلد بعينه بل يشمل العالم بأسره.

٨. والتسامح ضروري بين الأفراد والجماعات والأديان وعلى صعيد الأسرة والمجتمع المحلي، وأن جهود تعزيز التسامح وتكوين المواقف القائمة على الانفتاح وإصغاء البعض للبعض والتضامن ينبغي أن تبذل في المدارس والجامعات وعن طريق التعليم غير النظامي وفي المنزل وفي مواقع العمل. وبإمكان وسائل الإعلام والاتصال أن تضطلع بدور بناء في تيسير التحاور والنقاش بصورة حرة ومفتوحة، وفي نشر قيم التسامح وإبراز مخاطر اللامبالاة تجاه ظهور الجماعات والأيديولوجيات والدول العنصرية غير المتسامحة التي تسعى ليل نهار لسحق من لا يحبها ويتولاها ويلتزم مشروعها.

٩. وفيما يتصل بشأن العنصر والتحيز العنصري، فمن الواجب أن تتخذ التدابير الكفيلة بضمان التساوي في الكرامة والحقوق للأفراد والجماعات حيثما اقتضى الأمر ذلك. وينبغي في هذا الصدد إيلاء اهتمام خاص للفئات



المستضعفة التي تعاني من الحرمان الاجتماعي أو الاقتصادي، أو الأمني لضمان شمولها بحماية القانون وانتفاعها بالتدابير الاجتماعية السارية ولا سيما فيما يتعلق بالمسكن والعمل والرعاية الصحية، وضمان احترام أصالة ثقافتها وقيمها وانتماءاتها الوطنية وهويتها الدينية، ومساعدتها على التقدم والاندماج على الصعيد الاجتماعي والمهني

١٠. إن التعليم هو أنجع الوسائل لمنع اللاتسامح، وأول خطوة في مجال التسامح، هي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها وذلك لكي تحترم هذه الحقوق والحريات فضلا عن تعزيز عزمهم على حماية حقوق وحريات الآخرين.

١١. وينبغي أن يعتبر التعليم في مجال التسامح ضرورة ملحة، ولذا يلزم التشجيع على اعتماد أساليب منهجية وعقلانية لتعليم التسامح تتناول أسباب اللاتسامح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية - أي الجذور الرئيسية للاحتلال والقهر والعنف والاستبعاد، وينبغي أن تسهم السياسات والبرامج التعليمية في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الأفراد وكذلك بين المجموعات الاثنية والاجتماعية والثقافية والدينية واللغوية وفيما بين الأمم.

١٢. إن التعليم في مجال التسامح يجب أن يستهدف مقاومة تأثير العوامل المؤدية إلى الخوف من الآخرين واستبعادهم، ومساعدة الاجيال على تنمية قدراتهم على استقلال الرأي والتفكير النقدي والتفكير الأخلاقي.

والسؤال الذي يطرح في هذا السياق هو: ما الجذور المعرفية والفكرية لمفهوم التسامح في الرؤية الإسلامية؟

*مفهوم التسامح في المنظور الإسلامي:

ثمة مجموعة مداخل منهجية عديدة لتوضيح مفهوم التسامح في المنظور الإسلامي، إلا أن من أهمها هي تلك المرتبطة بطبيعة الإسلام وتشريعاته ونظمه. إذ لا يمكننا منهجيا أن نتصور تشريعات الإسلام وأحكامه ونظمه بكل مستوياتها، بعيدا عن حقيقة التسامح التي تحتضنها كل جميع تشريعات الإسلام وقيمه.

ووجود مفارقة صارخة على هذا الصعيد بين قيم الإسلام ومثله وواقع المسلمين المليء بالكثير من المظاهر والحقائق المضادة لمفهوم التسامح... يدفعنا إلى الإصرار على أهمية اكتشاف رؤية الإسلام لمفهوم التسامح، من داخل قيمه ومن الطبيعة التشريعية والقانونية التي تمثلها قيم الإسلام ونظمه الأساس.. ففي الإسلام تعتبر الكلمة أساساً في الدعوة، ذلك لأن الهدف من الدعوة إلى الله تعالى هو إيصال الحق إلى العقول والقلوب، ليستقر فيهما كقوة تحرك الإنسان باتجاه الفضيلة، ومن هذه الجهة فإن من الضروري أن تكون الكلمة هي الوسيلة الأساس في تحقيق هذا الهدف، بسبب ما فيها من رؤية ولين وقدرة على الإقناع والتأثير، وبسبب ما تحققه من ضمانة الثبات والتمكن لأفكارها في القلوب والسلوك. وهذا السياق هو الذي تؤكده الآيات القرآنية الكريمة بوصفه خصوصية التميز التي اختصت بها الدعوة الإسلامية، التي أرادت السمو

بالإنسان إلى موقع الخلافة الصالحة في الأرض تمهيدا لموقع التكامل في ملكوت الله تعالى والأنس بجواره. فيقول الله سبحانه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).. (سورة النحل، الآية ١٢٥).

والموعظة الحسنة هي: التي تدخل القلب برفق، وتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية. فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ويأتي بخير من الزجر والتأنيب. والدعوة إلى سلوك الطريق الأحسن في مقام الجدل والصراع الفكري، هي دعوة قرآنية تخاطب كل مجال من مجالات الصراع في الحياة وتتصل بكل علاقة من علاقات الإنسان بأخيه الإنسان في مجالات هذا الصراع.. إنها دعوة الله إلى الإنسان في قوله تعالى(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).. (سورة فصلت، الآية ٣٤).. وقوله (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا).. هذه الدعوة الصافية التي توحي للإنسان أنى وجد، أن مهمته في الحياة هي أن يثير في الإنسانية عوامل الخير ويلتقي بها في عملية استثارة واستثمار، بدلا من عوامل الشر التي تهدم ولا تبني وتضر ولا تنفع وتدفعه في الوقت نفسه إلى أن يجعل اختيار الأحسن في كل شيء وفي كل جانب من حياته شعاره الذي يرفعه في كل مكان وزمان.. وإن القوة مهما كانت درجتها لن تنسجم مع طبيعة الرسالة الإسلامية،

مادامت القوة تعني محاصرة العقل وفرض الفكرة عليه تحت تأثير الألم أو الخوف. لذلك فإن الله سبحانه يحذر رسوله من أن يمارس التبليغ بروح السيطرة والاستعلاء، (فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر).. (سورة الغاشية، الآية ٢٢).. ولما كانت الأخلاق تتجلى رقة وحنانا واستيعابا للآخرين، فإننا نلاحظ أن الله تعالى يذكر نبيه بالقاعدة الذهبية التي جعلته داعية ناجحا ومقبولا، ويؤكد له أن حيازته على هذه السجية إنما هي بفضل الله وتوفيقه. (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك).. (سورة آل عمران، الآية ١٥٩). وهذه السجية التي امتدت الى اخيه ونفسه أمير المؤمنين عليه السلام. وفي هذا الجو المفعم بالأخلاق وطيب القلب والعفو ورحابة الصدر، نحدد علاقتنا بالأشياء والأشخاص، لتكون بأجمعها مشدودة إلى هذه القيم النبيلة،. فالأصل في العلاقة بين بني الإنسان بصرف النظر عن منابتهم الفكرية، هو الرحمة والإحسان والبر والقسط وتجنب الإيذاء..

*التسامح خُلق الإسلام:

ومن الجوانب المضيئة في حضارتنا الإسلامية ومن الصفحات المشرقة في سجل تاريخنا الإسلامي الزاخر بالمآثر والمفاخر والتي نعتز بها: جانب التسامح مع غير المسلمين والإحسان إليهم: هذا الجانب الذي يشهد بأن الإسلام دين الرحمة والإحسان والعدالة والإنصاف. وهذه المبادئ السامية والشمائل الكريمة التي كانت عاملا من عوامل انتصار الإسلام. وهذا ما ظهر في وثيقة المدينة وتجلى في عهد الإمام علي الى عامله على

مصر مالك الاشتر النخعي.

* إن التسامح الديني - بين الطوائف والجماعات والدول - الذي تبناه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وخليفته ووصيه الإمام علي عليه السلام يعد من أهم مظاهر رحمته صلى الله عليه وآله.. وقد كان صلى الله عليه وآله انموذجًا فذا في التسامح الديني. فالنبي صلى الله عليه وآله لم يُكره اليهود و لا النصارى على قبول دينه، لأنهم أهل الكتاب. بل أمر النبي صلى الله عليه وآله بإكرام علماء أهل الكتاب كالبطاركة والرهبان وخدمهم وحرم صلى الله عليه وآله قتل الرهبان - على الخصوص - حتى في حال الحرب. فالتسامح عند سيدنا محمد كما يقول الباحث الفرنسي مارسيل بوازار «هو واجب ديني وأمر شرعي. ويقول الفيلسوف الألماني الشهير «غوته» في كتابه (أخلاق المسلمين وعاداتهم): ولا شك أن التسامح الأكبر أمام اعتداء أصحاب الديانات الأخرى، وأمام إرهاصات وتحريفات اللادينيين، التسامح بمعناه الإلهي، غرسه رسول الإسلام في نفوس المسلمين، فقد كان محمد المتسامح الأكبر، ولم يتخذ رسول الإسلام موقفاً صعباً ضد كل الذين كانوا يعتدون عليه بالسب أو بمد الأيدي أو بعرقلة الطريق وما شابه ذلك، فقد كان متسامحاً؛ فتبعه أصحابه وتبعه المسلمون، وكانت وما زالت صفة التسامح هي إحدى المميزات والسمات الراقية للدين الإسلامي، وللحق أقول: إن تسامح المسلم ليس من ضعف؛ ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه، وتمسكه بعقيدته.. وتتحدث لورافيشيا فاغليري عن مظهر التسامح الديني عند النبي صلى الله عليه

وآلـه، فتقـول: «كان محمـد المتمسـك دائـمًا بالمبـادئ الإلهيـة شـديد التسـامح، وبخاصـة نحـو أتبـاع الأديـان الموحـدة. لقـد عـرف كيـف يتـذرع بالصـبر مـع الوثنيـين، مصطنعًـا الأنـاة دائـمًا اعتقـادًا منـه بـأن الزمـن سـوف يتـم عملـه الهـادف إلى هدايتهـم وإخراجهـم مـن الظـلام إلى النـور.. لقـد عـرف جيـدًا أن الله لابـد أن يدخـل آخـر الأمـر إلى القلـب البـشري إن سياسـة التسـامح الدينـي التـي انتهجهـا محمـد صـلى الله عليـه وآلـه تجاه أصحـاب الديانـات الأخـرى حظيـت باحـترام وتقديـر المفكريـن الغـرب فعقـدوا المقارنـة بـين تسـامح الإسـلام وتعصـب الصليبيـين..

يقـول القـس الألمـاني ميشـون: إن الإسـلام الـذي أمر بالجهـاد متسـامح نحو أتبـاع الأديـان الأخـرى، وهـو الـذي أعفـى البطاركـة والرهبـان وخدمهـم مـن الضرائـب وحـرم قتـل الرهبـان –عـلى الخصـوص – لعكوفهـم عـلى العبـادات ولم يمـس عمـر بـن الخطـاب النصـارى بسـوء حـين فتـح القـدس.. وقـد ذبـح الصليبيـون المسـلمين و حرقـوا اليهـود عندمـا دخلوهـا. ويضيـف الكاتـب نفسـه في موضـع آخـر، متحدثـاً عـن تاريـخ العلاقـات الإسـلامية المسـيحية، وكيـف تعلـم المسـيحيون الكثـير مـن المسـلمين في التسـامح وحسـن المعاملـة، يقـول: وإنـه لمـن المحـزن أن يتلقـى المسـيحيون عـن المسـلمين روح التعامـل وفضائـل حسـن المعاملـة، وهمـا أقـدس قواعـد الرحمـة والإحسـان عنـد الشـعوب والأمـم، كل ذلـك بفضـل تعاليـم نبيهـم محمـد.

ويقـول الأمـير تشـارلز ولي عهـد بريطانيـا: إن الإسـلام يمكـن أن يعلمنـا طريقـة للتفاهـم والعيـش في العـالم، الأمـر الـذي فقدتهـا المسـيحية، فالإسـلام



يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: «لا إكراه في الدين، هذا ما أمر به القرآن الكريم، فلم يفرض العرب على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فبدون أي إجبار على انتحال الدين الجديد اختفى معتنقو المسيحية اختفاء الجليد، إذ تشرق الشمس عليه بدفئها ! وكما تميل الزهرة إلى النور ابتغاء المزيد من الحياة، هكذا انعطف الناس حتى من بقي على دينه، إلى السادة الفاتحين ويقول غوستاف لوبون في مجلة التمدن الإسلامي:: إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وبين روح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى وإنهم مع حملهم السيف فقد تركوا الناس أحرارا في تمسكهم بدينهم. «كل ما جاء في الإسلام يرمي إلى الصلاح والإصلاح، والصلاح أنشودة المؤمن، وهو الذي أدعو إليه المسيحيين. ويقول المستشرق بول دي ركلا: يكفي الإسلام فخراً أنه لا يقر مطلقاً قاعدة (لا سلام خارج الكنيسة) التي يتبجح بها كثير من الناس، والإسلام هو الدين الوحيد الذي أوجد بتعاليمه السامية عقبات كثيرة تجاه ميل الشعوب إلى الفسق والفجور. يقول المستشرق بارتلمي سانت هيلر: إن دعوة التوحيد التي حمل لواءها الإسلام، خلصت البشرية من وثنية القرون الأولى ويقول العلامة الكونت هنري دي كاستري: درست تاريخ النصارى في بلاد الإسلام، فخرجت بحقيقة مشرقة هي أن معاملة المسلمين للنصارى تدل على لطف في المعاشرة، وهذا إحساس لم يُؤثر عن غير المسلمين.. فلا نعرف في الإسلام مجامع دينية، ولا أحباراً

يحترفون السير وراء الجيوش الغازية لإكراه الشعوب على الإيمان. ويبين الشاعر غوته ملامح هذا التسامح في كتابه (أخلاق المسلمين) فيقول: للحق أقول: إن تسامح المسلم ليس من ضعف، ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه، وتمسكه بعقيدته. ويقول المستشرق لين بول: في الوقت الذي كان التعصب الديني قد بلغ مداه جاء الإسلام ليهتف (لكم دينكم ولي دين)، وكانت هذه المفاجأة للمجتمع البشري الذي لم يكن يعرف حرية التدين، وربما لم يعرفها حتى الآن. ويقول الفيلسوف جورج برناردشو: الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا نجد في الأديان حسناته ! ولقد كان الإسلام موضع تقديري السامي دائماً، لأنه الدين الوحيد الذي له ملكة هضم أطوار الحياة المختلفة، والذي يملك القدرة على جذب القلوب عبر العصور، وقد برهن الإسلام من ساعاته الأولى على أنه دين الأجناس جميعاً، إذ ضم سلمان الفارسي وبلالاً الحبشي وصهيباً الرومي فانصهر الجميع في بوتقة واحدة. ويقول توماس أرنولد في كتابه الدعوة الإسلامية: لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح. ويقول شاعر فرنسا (لامارتين): الإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن يفي بمطالب البدن والروح معاً، دون أن يُعرِّض المسلم

لأن يعيش في تأنيب الضمير وهو الدين الوحيد الذي تخلو عباداته من الصور، وهو أعلى ما وهبه الخالق لبني البشر ان اغلب المستشرقين والكتاب المسيحيين الذين اشادوا بالاسلام اشادوا بمشيدي الإسلام وبناته واولوا اعجابا شديدا ومبهرا بنبي الاسلام ووصيه فهاهم جمل من المسيحيين يقففون على تلكم القامات والعظماء، فقد قال اللبناني المسيحي جورج جرداق في كتابه (الامام علي صوت العدالة الإنسانية): علي بن ابي طالب هو في الحقيقة والتاريخ واحد سواء عرفته ام لم تعرفه، فالتاريخ والحقيقة يذعنان بان له ضميرا حيا وقهارا وابو الشهداء والاحرار وهو صوت العدالة الإنسانية ولسانه وذو الفقاره وقال ايضا: هل سمعت عن حاكم لم يشبع نفسه برغيف خبز لان في بلاده من ينام وهو غير شعبان وهل سمعت عن حاكم لم يلبس الملابس الناعمة لان في شعبه من يلبس الملابس الخشنة فهو لم يكنز لنفسه درهما واحدا... ويقول المستشرق الروسي ايليابا وليج: علي نشأ وتربى عند محمد وكان مخلصا له وللاسلام وكان متمسكا الى حد العشق والشوق بالدين كان صادقا وسباقا في الامور الأخلاقية وتجسدت في وجوده وكيانه كل صفات اولياء الله. *دستور المدينة انموذجًا: لقد كان التعايش بين مختلف الطوائف والفصائل في الدولة الإسلامية الأولى هو أحد أهداف الدستور الإسلامي الذي وضعه النبي صلى الله عليه وآله عقب هجرته إلى المدينة، والذي ضمن تنظيم العلاقات ما بين المسلمين من جهة، وأصحاب الديانات الأخرى من جهة أخرى، في إطار من التسامح الديني والحرية الدينية في

ممارسة الشعائر، ويقول في ذلك كونستانس جيورجيو: «وقد حوى هذا الدستور اثنين وخمسين بنداً، كلها من رأي رسول الله. خمسة وعشرون منها خاصة بأمور المسلمين وسبعة وعشرون مرتبطة بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى، ولاسيما اليهود وعبدة الأوثان. وقد دون هذا الدستور بشكل يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرهم حسب رغبتهم، ومن غير أن يتضايق أحد الفرقاء. وضع هذا الدستور في السنة الأولى للهجرة، أى عام ٦٢٣م. ولكن في حال مهاجمة المدينة من قبل عدو عليهم أن يتحدوا لمجابهته وطرده. وقد نص دستور المدينة على حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر: وجاء في هذا الأصل: وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأَثِم فإنه لا يوتغ[أي يُهلك] إلا نفسه وأهل بيته. ونص على الاستقلال المالي لكل طائفة، فكان من ضمن مواد دستور المدينة: «وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم فمع وجوب التعاون المالي بين جميع طوائف الدولة لرد أي عدوان خارجي، فإن لكل طائفة استقلالها المالي عن غيرها من الطوائف. كما نص الدستور على النصح والبر بين المسلمين وأهل الكتاب: فيقول الدستور: «وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم فالأصل في العلاقة بين جميع طوائف الدولة -مهما اختلفت معتقداتهم- هو النصح المتبادل، والنصيحة التي تنفع البلاد والعباد، والبر والخير والصلة بين هذه الطوائف. *المطلب الثالث:



استقبال الوفود النصرانية: وتجلت مظاهر التسامح الديني في عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله عام الوفود حين استقبل وفوداً نصرانية وبعث برسالة إلى أسقف نجران.. ومن ثم يتحدث «كونستانس جيورجيو» عن أوضاع أصحاب الديانات السماوية في ظل الحكم الإسلامي فيقول: مع أن الإسلام عم الجزيرة كلها في السنة التاسعة فإن محمداً لم يُكره اليهود و لا النصارى على قبول دينه، لأنهم أهل الكتاب. و قد جاء في رسالة محمد إلى أبي الحارث أسقف نجران ما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي، إلى الأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران، وكهنتهم، ومن تبعهم، ورهبانهم: إن لهم ما تحت أيديهم، من قليل أو كثير من بيَعهم وصلواتهم، ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله، لا يُغيّر أُسقف من أُسقفيتّه، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته. ولا يُغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه. [على ذلك جوار الله ورسوله أبدًا]، ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم، غير مثقَلين بظلم ولا ظالمين... يقول جيورجيو معلقًا: «تشير هذه الرسالة إلى أن المسيحيين (وكذلك اليهود) في الجزيرة أحرار في أداء شعائرهم، ولن يزاحمهم من المسلمين مزاحم. وقد قدْم في السنة التاسعة وفد من مسيحي نجران يرأسهم أبو الحارث الأسقف الأكبر، وعبد المسيح الأسقف، والأيهم رئيس القافلة، وحين أرادوا الدخول على النبي ارتادوا ألبستهم الدينية الرسمية الكاملة... وبعد أن زاروا النبي سألوه أن يسمح لهم بأداء شعائرهم فطلب منهم أن يؤدوا صلواتهم في مسجد المدينة، فدخلوا واتجهوا نحو بيت المقدس، و

تعبدوا هناك.. ولا شك أن النبي كان يحترم النصارى احتراماً خاصاً، لأن القرآن ذكرهم وأكرمهم. وقد أشار الله تعالى إلى هذه النقطة في محكم كتابه في سورة المائدة (الخامسة) في الآية (٨٢):]لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ[، ويقول في الآية التي بعدها:]وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ[[المائدة:٨٣].. ويعلق «آتيين دينيه» على ما فعله النبي صلى الله عليه وآله مع وفد نجران النصراني قائلاً: «.. من الحقائق التاريخية أن النبي أعطى أهل (نجران) المسيحيين نصف مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية. وها نحن أولاً نرى المسلمين إذا بشروا بدينهم فإنهم لا يفعلون مثل ما يفعل المسيحيون في الدعوى إلى دينهم، ولا يتبعون تلك الطرق المستغربة التي لا تتحملها النفس والتي لا يحبها الذوق السليم. وقد أنصف القس ميثون الحقيقة في كتابه (سياحة دينية في الشرق) حيث يقول: إنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم. *المطلب الرابع: الحرية في الاعتقاد وممارسة الشعائر: يقول جيمس متشنر: « القرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة، والدليل قوي على أن الإسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان، ما دام أهلها يحسنون المعاملة، وقد حرص محمد على تلقين المسلمين التعاون

مع أهل الكتاب، أي اليهود والنصارى، ولاشك أن حروباً نشبت بين المسلمين وغيرهم في بعض الأحيان، وكان سبب ذلك أن أهل هذه الديانات الأخرى أصروا على القتال، وقد قطع الرهبان بأن أهل الكتاب كانوا يُعاملون معاملة طيبة وكانوا أحراراً في عبادتهم، ولعل مما يقطع بصحة ذلك، الكتاب الذي أرسله البطريرك النسطوري إيشوياب الثالث إلى البطريرك سمعان، زميله في المجمع، بعد الفتح الإسلامي وجاء فيه: (ها ! إن العرب الذين منحهم الرب سلطة العالم وقيادة الأرض أصبحوا عندنا، ومع ذلك نراهم لا يعرضون للنصرانية بسوء، فهم يساعدوننا، ويشجعوننا على الاحتفاظ بمعتقداتنا، وإنهم ليجلون الرهبان والقديسين !)... وفي ذلك يقول روبرتسون: إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح نحو اتباع الاديان الاخرى الذين غلبوهم وتركوهم احراراً في اقامة شعائرهم الدينية. وكان لهذا التسامح أثره في أن يصبح الدين الإسلامي ديناً عالمياً، بدءاً من مراحله الأولى أيام الرسول صلى الله عليه وآله في جزيرة العرب إلى أن عم أماكن شاسعة.

يقول العلامة جولد تسهير: سار الإسلام لكي يصبح قوة عالمية على سياسة بارعة، ففي العصور الأولى لم يكن اعتناقه أمراً محتوماً فإن المؤمنين بمذاهب التوحيد أو الذين يستمدون شرائعهم من كتب منزلة كاليهود والنصارى والزرادشتية كان في وسعهم متى دفعوا [الإشتراك السنوي للدولة - الجزية] أن يتمتعوا بحرية الشعائر وحماية الدولة الإسلامية، ولم يكن واجب الإسلام أن ينفذ إلى أعماق أرواحهم إنما كان يقصد إلى سيادتهم

الخارجية. بل لقد ذهب الإسلام في هذه السياسة إلى حدود بعيدة، ففي الهند مثلاً كانت الشعائر القديمة تقام في الهياكل و المعابد في ظل الحكم الإسلامي !. لقد أثارت مبادئ التسامح الديني وحرية الاعتقاد في الإسلام فيما أثارته احترام المفكرين والعلماء والمستشرقين المنصفين من الغرب وكذلك الكتاب والباحثين العرب النصارى، فقد تطرق يوسف نعيم عرافة في خطبة له في مناسبة المولد النبوي عام ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م، إلى معاهدة الرسول مع أصحاب الديانات الأخرى، لاسيما المسيحيين منهم، فيقول: إن محمداً هو باني أساس المحبة والإخاء بيننا، فقد كان يحب المسيحيين ويحميهم، من ذلك ما قام به في السنة السادسة بعد الهجرة، حيث عاهد الرهبان خاصة والمسيحيين عامة، على أن يدفع عنهم الأذى، ويحمي كنائسهم وعلى أن لا يتعدى على أحد من أساقفتهم ولا يجبر أحداً على ترك دينه، وأن يُمدوا بالمساعدة لإصلاح دينهم وأديرتهم، كما أن القرآن نطق بمحبة المسيحيين للمسلمين وبمودتهم لهم، وإن الآية الشريفة:]وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ[، لتبعث على شد أواصر الصداقة بين الطرفين، بل حتى مع الشعب الإسرائيلي في أكثر الأوقات، إننا لنعلم أن ما أتى به الرسل موسى وعيسى ومحمد[عليهم والصلاة والسلام]ما هو إلا لإصلاح العالم لا لإفساده وخرابه، وما الكتب الثلاثة المنزلة إلا نور صادر من بؤرة واحدة ينعكس نورها في ثلاثة أشعة، كل منها للبشر هذا، ومن أهم النصوص الإسلامية في التسامح

الديني وحرية الاعتقاد.. قول الحق تبارك وتعالى:] لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [[البقرة: ٢٥٦]. وامتدادا لهذه الوثيقة العظيمة جاءت تطبيقاتها في خلافة الإمام علي عليه السلام وما عهده للاشتر والذي يؤكد فيه على التعايش والتسامح بين المسلم والاخر وكيفية مساواة الجميع بالحقوق والواجبات الا دليل على النهج الإسلامي المحمدي فقوله في عهده (الناس صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) فهو قمة الإنسانية وأعظم ما شهدته حقوق الإنسان بمراحلها الزمانية والمكانية. ومما تقدم يتبين أن التسامح على وفق المنظور الإسلامي، فضيلة أخلاقية، وضرورة مجتمعية، وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها. وبإمكاننا بعد هذا العرض أن نشير إلى النقاط التالية:

- ١ يعترف الإسلام في كل أنظمته وتشريعاته، بالحقوق الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع، ولايجيز أي ممارسة تفضي إلى انتهاك هذه الحقوق والخصوصيات. هذا رغما من أنه يترتب على الصعيد الواقعي، الكثير من نقاط الاختلاف بين البشر، ولكن هذا الاختلاف لايؤسس للقطيعة والجفاء والتباعد، وإنما يؤسس للمداراة والتسامح مع المختلف. فالاختلاف بكل صوره وأشكاله، ليس مدعاة لسلب الحقوق أو الإنتقاص منها، وإنما تبقى حقوق الإنسان مصانة وفق مقتضيات التسامح والعدالة والسلام

-٢ إن الحقيقة الكاملة والناجزة، لا يمكن الوصول إليها دفعة

واحدة، وإنما هي نتيجة فعل تراكمي يستفيد من كل العقول والحقول والجهود والطاقات الإنسانية السالفة واللاحقة. ولذلك لا يجوز التعامل مع القناعات الإنسانية بوصفها حقائق جزمية ومطلقة. وذلك لأن هذا التعامل، هو الذي يؤسس للتطرف الذي يرى في قناعاته الحقيقة المطلقة. وبما أننا كبشر لا نمتلك هذه الحقيقة المطلقة، وإنما هي موزعة بين البشر، وتحتاج إلى إنصات وتواصل مستمر فيما بيننا. لذلك فإن التسامح هو الخيار السليم الذي ينبغي أن يتم التعامل به.

٣- إن قيم المنظومة الإسلامية الأخلاقية والسلوكية، التي شرعها الدين الإسلامي من قبيل الحلم والرفق والإيثار والعفو والإحسان والمداراة والقول الحسن والألفة والأمانة، وحث المؤمنين على الالتزام بها وجعلها سمة شخصيتهم الخاصة والعامة، كلها تقتضي الالتزام بمضمون مبدأ التسامح. بمعنى أن تجسيد المنظومة الأخلاقية على المستويين الفردي والاجتماعي، يفضي لامحالة إلى شيوع حالة التسامح في المحيط الاجتماعي. فالرفق يتطلب توطين النفس على التعامل الحضاري مع الآخرين، حتى ولو توفرت أسباب الاختلاف والتمايز معهم. والمداراة تقتضي القبول بالآخر، واليسر والتيسير يتطلبان التعايش مع الآخرين، وحتى ولو اختلفت معهم في القناعات والتوجهات. إذ يقول الله سبحانه (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون).. (سورة النحل، الآية (٩٠)).. (ومن خلال هذه المنظومة القيمية والأخلاقية، نرى أن المطلوب من الإنسان المسلم دائما

وأبدا وفي كل أحواله وأوضاعه أن يلتزم بمقتضيات التسامح ومتطلبات العدالة.. فالتسامح كسلوك وموقف ليس منة أو دليل ضعف وميوعة في الالتزام بالقيم، بل هي من مقتضيات القيم ومتطلبات الالتزام بالمبادئ. فالغلظة والشدة والعنف في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، هي المناقضة للقيم، وهي المضادة لطبيعة متطلبات الالتزام وهي دليل ضعف وخواء.. وعليه فإن التسامح الذي يقود التعايش والاستقرار الاجتماعي وتطوير أواصر وأسباب التعاون بين مختلف أبناء وشرائح المجتمع، هو من صميم القيم الإسلامية النبيلة، وكل إنسان خالف ذلك، ومارس الغلظة والشدة في علاقاته الإنسانية والاجتماعية لدواعي مختلفة، هو الذي يحتاج إلى مبررات ايديولوجية واجتماعية. فالأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، أن تكون علاقات قائمة على المحبة والمودة والتآلف، حتى ولو تباينت الأفكار والمواقف، بل إن هذا التباين هو الذي يؤكد ضرورة الالتزام بهذه القيم والمبادئ.. فالتسامح اليوم ليس فضيلة فحسب، بل هو ضرورة اجتماعية وثقافية وسياسية، وذلك من أجل تحصين واقعنا الإسلامي أمام كل المخاطر الزاحفة إلينا، والتي تستهدفنا في وجودنا ومكاسبنا وتطلعاتنا *المطلب الخامس الإسلام بين التسامح والإرهاب:

إن أخطر الأخطاء التي ترتكب بحق الإسلام هي أن يتعرف أحد على هذا الدين العظيم من خلال نشاطات الجماعات التي تتصرف باسم الدين حيث يسيئون فهم دينهم أو يمارسونه ممارسة خاطئة. ولهذا السبب، يصبح من الخطأ تكوين أية فكرة عن هذا الدين من خلال نشاطات

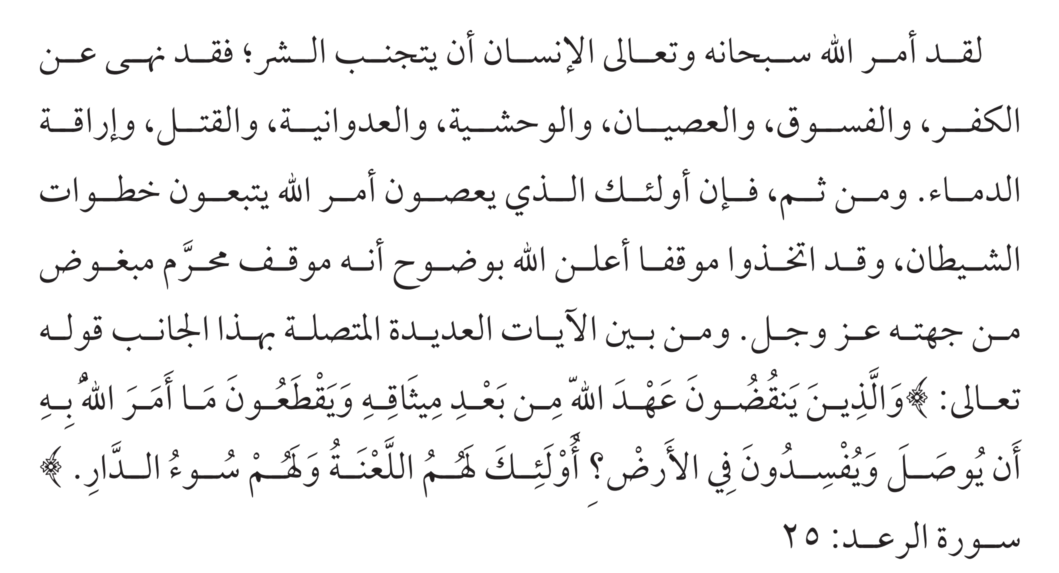
هـؤلاء. وتتمثـل أفضـل طريقـة لفهـم الإسـلام في مصـدره المقـدس. ويتمثـل المصـدر المقـدس للإسـلام في القـرآن الكريـم؛ كما أن انمـوذج المبادئ الأخلاقية الـوارد في القـرآن – الإسـلام – مختلـف تماما عـن الصـورة التـي تكونـت عنـه في أذهـان بعـض الغربيـين. إذ يرتكـز القـرآن عـلى مفاهيـم الأخـلاق، والحـب، والشـفقة، والرحـمـة، والتواضـع، والتضحيـة بالنفـس، والتسـامح، والسـلام، كـما أن المسـلم الـذي يعيـش حقًّـا عـلى وفـق هـذه التعاليـم الأخلاقيـة يتميـز بدرجـة عاليـة مـن التهذيـب، ورجاحـة العقـل، والتسـامح، والثقـة، واللطـف. لـذا، فهـو يمـد مـن حولـه بالحـب، والاحـترام، والسـلام، والإحسـاس ببهجـة الحيـاة.

❋الإسلام المحمدي العلوي دين السلام والمحبة

وتعنـي كلمـة الإسـلام بالعربيـة السـلام. فقـد جـاء الإسـلام لكـي يقـدم للبشريـة حيـاة مليئـة بالسـلام والخـير والحـب، حيـاة تظهـر فيهـا رحمـة الله وعطفـه الأبـدي عـلى هـذا العـالم. إذ يدعـو الله كل النـاس إلى قبـول التعاليـم الأخلاقيـة للقـرآن بوصفهـا نموذجـا للرحمـة، والشـفقة، والتسـامح، والسـلام الـذي يمكـن أن يلاقيـه المـرء في هـذا العـالم. وقـد أنـزل الله هـذا الأمـر في الآيـة ٢٠٨ مـن سـورة البقـرة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. ﴾ وكـما نـرى في هـذه الآيـة، فلـن يتمكـن النـاس مـن أن ينعَمـوا بالخـير إلا بقبـول الإسـلام والعيـش وفقـا للتعاليـم الأخلاقيـة الـواردة في القـرآن الكريم.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان أن يتجنب الشر؛ فقد نهى عن الكفر، والفسوق، والعصيان، والوحشية، والعدوانية، والقتل، وإراقة الدماء. ومن ثم، فإن أولئك الذي يعصون أمر الله يتبعون خطوات الشيطان، وقد اتخذوا موقفا أعلن الله بوضوح أنه موقف محرَّم مبغوض من جهته عز وجل. ومن بين الآيات العديدة المتصلة بهذا الجانب قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ؟ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ. ﴾ سورة الرعد: ٢٥



وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنس نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. ﴾ سورة القصص: ٧٧

وكما نلاحظ هنا، فقد نهى الله سبحانه عن جميع الأفعال المؤذية بما في ذلك الإرهاب والعنف، وأدان الدين الإسلامي أولئك الذي يرتكبون مثل هذه الأفعال. فالمسلم بإسلامه المحمدي الناصع يضيف الجمال والمحبة إلى العالم ويجعله أفضل.

رابعا: - الغدير

او يوم الغدير او عيد الله الاكبر او عيد الولاية كل هذه المسميات تشير الى تلكم الحادثة والواقعة التي حدثت عند رجوع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من حجته الاخيرة (حجة الوداع) في السنة العاشرة للهجرة

واوقف الحجيج عند غدير خم (وهو المكان القريب من الجحفة التي تقع بين مكة والمدينة والتي تبعد عن مكة حوالي ١٨٠ كم والغدير بحسب معاجم اللغة هي مياه راكدة قليلة العمق يغادرها السيل). وسمي بعيد الغدير نسبة الى هذا المكان٥. وهو عيد يحتفل به المسلمون الشيعة سنويا في اليوم ١٨ (الثامن عشر) من شهر ذي الحجة بحسب التقويم الهجري ويعدونه من اعظم الاعياد٦. اذ ولى فيه رسول الله محمد صلوات الله عليه علي بن ابي طالب وجعله وليا للمسلمين وخليفته ووزيره من بعده ٧ كما يعد صيامه من اعظم العبادات وهو مستحب ويستدل الشيعة على أهمية هذا العيد بجملة من الأحاديث (وقد فصلها الشيخ عبدالحسين الاميني النجفي في موسوعته الغدير مستدلا بكتب أهل السنة) فعن المفضل بن عمر قال: قلت للأمام جعفر الصادق(ع) ((كم للمسلمين من عيد؟ فقال اربعة اعياد. قلت: قد عرفت العيدين والجمعة فقال لي اعظمها واشرفها يوم الثامن عشر من ذي الحجة وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله أمير المؤمنين ونصبه للناس علما قلت: ما يجب علينا في ذلك اليوم؟ قال: يجب عليكم صيامه شكرا لله وحمدا له مع انه أهل ان يشكر كل ساعة كذلك أمرت الانبياء أوصياءها ان يصوموا اليوم الذي يقام فيه الوصي ويتخذونه عيدا))٨.

يقول المسعودي المتوفي ٣٤٦هجرية (وابناء علي رضي الله عنه وشيعته يعظمون هذا اليوم)٩ ويصنف ابو الريحان البيروني (ويعد البيروني اول من وضع ومنهج علم الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الدينية في مؤلفاته،

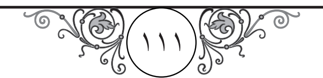
بحسب ما ذكره المستشرق الالماني ادوارد سخاو) في كتاب الاثار الباقية عن القرون الخالية المكتوب عام ٣٩٠ هجرية هذا اليوم ضمن احداث ذي الحجة ويسمى غدير خم١٠ وقبل ذلك كله روى الفياض بن محمد بن عمر الطوسي عن الإمام الرضا المتوفي سنة٢٠٣ هجرية انه كان يحتفل بذلك اليوم حيث قال: حضرت مجلس مولانا علي بن موسى الرضا(ع) في يوم الغدير وبحضرته جماعة من خواصه قد احتسبهم عنده للإفطار معه قد قدَّم لهم الطعام والبُر والبسهم الصِلاة والكسوة حتى الخواتيم والنعال١١. وقد تواصل تعظيم ذلك اليوم حتى الخليفة الفاطمي المستعلي بالله قد اتخذ من تاريخ ذلك اليوم مناسبة لبيعته وتسنمه الخلافة١٢.

وقد حفل وسجل التاريخ في امهات كتب السير والرجال والرواية والادب والشعر عظمة هذا اليوم وامتداداته النبوية، وكما اشرنا سلفا فبالإمكان الرجوع الى موسوعة الغدير للشيخ الاميني للوقوف على ذلك الكم الكبير من الموروث الإسلامي النقي الالق غير ان النظرة الى هذه المناسبة وطريقة الاحتفاء بها اخذت الطابع الشكلي بدون الوقوف ومعرفة مضامين تلكم النصوص الواردة والمعتمدة عن العترة الطاهرة التي اكدت وارادت من خلال احتفائها هي وشيعتها ومريديها بهذه المناسبة ان يقدَّم هذا العيد متراسا ونبراسا يضيء معالم حياة المجتمع الإسلامي بكل مكوناته وتنوعاته. اراد أهل البيت النبوي ان نقدم ونبين ان هذا اليوم يمثل منظومة ثقافية متكاملة بحيث لو طبقها واستغلها المسلمون على الاوجه الامثل ان يصبحوا من أعظم امم الدنيا لأن الغدير وجد ليكون

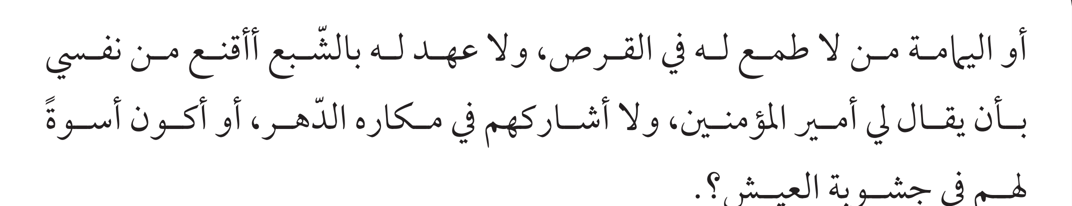
حضارة متكاملة تقوم على الاركان والمبادئ الاساسية التي تحترم كينونة البشر وتحميه من الانتهاك وتضمن حقوقه وحرياته المدنية.

ان التركيز على المدنية التي يحاول اليوم بعض المتشدقين والمنبهرين بالغرب والمحسوبين على المسلمين الترويج لها ويكانه هذه المدنية باعتقادهم والمسوقة من المنظومة الليبرالية هي البلسم الشافي والدواء الناجع للاشكاليات البنيوية المجتمعية، متناسين ومتجاهلين ان الإسلام هو اصل المدنية بتشريعاته وبقوانينه الالهية التي وجدت للشمول الزماني والمكاني. ان هذه الاسس التي وضعها نبي الإسلام واراد الديمومة الحضارية بتنصيبه الإمام علي ان يتمتع المجتمع الإسلامي بثقافة الغدير، وفعلا قد تم تجسيد هذه الثقافة عمليا ابان قيادة الإمام للامة. وعندما تسلَّم مقاليد الحكم وإدارة شؤون المسلمين، ثبّت عليّ(ع) نهجاً في الحكم شكّل عنواناً للعدالة والشفافية والصدق وثبات الموقف، وهو في ذلك بعيد كلّ البعد عن أية حسابات خاصة، وهو ما شهد به المناوئون له قبل المحبين، حتى قيل: لو ولّيتموه أمركم، لحملكم على المحجّة البيضاء. وهو من قال لمن راح ينصحه بأن يجامل ويداري ويداهن على حساب مصالح أمّته: أتأمرونّي أن أطلب النصر بالجور فيمن ولِّيت عليه؟ لو كان المال لي لسوَّيت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله؟

وكان شعاره في ممارسته للحكم: ولو شيئت لاهتديت الطّريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ولعلّ بالحجاز



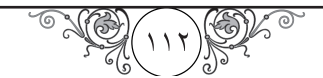



أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشّبع أأقنع من نفسي بأن يقال لي أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدّهر، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش؟.

وكان يقول: وَاَللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ اَلسَّعْدَانِ مُسَهَّداً، وَأُجَرَّ فِي اَلْأَغْلاَلِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اَللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ اَلْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ اَلْحُطَامِ

وكان يقول: «الذّليل عندي عزيز حتى آخذ الحقّ له، والقويّ عندي ضعيف حتى آخذ الحقّ منه. ١٣. هذه هي ثقافة الإنسان المصان من الخوف والامتهان، والعوز والاذلال وهي ثقافة حرية الراي وحماية الاخر وهي ثقافة العدل بأبهى صوره وهي أولاً واخيرا ثقافة السلام التي اثبتتها مواقف الإمام الرافضة للحرب الا عندما تكون دفاعا عن النفس وبهذا يقول المنصفون من مؤرخي الاستشراق ومنهم الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي: ان كل ما يتبجح به الغرب اليوم سبقهم إليه الإمام علي بثقافة الغدير التي قامت اساسا على مبدأ عدم سفك الدماء ونبذ القتال والحرب.

ان من الفوائد العظيمة الواجب استلهامها من هذه المناسبات انها تهب المسلمين فرصا للرقي والتقدم فهذه الثقافة ذات المبادئ العادلة تحض المسلمين على تصحيح منهجهم في ادارة انفسهم ودولهم وثرواتهم وتدعوهم الى تعديل سياساتهم فضلا عن تكونٍ ثروة فكرية تزيد من نواصي العلم وترفع من مستويات التفكير والابتكار لدى الشباب



والاجيال الواعدة وهذا يتم بحفظ ثقافة الغدير كمنظومة قيمية فكرية حضارية متكاملة.

لذلك، لن نكتفي بيوم الغدير بأن نقيم أفراحاً، أو نتبادل التهاني، أو نرسل رسائل الولاء، بل علينا أن نفحص أنفسنا، لنتأكّد هل نحن فعلاً نلتزم عليّاً ونتولّاه؟ فقد فرَّ الكثيرون من الباحثين عن الدنيا من الالتزام بعليّ(ع) عندما رأوه يعطّل مصالحهم، ونحن علينا ألا نكون في عداد هؤلاء إذا كنّا من الملتزمين بخطّ عليّ ونهجه.

خامسا :- دولة العدل الالهي والتكافل الاجتماعي

ان المقصود بدولة العدل الالهي هي الدولة التي تقوم تشريعاتها وقوانينها على وفق المنظومة الدينية التوحيدية التي بعث بها الانبياء لتصحيح الانحرافات التي اصابت الامم تلكم الانحرافات التي اخرجت المجتمعات عن النهج القويم الذي قررته السماء، ليكون حاكما ومرشدا وبه تتحقق الوحدة الإنسانية وتسود العدالة الاجتماعية التي هي هدف الانبياء والصالحين ومن يسير بدربهم وعلى خطاهم وهذا النهج يتمثل بالإسلام خاتم الاديان وتشريعاته الوحيانية. غير ان المجتمعات الإسلامية المعاصرة قد اتخذت مسارا وايديولوجيا بعيدة كل البعد عن منظومتها القيمية بقوانينها وسننها وتشريعاتها علها تجد المسار الانجع ان المنظومات التي حكمت بلادنا الإسلامية ابتعدت بمجملها عن الإسلام كمنظومة حاكمة، منذ استشهاد أمير المؤمنين حتى يومنا هذا فمنها من

اتخذ الإسلام ستارا وشعارا غير انه يحكم ويشرع سنن ودساتير تحاكي الغرائز والعواطف والمكان والزمان الذي انتجها واولدها فهي قوانين موضوعة تراعي مصالح المنظومة السياسية واهوائها، فضلا عن تبني بعض الاقطار الإسلامية نظم رأسمالية واشتراكية رفعوا فيها شعارات كل حسب متبناه بان هذا النظام وايديولوجيته او تلك المنظومة وافكارها هي التي ترتقي بالفقراء والمساكين والمستضعفين وتنتشلهم من واقعهم المزري، وبالتالي ترفرف اجنحة العدالة الاجتماعية في ربوع البلاد وبين العباد غير ان النتائج جاءت بمزيد من الظلم، والقهر، والضيم، بل ان تلكم الايديولوجيات فشلت حتي في بلاد المنشأ والولادة، فالناظر الى المجتمعات الغربية الاشتراكية التي انهارت اشتراكيتها وشيوعيتها لن تجد الا مزيد من البؤس والتفكك الاسري والمجتمعي وازدادت انحدارا بعدما تبنت بع شيوعيتها النظام الرأسمالي الذي نعيش سيطرته واستغلاله هذا النظام الذي انتج نظاما طبقيا اقتصاديا مقيتا نظاما فردانيا مهملا الاسرة والجماعة مؤسسة اطلقت العنان الى الشهوات والغرائز التي خلقت الانانية بوحشيتها واباحت الرذائل بكلياتها بحجة تعارض الأخلاق والتنمية والتمدن فخلقت مجتمعات تغزوها المخدرات والاباحة الجنسية التي ابرزت الأولاد غير الشرعيين الذين يثقلون كاهل منظومتهم الرأسمالية وظهرت الكثير من الاشكاليات التي لم يجدوا لها حلولا بل انتجت امراض اجتماعية اخر كم في الشواذ جنسيا والذي يحاولون ان يقدموهم شريحة تعاني الاضطهاد والتهميش وأسموهم بالمثليين. هذا الانموذج يراد

لـه ان يطبـق في مجتمعاتنـا تحـت شـعارات العلمانيـة والعولمـة والمدنيـة وغيرهـا مسـتخدمين كل الوسـائل والميكانزمـات وتهيئـة الارضيـة وقواعدهـا للوصـول الى المقبوليـة الجماهيريـة محاولـين اقنـاع المجتمعـات المسـلمة بـضرورة تطبيق هذا الانمـوذج الـذي سـيحقق العدالـة الاجتماعيـة والتعايـش والتسـامح الاثنـي والعرقـي ذلـك التعايـش الـذي يتهـدد الخطـر في ظـل الإسـلام موهمـين النـاس بـضرورة تطبيـق الانمـوذج الليـبرالي الـذي سـيحقق تلكـم العدالـة والتعايـش والتسـامح المجتمعـي ولذلـك تراهـم انموذجـات لجملـة مـن عملائهـم عـلى انهـم يمثلـون الإسـلام المتطـرف المتشـدد الـذي لايقبـل الاخـر بـل يرفضـه ويلغـه وهكـذا قدمـوا لنـا نـماذج القاعـدة وطالبـان وداعـش التـي لا تمـت الى الإسـلام بصلـة بـل هـي امتـدادا لجاهليتهـم البغيضـة. فهـل يدعـو الإسـلام الى القطيعـة مـع الاخـر واجتنابـه، والتمايـز عنـه في منـاح ومواطـن السـكن وانـماط العيـش، وسـلوكيات الحيـاة ليعيـش المسـلمون في مجتمـع منعـزل عن غـيره؟. أم انـه يدعـو الى التعايـش مـع الاخريـن بـكل تنوعهـم والانفتـاح عليهـم ونسـج خيـوط العلاقـة معهـم بـما يحفـظ للمسـلم هويتـه؟. قـد نجـد في واقعنـا مـن يـرى ضرورة تقسـيم البـلاد الى داريـن دار الكفـر ودار الإسـلام، ويـرى هـؤلاء ان ابتعـاد المسـلم عـن غـيره وتواجـده في مجتمـع خـاص بالمسـلمين، كفيـل بحفـظ هويتـه الدينيـة التـي تميـزه عـن الاخـر اِن مـن حيـث العمـق والمضمـون ومـا يحملـه مـن اعتقـادات او يقـوم بـه مـن ممارسـات، اِن مـن حيـث الشـكل والظاهـر ومـا يختـص بـه مـن طريقـة لبسـه وتزينـه وعاداتـه وتقاليـده فهـل ان هـذا النمـط مـن التفكـير سـليم مـن الناحيـة الشرعيـة وواقعـي مـن الناحيـة



التطبيقية؟.

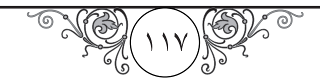
قد يكون من نافلة القول ان الدعوة الى الابتعاد التام عن الاخر او ابعاده عن دائرة المجتمع الإسلامي لا تملك حجة شرعية، فالإسلام لا يوافق على التطهير الديني كما لا يوافق على التطهير العرقي، ويعد ان التطهير عرقيا كان او دينيا هو نوع من العصبية المذمومة والمحرمة. ولئن كان البعض يرى في قول النبي صلوات الله عليه واله (اخرجوا اليهود من الحجاز واهل نجران من جزيرة العرب)١٤ دليلا على اقرار الإسلام سياسة التطهير الديني. وهنا لابد من الوقوف على الاشكاليات والشبهات التي تحوم حول هذه الرواية سندا ومتنا فالسيرة النبوية والعلوية تثبت كيفية معاملة الاخرين في حقبتي النبي ووصيه فبيت مال المسلمين كان يساوي بالعطاء بين الجميع وهذا ما دونته، وثبتته كتب الرجال والسير فضلا عن ان هذا الحديث لم يثبت عند بعض المشتغلين بالفقاهة وعلم الرجال والجرح والتعديل. يقول ابو القاسم الخوئي في رسالته الفقهية منهاج الصالحين(؛ المشهور بين الفقهاء ان على المسلمين ان يخرجوا الكفار من الحجاز ولا يسكنوهم فيه؛ ويستدرك الخوئي: ولكن اتمامه بالدليل مشكل:)١٥ وهذا يدلل على ان الرواية موضع نقاش ونقد ورد وكذا ان من الوارد ان يكون ذلك تدبيرا مؤقتا ارتآه الرسول الأكرم واوصى المسلمين بتنفيذه حرصا على سلامة الدولة الإسلامية الفتية من اي عدوان داخلي يعمل عل تقويضها، يقوم به اليهود الذين عرفوا بالكيد والتآمر على المسلمين علن ان هذا الحكم ولو ثبت فهو حكم خاص بهذا

المكان الزمان والمكان الذي يعد مركز الدولة الإسلامية ولبنتها.

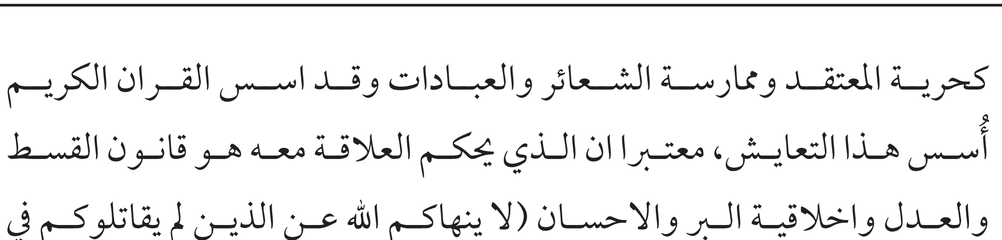
وفي مقابل ذلك فان الدعوة الى مسايرة الاخر والتماشي معه بما يؤدي الى ضياع ملامح ومعالم الشخصية الإسلامية والتنازل عن بعض الشعائر، والتغاضي عن بعض المنكرات وتجاوز حدود الله (وهذا ما تروم وتهدف للوصول إليه المنظومة الليبرالية بحجة المدنية ومواكبة حداثة وعصرنة المنظومة القيمية الرأسمالية) هي دعوة مرفوضة فهي دعوة تنطلق من عقدة نقص وانهزام نفسي امام حضارة الاخر وتفوقه المادي والتقني.

في ظل هذا التداخل والتنوع الديني والعرقي في غالب الامصار والبلدان المعاصرة مما لا لا يمكن تغييره او تبديله بحكم موازين القوى الفعلية ولأسباب تاريخية او غيرها قد تكون الدعوة الى عزل المسلمين ومنع اختلاطهم بالآخرين غير عملية ولا ذات جدوى وعليه فيكون الاجدى بدل ان نحوط الفرد المسلم بجدران خارجية تحول دون تواصله مع الاخر ان يحصن من الداخل وتعزز ثقته بدينه ليستطيع مواجهة التحديات الفكرية والأخلاقية الضاغطة.

ان الإسلام ودولته لا يريدان للمسلم ان يعيش حبيس بيته منعزلا عن الاخرين ولا يطلب منه ان يبني بينه وبين الاخر جدرانا ماديا أو نفسية وانما يدعو الى الانفتاح على الاخر والتعايش معه - اوقل الى العيش معه لان كلمة التعايش قد تحمل في مضمونها معنى تكلف العيش - لكنه يريده تعايشا يحفظ هوية المسلم من التلاشي والضياع. فالإسلام لم يلغ أهل الكتاب بل اعترف بهم وبحقوقهم المتنوعة بالأخص الدينية منها



كحرية المعتقد وممارسة الشعائر والعبادات وقد اسس القران الكريم أُسس هذا التعايش، معتبرا ان الذي يحكم العلاقة معه هو قانون القسط والعدل واخلاقية البر والاحسان (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) سورة الممتحنة / اية ٨.



كما ان مجتمع النبي ص في المدينة كان مجتمعا متنوعا من الناحية الدينية وقد اعتبر النبي في كتابه الذي يشكل اهمّ وثيقة دستورية وقانونية صدرت عنه لتنظيم العلاقة بين المسلمين واليهود في المدينة ان اليهود والمؤمنين امة واحدة جاء في الوثيقة؛ وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وانفسهم الا من ظلم فانه لايوتغ - يهلك- الا نفسه واهل بيته١٦ وكان مقدرا لهذا القانون ان يحكم العلاقة مع اليهود على الدوام لولا غدر اليهود ونقضهم للعهود والمواثيق.

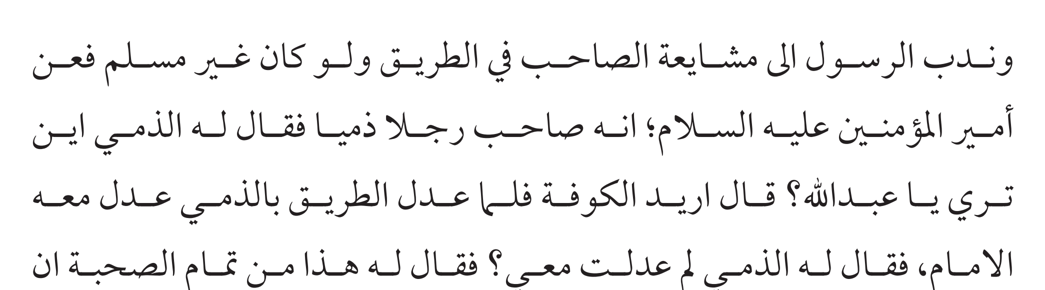
مع ملاحظة ان نظام الإسلام في العلاقة مع الاخر ليس منحسرا بنظام الذمة المعبأ بخلفية سوداوية وصورة قاتمة يحملها الاخرون عن الإسلام بفعل التطبيق السيء لهذا النظام في بعض المراحل بل ان هناك - بنظر جمهرة من الفقهاء- نظاما اخر للعيش والتعايش في ظل دولة واحدة تمنح غير المسلم كامل حقوق المواطنة وهو نظام التعاهد. وانطلاقا من هذا يكون التقسيم الثنائي للبلاد الى بلاد الكفار وبلاد المسلمين غير دقيق فهناك قسم ثالث وهو البرلاد المشتركة التي قد يحكمها نظام التعاهد او

ما يعرف بالعقد الاجتماعي١٧ ويتحول الناس في ظله الى مواطنين تجمعهم الاخوة في الإنسانية بدل ان يتم تصنيفهم والتعامل معهم على اساس انتماءاتهم الدينية والمذهبية.

وبالوقوف على مكارم الأخلاق التي ترعى العلاقة مع الاخر نجد حرصا اسلاميا على التعامل معه على اساس المحبة والاخوة الإنسانية: قال تعالى في سورة العنكبوت الآية ٤٦ (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون). وكذلك نقرأ في سيرة رسول الله ما يحث على التزاور مع الجا غير المسلم فقد روي عنه انه؛ كان لرسول الله جار يهودي لابأس بخلقه فمرض، فعاده رسول الله مع اصحابه١٨، ولدى مراجعة النصوص الواردة في ادب الجوار، وبيان حقوق الجار نجدها مطلقة وشاملة للمسلم وغيره.

ونقرأ في سيرة أمير المؤمنين علي ع، انه احتاج الى الطعام ذات يوم فلم يجد غضاضة من اقتراض ثلاثة اصوع من جاره اليهودي شمعون. وهذا يدلل على ان العلاقات مع غير المسلمين كانت طبيعية جدا تتجلى فيها الاخوة الإنسانية، اذ لا يجد الإمام حرجا في ان يقترض من جاره اليهودي.

وفي نفس السياق نلحظ ان الإسلام يأمر بصلة الرحم ولو لم يكن مسلما ففي الخبر؛ قلت لابي عبد الله ع: يكون لي القرابة على غير امري ألهم حق عليّ؟ قال نعم حق الرحم لا يقطعه شيء، واذا كانوا على امرك فلهم حقين حق الرحم وحق الإسلام؛ وهذه دلالة على ان الكفر لا يسقط الرحم.


وندب الرسول الى مشايعة الصاحب في الطريق ولو كان غير مسلم فعن أمير المؤمنين عليه السلام؛ انه صاحب رجلا ذميا فقال له الذمي اين تري يا عبدالله؟ قال اريد الكوفة فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه الامام، فقال له الذمي لم عدلت معي؟ فقال له هذا من تمام الصحبة ان يشيع الرجل صاحبه هنيئة اذا فارقه، وكذلك امر نبينا١٩.

ورغما من حرص الإسلام وتشدده في لمر تربية الولد وتغذيته، فأنه جوّز استرضاع غير المسلمة كما في روايات أهل البيت عليهم السلام ففي الخبر؛ هل يصلح للرجل ان ترضع له اليهودية والنصرانية والمشركة؟ قال لابأس، وقال امنعوهم (لعله يقصد المرضعات) من شرب الخمر٢٠.

وايضا وعلى الرغم من تشدد الإسلام في امر الصلاة ولباس ومكان المصلي، نجده يسمح للمسلم ان يقيم الصلاة في معابد اليهود والنصارى والمجوس، فعن حكم بن الحكم قال؛ سمعت ابا عبد الله ع يقول وسئل عن الصلاة في البيع والكنائس؟ فقال صلّفيها قد رايتها ما انظفها٢١. ويروى؛ ان ابن عباس كره الصلاة في الكنيسة اذا كان فيها تصاوير، وقد رويت الكراهة عن الحسن ولم ير الشعبي وعطاء بن ابي رباح بالصلاة في الكنيسة والبيعة باسا، ولم ير ابن سيرين بالصلاة في الكنيسة باسا، وصلى ابو موسى الاشعري وعمر بن عبدالعزيز في كنيسة٢٢.

والرؤية العامة التي يمكن استنتاجها من كل ما تقدم، هي ان العلاقة التي تحكم المسلمين بغيرهم في الظروف الطبيعية هي علاقة التعايش والتعاون والتحاور والتزاور، لا علاقة التقاطع والتدابر والتناحر، كيف

وقد اباح الإسلام للمسلم ان يتزوج من الكتابية - على قول مشهور- فكيف يدعوه الى قطيعة الاخرين، ويسمح له بالتزاوج منهم؟ وهل يطلب من الزوج ان يبني حاجزا ماديا ونفسيا واجتماعيا بينه وبين زوجته؟.

ان هدف الإسلام ورسوله وقادته وعلى راسهم الأئمة من أهل البيت الحفاظ على وحدة المجتمع الإسلامي وتماسكه وتوطيد الامن الاجتماعي في تعزيز ثقافة التسامح ونشر رسالة المحبة، والتأكيد على احترام الاخر في نفسه وماله وعرضه ورعاية حقوقه وحفظ انسانيته وكف الأذى عنه ما دام لا يتحرك بالظلم والعدوان قال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) سورة الممتحنة اية؛ ٨.

ان اهم قيمة يجدر بنا التبشير بها والدعوة اليها بعد تأصيلها وتنظيمها هي حق الاختلاف بين بني البشر لان التكفير ينبت وينمو في اجواء القمع والاستبداد ويتحرك في ظل احادية الراي والفهم التي يراد فرضها على الاخرين ومصادرة حقهم في الاختلاف، وهذا يتأتى من منظومة دولة العدل الالهي التي تؤسس لتحقيق العدالة الاجتماعية حلم وامل المستضعفين.

سادسا:- الخاتمة

وفي الختام فان الدراسة خلصت لجملة من النتائج والتوصيات في موضوعة طرح الاشكالية القائمة اليوم حول مفهوم التعايش والتسامح

على وفق المنظورين الإسلامي والمتريالي الليبرالي او ما يسمى بالاتجاه المدني، وقد تم استعراض الرؤيتين كل بحسب منظومته القيمية، على وفق المنهجية التحليلية المقارنة مستلهمة الرؤيتين البرهانية الاستنباطية، والاستقرائية التجريبية، متناولة الابعاد الإنسانية والاجتماعية بشقيها الروحي الوحياني، والمادي، مع ملاحظة ومقاربة ماهية التوازن المستحصل من تلكم المعالجات، مع ملاحظة ارجحية المنظومة القيمية الإسلامية، وملائمتها لواقع الإنسان والجماعة في التعايش والتسامح على وفق مبادئ دولة العدل الالهي مستلهمة من صاحب الغدير تلكم القيم والاهداف في تحقيق العدالة الاجتماعية.

الاستنتاجات

١- ثبت ان الاشكالية المطروحة والمفتعلة في كيفية قبول الاخر، واي النظم القادرة في تحقيق التعايش والتسامح المجتمعي هي اشكالية هدفها تفكيك المجتمعات الإسلامية بتنوعاتها العرقية والدينية، واستبدال انموذجها الأخلاقي والاجتماعي بالأنموذج المقابل والذي ثبت فشله، حتى في بلاد المنشأ.

٢- إن التسامح على مستوي الدولة يقتضي ضمان العدل وعدم التحيز في التشريعات وفي إنفاذ القوانين والإجراءات القضائية والإدارية. وهو يقتضي أيضا إتاحة الفرص الاقتصادية والاجتماعية لكل شخص دون أي تمييز. فكل استبعاد أو تهميش إنما يؤدي إلى الإحباط والعدوانية والعنف

والتعصب

٣- وبغية إشاعة المزيد من التسامح في المجتمع، ينبغي للدول أن تصادق على الاتفاقيات الدولية القائمة بشأن حقوق الإنسان، وأن تصوغ عند الضرورة تشريعات جديدة لضمان المساواة في المعاملة وتكافؤ الفرص لكل فئات المجتمع وأفراده

٤- تبين ان العمق الاجتماعي لمنظومتنا القيمية، له امتدادات حضارية، وما التعايش والتسامح الا مبادئ، وقيم اساسية تتوارثها الاجيال جيلا بعد اخر.

٥- ظهر ان العدالة الاجتماعية لا تتحقق الا باعتماد شرائع وسنن دولة العدل الالهي، وخصوصا بعدما جربت الإنسانية جميع الايديولوجيات ومنظوماتها الشرقية والغربية، والتي لم تنتج الا الفقر والظلم والضيم.

التوصيات

١- ضرورة توجيه المجتمع وخصوصا النشيء الى ضرورة التشبث والتمسك بالقيم والأخلاق الإسلامية المؤكدة على التسامح والمحبة والتعايش وقبول المختلف، وذلك من خلال وسائل الاعلام وماكنتها الاتصالاتية، مع منهجية هذه القيم في مؤسسات وزارتي التربية والتعليم العالي (المدارس والجامعات).

٢- الاهتمام والاحتفاء بالمناسبات الإسلامية، كما في عيد الغدير، مع ضرورة ابراز المعاني الاجتماعية والأخلاقية في التعايش والمحبة بين



المسلمين انفسهم وبين المسلمين وغيرهم، مع التأكيد على الوحدتين الإسلامية والإنسانية مستلهمين ذلك من سيرة النبي الأكرم، وخليفته ووصيه الإمام علي، من خلال تعريف الاجيال بسيرتيهما في التعايش وقبول الاخر، كما في وثيقة المدينة المنورة، وعهد الإمام علي الى عامله على مصر مالك الاشتر النخعي.

٣- ضرورة كشف زيف ادعاءات ما يسمى بالتيار المدني الالحادي ودعواهم بنجاعة انموذج التعايش اللا ديني، من خلال عرض جملة من الوثائق والحقائق والاحصاءات الصادرة من الغرب نفسه في تمييزهم العنصري، والعرقي، والديني، وتعنيف المرأة، والاضطهاد والتفكك الاسري، من خلال كل الوسائل الإعلامية والتربوية والثقافية، والاجتماعية، والدينية.

المصادر:-

٠١ القران الكريم

٠٢ الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي- ابراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١، ج٢، ص١٨٩

٠٣ ابن منظور، لسان العرب، مركز الشرق الاوسط، بيروت، ٢٠١١، ج٤، ص ٣١٧

٠٤ المجلسي، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، ط٢، بيروت،، ١٩٨٣

٠٥ الحـر العامـلي، تفصيـل وسـائل الشـيعة الى تحريـر مسـائل الشريعـة، مؤسسـة ال البيـت، ط٢، قـم، ١٤١٤هجريـة

٠٦ ابـن جريـر الطـبري، تاريـخ الامـم والملـوك، مؤسسـة الاعلمـي، بـيروت، ١٩٨٥

٠٧الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ايران، ١٣٨٨ هجري

٠٨ البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ط٨، ١٩٨١

٠٩ احمد بن حنبل، مسند احمد، دار صادر بيروت، بلا

٠١٠ ابن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥

٠١١ ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١

٠١٢ ابن خلكان، وفيات الاعيان، دار الثقافة، لبنان، ١٩٩٠

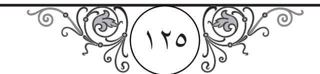
٠١٣ الخوئي، منهاج الصالحين، مدينة العلم، قم، ١٤١٠ هجرية

٠١٤ الطـوسي، تهذيـب الأحـكام، دار الكتـب الإسـلامية، ايـران، ١٤٠٨ هجريـة

٠١٥ الصدوق، الخصال، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٣ هجرية

٠١٦ حسـن الخشـن، الإسـلام والعنـف، المركـز الثقـافي العـربي، بـيروت، ٢٠٠٦

٠١٧ محمـد حسـين فضـل الله، خطـوات عـلى طريـق الإسـلام، دار المـلاك، ط٦، بـيروت، ١٤٢٥ هجريـة



١٨. عباس القمي، مفاتيح الجنان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٦

١٩. ابن ابي الحديد المعتزلي - شرح نهج البلاغة - المؤسسة الجامعية - بيروت ١٩٨٠

الدوريات

٢٠. المعارج، شهرية متخصصة بالدراسات القرآنية، اشراف حسين شحادة، ع ٤٣، بيروت، ٢٠٠٣.

الهوامش

١- الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي- ابراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١، ج٢، ص١٨٩

٢- ابن منظور، لسان العرب، مركز الشرق الاوسط، بيروت، ٢٠١١، ج٤، ص ٣١٧

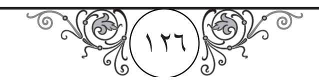
٣- المصدر نفسه، ج٤، ص٣٢٠

٤- المعارج، شهرية متخصصة بالدراسات القرانية، اشراف حسين شحادة، ع ٤٣، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٥٤

٥- ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١، ج ٤، ص ٤١٤

٦- المصدر نفسه، ص ٤١٥

٧- الصدوق، الخصال، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٣ هجرية، ص٢٦٤



٨- عباس القمي، مفاتيح الجنان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٠٢

٩- ابن خلكان، وفيات الاعيان، دار الثقافة، لبنان، ١٩٩٠، ص٦١٦

١٠- ابن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص ٤١٥

١١- المجلسي، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، ط٢، بيروت،، ١٩٨٣، ج ٢٤، ص ١١٠

١٢- السيرة النبوية، مصدر سابق، ص ٤٢٠

١٣- ابن ابي الحديد المعتزلي - شرح نهج البلاغة - المؤسسة الجامعية - بيروت ١٩٨٠، ص٢٢٥

١٤- حسن الخشن، الإسلام والعنف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٢٠

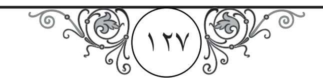
١٥- الخوئي، منهاج الصالحين، مدينة العلم، قم، ١٤١٠ هجرية، ص ١٢٠

١٦- الصدوق، الخصال، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٣ هجرية، ص ٢٦٥

١٧- محمد حسين فضل الله، خطوات على طريق الإسلام، دار الملاك، ط٦، بيروت، ١٤٢٥ هجرية، ص٥٦

١٨- احمد بن حنبل، مسند احمد، دار صادر بيروت، بلا، ج١، ص ١٩٥

١٩- الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة الى تحرير مسائل الشريعة،





مؤسسة ال البيت، ط٢، قم، ١٤١٤هجرية، ج ١٢، ص ١٣٥

٢٠- الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ايران، ١٣٨٨ هجري، ج٢، ص١٢٥

٢١- ابن جرير الطبري، تاريخ الامم والملوك، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٥، ج٤، ص٣٢٠

٢٢- البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ط٨، ١٩٨١، ج٤، ص٤١٥

سوسيولوجيا السلطة الدينية قراءة اجتماعية لواقعة الغدير

أ. م. د. نضال عيسى كريف

المقدمة :

(اللهم أني استعديك على قريش ومن أعانهم، فأنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي)

(علي بن أبي طالب عليه السلام)

إن دراسة السلطة الدينية ضمن سياقات علم الاجتماع تشير إلى جملة من القضايا والمسائل الجوهرية التي تقع في صلبها السلطة الملهمة أو ما يعرف بالسلطة الكارزاماتية والتي تحدث عنها أبرز علماء الاجتماع وعلى رأسهم ماكس فيبر عالم الاجتماع الالماني المعروف. فضلاً عن نظريات سوسيولوجية نظرت للسلطة حسب معطيات السمات الشخصية والموقف الاجتماعي والتفاعل بينهما لإنتاج سلطة تدير شؤون المجتمع وتتولى إدارته وتنظيمه.

إن السلطة الدينية على الرغم من كونها تستمد شرعيتها من «المقدس» مباشرة، إلا أن سمات وخصائص وصفات الزعيم أو القائد الديني الشخصية من جهة والظروف الاجتماعية التي تحيط في عصر ظهوره وزعامته تعد ركناً أساسياً لا غنى عنه لفهم مغزى الدلالات الاجتماعية

للسلطة الدينية بوجه عام.

في ظل هذه المقدمة السوسيولوجية تأتي السلطة الدينية للأمام علي (عليه السلام) والتي استمدت شرعيتها في ظل واقعة الغدير التي أعلنت ولايته وخلافته للنبي (صلى الله عليه وآله) على الأمة، بوصفه الزعيم الذي تمت مبايعته من جمهور المسلمين واستمد الشرعية الدينية عبر تبليغ النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك التبليغ الإلهي بولايته على الأمة واستمد في الوقت نفسه الشرعية الاجتماعية عبر مبايعة الناس له وأقرارهم بولايته عليهم.

إن الدراسة السوسيولوجية التي نتوخاها في ورقة عملنا تروم فهم أبعاد اجتماعية عدة وهذا الأمر استدعى منا الوقوف عند مباحث جوهرية ثلاثة، وهي كالآتي:

أولاً: مدخل اجتماعي لمفهوم السلطة وتأطيراتها النظرية.

ثانياً: الدلالات السياسية في واقعة الغدير.

ثالثاً: سلطة الإمام كوريث ديني / سياسي.

المبحث الأول

مدخل اجتماعي لمفهوم السلطة وتأطيراتها النظرية

يحتل مفهوم السلطة حيزاً واسعاً في التراث الاجتماعي ليست لكونها ممارسة سياسية وتنظيمية فحسب بصفتها ضرورة اجتماعية تستدعي

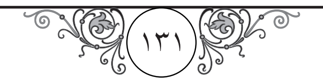
بمقتضاها تحقيق وظيفة اجتماعية وتعمل بكونها تكويناً بنبوياً واستراتيجياً فعالاً، وإذا ما نظرنا إلى السلطة بمعناها البسيط فسنلاحظ أنها فرض الإرادة على الآخرين بهدف معين أو استخدام للقوة والهيمنة من جهة على أخرى لأجل إمضاء المشيئة السياسية.

ويشير مصطلح السلطة إلى معنى الحكم أو القدرة أو القوة، فالسلطة تعني القيام بفعل من شأنه إرغام الآخرين وتوجيههم وبذلك فإن المفهوم الدلالي للسلطة يتضمن التركيز على كونها مستندة إلى حالة اللا توازن في العلاقة بين واقعين غير متماثلين يمارس أحدهما نفوذاً أو تأثيراً على الآخر[1].

وبذلك فإننا سنتناول التأطير النظري للسلطة من الناحية السوسيولوجية بغية الولوج في الدلالات السياسية للسلطة الدينية التي حازها الإمام علي (عليه السلام) في ثنايا واقعة الغدير من خلال الاعتماد على ما طرحه ماكس فيبر وميشيل فوكو فضلاً عن بعض الطروحات السوسيولوجية التي ترتبط بالمؤهل لممارسة السلطة الدينية والسياسية على اعتبار أن السلطة التي تحلى بها الإمام علي (عليه السلام) ومارسها ممكن فهمها في التأطيرات التي وضعها كلا المفكرين سواء أكان بالسمات والخصائص أو الهيكلية السياسية والإدارية التي أسس لها الإمام (عليه السلام) وثبتت كصفات وخصال شاخصة به.

---

(١) جودة محمد إبراهيم، المنظور الفلسفي للسلطة عند ميشيل فوكو، دراسة الفلسفة السياسية والاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط١، ٢٠١٧، ص٤٧.



إن نظرية ماكس فيبر M. Weber في السلطة Authority تستند إساساً إلى طاعة جماعة معنية من الناس الأوامر المحددة اتي تصدر عن مصدر معين، ولكنه سرعان ما أقام تفرقة بين هذا المفهوم وبعض المفاهيم الأخرى المرتبطة به مثل القوة (Power) والتأثير (Persuation) موضحاً أن السلطة تتميز بأن صاحبها لديه الحق في ممارستها. وأن من يخضع لها يرى أن من واجبه طاعتها، بعبارة أخرى فإن السلطة تفترض وجوب ضرب من الشرعية (Legitimacy) يمنحها استقرار نسبي يحدد ابعادها فالجماعة هنا على استعداد للطاعة لأن أعضاءها يؤمنون بالفعل بأن مصدر الضبط مصدر شرعي[١].

واستناداً إلى هذا الفهم حاول فيبر تصنيف أنماط السلطة في ضوء التوجه القيمي العام الذي يسندها والذي يجد تعبيره المثالي في إيمان الناس بشرعية السلطة، فذهب إلى أن هناك ثلاثة أنماط للسلطة هي: السلطة الروحية المستندة إلى الإلهام (Charismatic Charismati)، والسلطة التقليدية (Traditional)، والسلطة القانونية (Legel)[٢].

فالسلطة الأخيرة تقوم على أسس معقولة ورشيدة تستند إلى الاعتقاد في شرعية القواعد المعيارية وأحقية أولئك الذين ارتقوا إلى مناصب السلطة في ظل هذه القواعد ليصدروا الأوامر، أما السلطة التقليدية فتقوم على

(١) د. السيد محمد الحسني، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، دار المعارف، بمصر، ط٥، ١٩٨٥، ص٤٦-٤٧.

(٢) د. السيد محمد الحسني، المصدر السابق نفسه، ص٤٧.

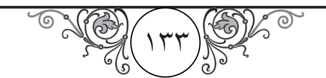
أسس كلاسيكية تعتمد على اعتقاد قائم في قداسة الأعراف التقليدية ومشروعية مكانة أولئك الذين يمارسون السلطة في ظلها، وتستند السلطة الكرزماتية / الملهمة إلى أسس -عظيمة - ترتكز على الولاء إلى البطولة والقداسة الخاصة الاستثنائية أو الشخصية المثالية لأحد الأفراد أو الأنماط المعيارية أو النظام الذي يفرضه أو يرسم معالمه[١].

وتأسيساً على ما تقدم، فإننا سنركز على طروحات فيبر عن السلطة الكارزمية على وجه الخصوص، إذ إننا نراها تتحقق وتتماهى مع شخص الإمام علي (عليه السلام) بدأً من ولادته ومروراً بكافة محطات حياته.

لقد تضمنت تحليلات فيبر عن الشخصية الكرزماتية بأنها تعتمد على مؤثرات قوية تنجح في إحداث عملية تغير اجتماعي واسعة وتنجح في قلب التقليد والقواعد الثابتة والمتجذرة فضلاً عن ذلك فإن الكارزما تبدو كطريقة لإدخال تغير اجتماعي بديل عن العقلنة إذ يرى فيليب راينو «إن الكارزما هي القوة الثورية الكبرى للحقب المتصلة بالتقليد على خلاف القوة، وهي كذلك ثورية من العقل Ration الذي يتصرف سواء مباشرة من الخارج وذلك بتغيير شروط ومشكلات احياة بطريقة غير مباشرة... ففي الحقب ما قبل العقلانية التقليد والكرازما تقاسما تقريباً مجموع توجهات الفعل[٢].

(١) جوليان فروند، سوسيولوجيا ماكس فيبر، مركز الإنماء القومي، بيروت، د. ت، ص١١١.

(٢) فيليب راينو، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث، ت: محمد جديدي، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص٢١٧.



وبوجه عام تقوم الشرعية الكاريزمية / الريادية كما عرفها فيبر على الاعتراف بالزعيم بصفة شخصية عندما تصبح مكانته وهيبته مصدراً للسلطة ويقصد بالإجمال إضفاء الشرعية على الزعامة الأمر الذي يجعل منها سلطة. هذا مع العلم إن ماكس فيبر يعتقد إن السلطة أياً تكن لا تقوم على نمط واحد من الشرعية وبالتالي يمكن للنمطين الآخرين اللذين يميزهما - الشرعية القانونية - العقلانية والشرعية التقليدية - أن يمتزجا بالريادة (الإلهام) فالسلطات القانونية - العقلانية والسلطات التقليدية يمكن أن تكون كذلك زعماء ولو جزئياً[(١)].

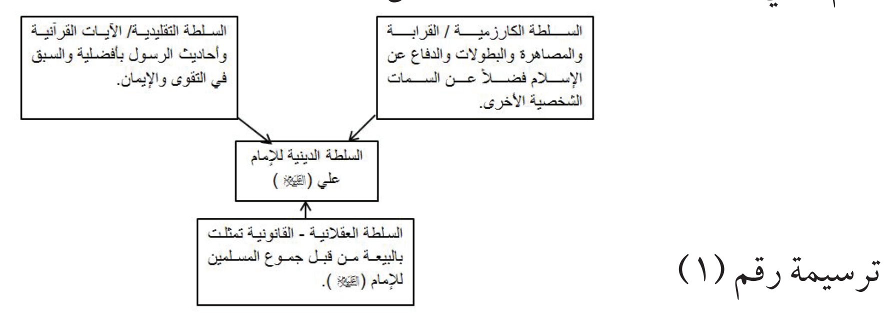
وبهذا يكون الامتزاج والتداخل وارداً في هذه الأنماط الثلاثة من السلطة ويمكن لها أن تمتزج بشخصية واحدة كما أنها تمارس بمجتمعات وحقب متباينة. وقد حاول أحد الباحثين استدماج أنواع السلطات الثلاث وشرعيتها المذكورة آنفاً مع السلطة التي حازها الإمام (عليه السلام) من الأمة معتبراً أن السلطة الكارزمية الملهمة قد حاز عليها من خلال قرابته الدموية والنسبية (النسب) من الرسول (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن قربه الدائم منه وشجاعته الواضحة في بداية الدعوة الإسلامية وحروب الإسلام. أما السلطة التقليدية فقد تمثلت لديه بقداسة الموروث الديني من الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما أشار إلى أن (الأئمة من قريش) أي (الحكام) وهذا الأمر لا يعدو الإمام علي (عليه السلام) بطبيعة الحال

---

(١) موريس دوفرجيه، علم اجتماع السياسة، ت: د. سليم حداد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١، ص١٣٧.

لأنه ينتمي لأحد بطون قريش (بني هاشم)، أما الشرعية الأخيرة التي نالها الإمام (عليه السلام) فهي بنظر الباحث من خلال عملية «البيعة» إذ عدها الباحث هنا محوراً للسلطة – العقلانية على أساس حدوث عملية تعاقد اجتماعي تحقيقي بين الحاكم والمحكوم عبر آلية البيعة(١).

ووفقاً لهذا الرأي الأخير يمكننا أن نضع هذه الترسيمة التي توضح أنماط السلطة الثلاث وفقاً للطرح الفيبري والتي اجتمعت بشخص الإمام علي لينال السلطة الدينية بكل أبعادها.



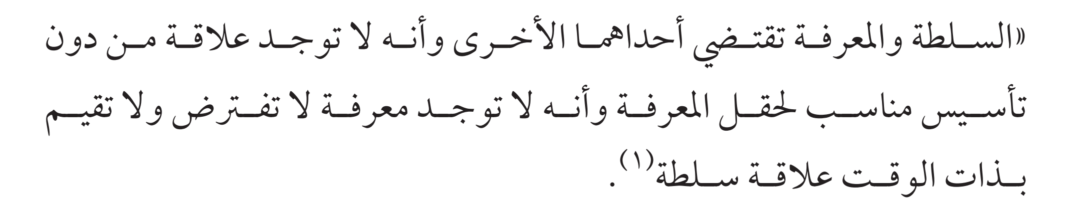
ترسيمة رقم (١)

أما ميشيل فوكو فقد حاول تحديد العلاقة بين السلطة والمعرفة وحاول الابتعاد عن التصور الذي يفصل بين المعرفة كمجال للحرية والقيم الأخلاقية والسلطة كمجال للقهر والإكراه المادي، إذ أنه حاول تبني تصور جديد يقوم أساساً على الجمع بين المعرفة والسلطة من دون خلق حالة من المساواة بينهما، فالمعرفة وإن كانت تمتلك السلطة فهي ليست سلطة والسلطة وإن كانت تنتج المعرفة إلا أنها ليست معرفة ويقول فوكو

---

(١) مصطفى جعفر وآخرون، الدين والسياسة، نظريات الحكم في الفكر السياسي الإسلامي، كتاب المنهاج، سلسلة بحوث فقهية اصدرها مجلة المنهاج التابعة لمركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٣، ج١٠ن ص٨٧٩.





«السلطة والمعرفة تقتضي أحداهما الأخرى وأنه لا توجد علاقة من دون تأسيس مناسب لحقل المعرفة وأنه لا توجد معرفة لا تفترض ولا تقيم بذات الوقت علاقة سلطة[١].

وبذلك يطرح فوكو ثنائية تحمل كل من السلطة والمعرفة في بوتقة واحدة، والسلطة عند فوكو هي في الأصل حالة ممارسة وليست ملكية أو امتياز معين تمتلكه طبقة أو جماعة أو حتى فرد. إذ يقول «تفترض إن السلطة التي تمارس يجب أن لا تؤخذ بوصفها ملكية بل استراتيجية وإن مفاعيلها التسلطية لا تعزى إلى تملك بل إلى استعدادات وإلى مناورات وإلى تكتيكات وإلى سير عمل... وإن ينظر إليها على أن نموذجها هو الصراع المستمر بدلاً من أن تكون العقد الذي يتم بموجبه التخلي عن ممتلكات أو الاستيلاء عليها[٢].

ويذهب فوكو إلى إظهار الجانب الإيجابي للسلطة وهذا ما أكده في دراسته عن وسائل وتقنيات الانضباط إذ يقول: «يجب التوقف عن الاستمرار في وصف مفاعيل السلطة بعبارات سلبية من مثل: إن السلطة تستبعد وتقمع وتكبت وتراقب وتجرد وتخفي، في الواقع إن السلطة تنتج وتنتج الواقع الحقيقي، أنها تنتج مجالات من الموضوعات (الأشياء) ومن الحقيقة[٣].

---

(١) جودة محمد إبراهيم، المنظور الفلسفي للسلطة، مصدر سابق، ص٨٢.

(٢) جودة محمد إبراهيم، المنظور الفلسفي للسلطة، مصدر سابق، ص٨٠.

(٣) د. الزواوي بغورة، مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠١٣،



وهـذا مـا يؤكـد الـدور الوظيفـي الانتاجـي للـدور المهمـل في طبيعـة السـلطة إذ عـبر حقـب زمنيـة طويلـة تلبسـت السـلطة بلبـوس القمـع والرقابـة والتنكيـل خاصـة في مجـال الدولـة الإسـلامية التـي شـهدت سلسـلة مـن أنـماط مختلفـة للسـلطة ذات صفـات قمعيـة.

وبذلـك يكـون طـرح فوكـو تأكيـداً للـدور الفعـال في طبيعـة السـلطة إلا وهـو دور الانتـاج والتشـكيل في مجـال المعرفـة والفـرد والمجتمـع، وتعتـبر السـلطة الانضباطيـة مثـالاً نموذجيـاً لهـذا الـدور الـذي تنتـج فيـه مختلـف عمليـات الفردنـة individualisation في الجسـد الاجتماعـي[1].

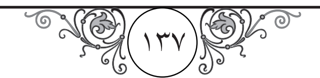
وفي السـياق نفسـه قـدم فوكـو تلازمـاً وارتباطـاً شرطيـاً بين ممارسـة السـلطة والحريـة الكليـة، إذ لا يمكـن الفصـل بـين علاقـات السـلطة أو شـكل الدولـة وبـين الحريـة اتي هـي حصيلـة لمختلـف ممارسـات فنـون الحكـم[2].

وبذلـك تعامـل فوكـو مـع السـلطة بوصفهـا مجموعـة مـن العلاقـات السـلطوية التـي تحكـم المجتمـع ونظـراً إلى تطورهـا بكونهـا نسـقاً معرفيـاً بحتـاً فهـو لا يسـعى إلى تحديـد مفهـوم السـلطة بقـدر مـا يسـعى إلى تحديـد الممارسـات والسـلوك التـي قـادت إلى ترسـيخ مفهـوم السـلطة، بعبـارة أدق أنـه ركـز جهـوده في تحليـل ووصـف مفاعيـل السـلطة ونتائجهـا وكيفيـة ممارسـتها فهـو لا يُعنـى بالـ «كيـف» أي (كيـف تظهـر السـلطة) بـل (كيـف تمـارس) و

ص٩٦.

(١) د. المصدر السابق نفسه، ص٩٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص١٠١.






(كيف يحدث الأمر عندما يمارس أفراد سلطتهم على الآخرين)[1].

ولعل هذه الفكرة الأخيرة هي ما ستكون منطلقاً ومرتكزاً لبحثنا إذ بغض النظر عن الوصية أو البيعة كآلية ناجعة وحاسمة في تولي الإمام علي للسلطة وأهليته لها تبقى الكيفية التي مارس بها السلطة والتي انفرد بها تقريباً عمن سبقوه بمثابة الفيصل التاريخي والبرهان الجلي في جدارته لاستحقاق الولاية والسلطة الدينية هذه السلطة اتي توارثها من الرسول (صلى الله عليه وآله)، والتي مثلت مختلف صور المساواة والعدالة الاجتماعية. وهذا يعني أن السلطة الدينية للنبي (صلى الله عليه وآله) قد أسست ما يعرف بسلطة (الولاية) وهنا تكون الولاية نتاجاً للنبوة.

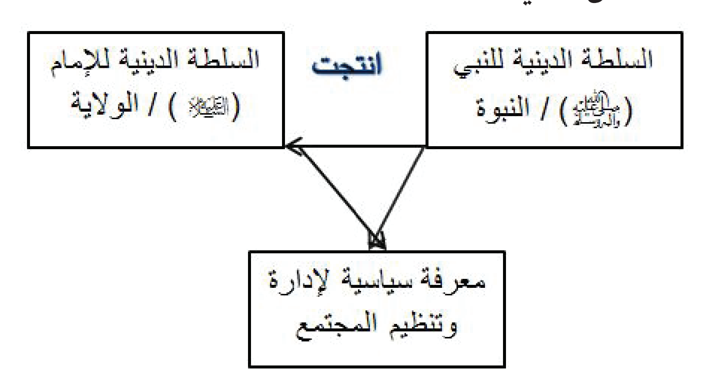
وتوافقاً مع طرح فوكو فإن السلطة الدينية للإمام (عليه السلام) المتمثلة بالولاية قد انتجت معرفة سياسية استطاع الإمام من خلالها أثبات جدارته عندما تسلم مقاليد الحكم أبان فترة خلافته، ولعل رسالته لواليه على مصر الاشتر النخعي ما يؤطر ويعزز هذه المعرفة السياسية المحنكة التي نتجت من السلطة الدينية التي تسنم زمامها الإمام بعد تسلمه خلافة الدولة الإسلامية. وبطبيعة الحالة فإن هذه المعرفة اتي امتلكها الإمام كانت ستؤتي ثمارها لو أنه مارسها باستخلافه المباشر للرسول (صلى الله عليه وآله) تبعاً لمبايعته في واقعة الغدير هذا أولاً وتبعاً لما ذكرته الشواهد التاريخية من دور إيجابي في ممارسته للسلطة أبان توليه الخلافة.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص١٠١.



ولنـا هنـا أن نضـع هـذه الترسـيمة التـي توضـح العلاقـة بـين السـلطة والمعرفـة، وبالشـكل الآتي:



ترسيمة رقم (٢)

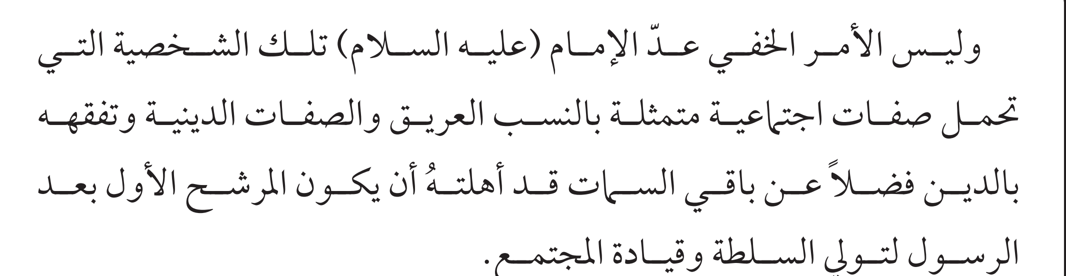
وفي السـياق نفسـه فقـد وافقـت نظريـة السـمات Trait Theory التـي طرحهـا بعـض الباحثـين السوسـيولوجيين، مـع المعطيـات الخاصـة بسـلطة الإمـام الدينيـة والسياسـية.

إذ يفـسر أصحـاب نظريـة السـمات ظهـور شـخص مـا كقائـد وحيازتـه للسـلطة واسـتمراره فيهـا عـلى أسـاس توافـر صفـات شـخصية معينـة موجودة فيـه شـخصياً تجعـل الآخريـن يقبلـون أن يقودهـم ويأخـذ بزمـام أمـور المجتمـع، وتنطلـق هـذه النظريـة كذلـك مـن أن اختيـار القائـد في المجتمـع يعـود لجملـة مـن الصفـات والخصائـص[١] * التـي يتمتـع بهـا[٢].

(١) تقترب هذه النظرية وتلتقي مع أطروحات ماكس فيبري عن القيادة الكارزمية بشكل كبير.

(٢) د. هوشيار معروف، القيادة والتنظيم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩٢، ص٥١.




وليس الأمر الخفي عدّ الإمام (عليه السلام) تلك الشخصية التي تحمل صفات اجتماعية متمثلة بالنسب العريق والصفات الدينية وتفقهه بالدين فضلاً عن باقي السمات قد أهلتهُ أن يكون المرشح الأول بعد الرسول لتولي السلطة وقيادة المجتمع.

ولكي تتم عملية تولي السلطة يرى الباحثون أن الشخص الذي يحمل هذه الصفات لابد أن يبرز في موقف تفاعلي - سياسي - اجتماعي، وهذا ما ذهب إليه دعاة المذهب الموقفي / النظرية الموقفية التي ترى أن صفات الشخص الذي يتولى السلطة غير كافية لوحدها، وأن الموقف أو البيئة (المحيط والظروف الاجتماعية) هي الأهم إذ ترى هذه النظرية إن عملية تولي السلطة وقيادة المجتمع لابد أن تتم في موقف معين وظرف معين[1].

وهنا تتجلى حادثة الغدير بشكل كبير كأهم وأعظم موقف سياسي / اجتماعي يمكن أن تؤكد وتعزز سلطة الإمام (عليه السلام) بشكل رسمي هذا إذا ما تغاضينا عن المواقف البطولية[2]** التي ظهر بها الإمام كمؤهل بارز لتولي السلطة في المجتمع.

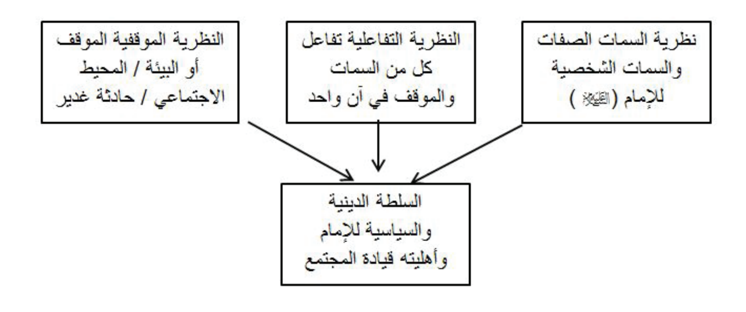
وفي السياق ذاته فقد فسرت النظرية التفاعلية Interactional Theory السلطة أو القيادة بأنها محصلة لشخصية الفرد وتفاعلها الحركي أو الديناميكي مع المنظومة الاجتماعية. بعبارة أدق أن من يتولى السلطة أو

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص٥١.

(٢) لعل موقفه الشجاع من عمر بن عبد ود العامري، واقتلاعه لباب خيبر وغيرها من المواقف الشاخصة.

القيادة الاجتماعية تتاح للشخص الذي تتوافر به سمات وخصائص محدد تتفاعل وتمتزج بموقف وظرف وبيئة اجتماعية معينة ينتج عنها قيادة فاعلة ومؤثرة. وتبعاً لذلك فإن سمات الإمام (عليه السلام) وخصاله قد تماهت مع موقف «البيعة» / بيعة الغدير لتجعل منه القائد الذي يمكن أن يتحلى بالسلطة الدينية والزمنية في آن واحد، والترسيمة الآتية توضح هذه النظريات الثلاث آنفه الذكر.



ترسيمة رقم (٣)

المبحث الثاني

الدلالات السياسية في واقعة الغدير

من أهم القضايا السياسية هي مسألة «السلطة» إذ تقوم مسألة السلطة في الفقه الجعفري على قاعدتين الأولى هي كون السلطة ضرورة للاجتماع الإنساني، والثاني كونها وسيلة لإصلاح هذا الاجتماع؛ ويتلازم مفعول



القاعدتين بشدة بحيث لا يجد الفقيه إمكانية للإقرار بالأولى مستقلة عن الثانية إلا في حالات استثنائية[1].

ومن جانب آخر فإننا نجد مدلول السلطة الدينية يتجسد ويختزل في تسمية «الإمامة» وبذلك يكون الإمام ووجوده ضرورة اجتماعية وسياسية تستدعيها الحاجة الإنسانية وضرورات الحياة من هذا المنطلق ذهب الفقهاء إلى القول بأن الإمامة واجبة عقلاً لا سمعاً وأن تعيين المعني بها واجب من الله وأنه لا يجوز أن تخلو الأرض من إمام وأنها أصل من اصول الاعتقاد وليس من الفروع[2]. كل ذلك يتم وسط معالجة دينية للنصوص التي تعنى على وجه الخصوص بموضوعة الإمامة وربطها بمدلول سياسي ديني يصعب مع الفصل بينهما.

وبناءً على ذلك تكون الإمامة ذات مدلول سياسي رغم أنها ذات طابع ديني (ألهي) ولكن ما يعنينا هنا هو كيف يمكن لنا أن نعطي مدلولاً سياسياً على واقعة الغدير وكيف يمكننا بالوقت ذاته إثباتها كواقعة اجتماعية ودينية أثبتت سلطة وولاية الإمام (عليه السلام) وبامتياز، وذلك عبر النظر إلى نص الواقعة وتوقيتها والشخصية المعنية بها فضلاً عن إثبات مشروعيتها عبر امتلاكها للمقومات والأسس والقواعد الشرعية لتولي الإمام علي (عليه السلام) السلطة والقيادة الدينية للمجتمع عقب

---

(١) توقيف السيف، نظرية السلطة في الفقه الشيعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٢، ص٥٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٥٩.

الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه).

لقـد كانـت هـذه الواقعـة الجليلـة الخطـر في اليـوم الثامـن عـشر مـن ذي الحجـة في السـنة العـاشرة مـن الهجـرة، وقـد أخـرج الطـبراني هـذا الحديـث منقـولاً عـن زيـد ابـن ارقـم واعـترف ابـن حجـر العسـقلاني في الصواعـق المحرقـة (ص٢٥) كـما أخرجـه الحاكـم في الجـزء الثالـث (ص١٠٩) مـن مسـتدركه، وأحمـد بـن حنبـل في الجـزء الرابـع (ص٣٧٢) مـن مسـنده بصيـغ أخـرى مـن ذلـك إن النسـائي أخرجـه بالصيغـة الآتيـة: لمـا فـرغ النبـي مـن حجـة الـوداع ونـزل غديـر خـم أمـر بدوحـات فأقمـن ثـم قـال: كأني قـد دعيـت فأجبـت، وأني تـارك فيكـم الثقلـين أحدهمـا أكـبر مـن الآخـر كتـاب الله وعـترتي أهـل بيتـي فأنظـروا كيـف تخلفـوني فيهـما فأنهـما لـن يفترقـا حتـى يـردا عـلي الحـوض، ثـم قـال أن الله مـولاي وأنـا ولي كل مؤمـن وأخـذ بيـد عـلي وقـال: مـن كنـت وليـه فهـذا وليـه اللهـم وال مـن والاه وعـاد مـن عـاداه وقـد سـئل زيـد بـن ارقـم: أسـمعه مـن رسـول الله؟ قـال: وأنـه مـا كان في الدوحـات أحـد إلا رآه بعينـه وسـمعه بأذنـه[١].

وتأسيسـاً عـلى مـا تقـدم فـإن السـلطة الدينيـة التـي كان مـن المفـترض أن يتقلدهـا الإمـام مـن واقعـة الغديـر إنـما كانـت امتـداداً لسـلطة النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) الـذي كان بمثابـة قائـداً دينيـاً وسياسـياً في الوقـت نفسـه[٢].

(١) د. أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الأثنى عشرية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١، ص٢١٠ - ٢١١.

(٢) د. بشير محمد الخضرا، النمط النبوي - الخليفي في القيادة السياسية العربية والديمقراطية،



وهكـذا فالمحصلـة النهائيـة تكـون وصيـة الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه) لتثبيـت هـذه السـلطة وتبليغهـا لعمـوم أفـراد المجتمـع.

وبنـاءً عـلى ذلـك فـإن هـذه السـلطة الدينيـة والسياسـية والتـي اسـتندت إلى النـص القـرآني/ النبـوي إنـما ترتكـز في بنائهـا الرئيـس حسـب مـا نـراه في المحاولـة للإجابـة عـلى سـؤالين رئيسـين همـا:

١- مـا هـو الشـكل السـياسي الجديـد للحكـم والسـلطة الـذي أراده الرسـول للشـخص الـذي سيكون خلفـاً لـه بالحكم؟

٢- مـا هـي الأسـس الشرعيـة التـي اسـتندت عليهـا سـلطة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) لتـولي الحكـم مـن بعـد الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه) تبعـاً لمـا جـاء في نـص الغديـر؟

إن الإجابـة عـن السـؤال الأول تكمـن في التجربـة التاريخيـة للعـرب والمسـلمين عمومـاً، إذ عكسـت هـذه التجربـة ارتبـاط العـرب وتماهيتهـم مـع جذورهـم الجاهليـة أكثـر مـن الإسـلامية فضـلاً عـن نزعتهـم البدويـة الموغلـة فيهـم وذلـك مـن خـلال ارتكازهـم عـلى الـولاء القبـلي في تحديـد القيـادة النائبـة. وعـلى حـد قـول أحـد الباحثـين أن التجربـة الأولى في القيـادات بـدأت بوفـاة الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه) وقبـل أن يدفـن النبـي اجتمـع نفـر مـن المسـلمين في سـقيفة بنـي سـاعدة ليبحثـوا في أمـر الخلافـة، خلافـة الرسـول وقـد تبلـورت القضيـة بدايـة في الخـلاف بشـأن القبليـة التـي يجـب أن تحكـم

مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص١٢٨.

المسلمين[١].

والنتيجة اتي تفرض نفسها في هذا الموضع هو أن الصحابة عالجوا مسألة الخلافة من منظار قبلي بدوي وبعيد عن معطيات الدين الإسلامي الذي يقدم التقوى والجهاد والسابقة في الإسلام، إذ كان المنطق السائد بينهم هو منطق «القبلية» بمعنى أنه لم يكن «للعقيدة» ولا (للغنيمة) دور يستحق الذكر في ترجيح أحدى وجهات النظر التي أدلى بها في سقيفة بني ساعدة[٢]. وهذا كله يعزز الطبيعة البدوية التي تعلي وترفع من دور القبيلة كعامل سياسي فعال في اختيار القائد أو الخليفة وبالوقت نفسه تكشف بأن التنظيم القبلي أكثر المظاهر الاجتماعية بروزاً[٣].

وبهذا فإن الشكل السياسي للسلطة التي أرادها الرسول وحث عليها هي سلطة دينية بعيدة كل البعد عن التوجه الجاهلي القبلي، هذا التوجه الذي استقر وتأكد بعد حادثة السقيفة. وهذا ما ذهب إليه الباحث عبد المجيد اشرفي الذي يرى أن الاعتبارات الدينية في قرارات السقيفة كانت أما غائبة أو ثانوية[٤].

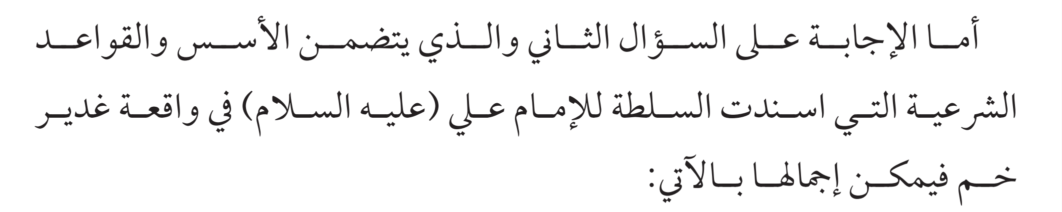
(١) المصدر السابق نفسه، ص١٣٦.

(٢) صلاح الدين العامري، صناعة الذاكرة في التراث الشيعي الأثنى عش، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب، ط١، ٢٠١٦، ص٤٤٢

(٣) د. محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، محدداته، تجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٧٥، ص١٣٦.

(٤) د. حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص١٩١.




أما الإجابة على السؤال الثاني والذي يتضمن الأسس والقواعد الشرعية التي اسندت السلطة للإمام علي (عليه السلام) في واقعة غدير خم فيمكن إجمالها بالآتي:

١- إن مصدر شرعية الإمام علي (عليه السلام) تمثل بكونه منصوص عليه من قبل الله تعالى إذ مثلت خطبة الغدير تكليفاً سياسياً ودينياً من الله ورسوله[1] ﷺ لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) بإمارة المسلمين.

٢- المصدر الآخر الذي أضاف شرعية لسلطة الإمام هي البيعة (ذاتها)، بيعة آلاف المسلمين للإمام (عليه السلام) والبيعة هي التفويض والقبول والرضا والولاء لمن تتم بيعته على الطاعة. وتساوي البيعة وفق هذا السياق السلطة السياسية المطلقة والسيادة بشكل تام. ويرى ابن خلدون أن تطبيق مفهوم البيعة يعني تنصيب السلطة الإلهية على الأرض[2]. وقد مثلت البيعة العهد والميثاق بين المسلمين والإمام لتسويغ وإضفاء الشرعية على سلطته فيما بعد.

٣- إن مشروعية سلطة الإمام متأتية من مقومات القائد الكرزماتي التي ينال بها السلطة ومن جملة الخصائص والسمات الجسمية والنفسية والإيمانية التي تحلى بها الإمام وانفرد بها دون بقية الصحابة. هذا وقد قام الكثير من الباحثين بتعداد الخصال والسمات التي فاق بها الإمام

(١) ((أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) (المائدة آية ٦٧)

(٢) صلاح الدين العامري، المصدر السابق نفسه، ص٤٣٤.



علي (عليه السلام) بقية الصحابة بما أهلته لأن يكون الأجدر في مجال خلافة الرسول واستحصال ووراثة سلطته الدينية والسياسية معاً.

٤- استمد الإمام شرعيته السياسية عبر القاعدة العلمية والمعرفية التي امتلكها الإمام في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) إذ كان الإمام على إطلاع تام بكافة تفاصيل الرؤية النبوية فضلاً عن أخذه للمعرفة من مصدرها الأساس/ الرسول (صلى الله عليه وآله) ولعل أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) والتي منها (أنا مدينة العلم وعلي بابها) وغيرها من الأحاديث كانت بمثابة الإعلام الأكثر سطوعاً في إضفاء التمايز والانفراد لشخصية الإمام (عليه السلام). إن ما يعنينا مما جاء آنفاً هو الوصول إلى حقيقة مؤداها: إن الأمام علي (عليه السلام) كانت له مؤهلات اجتماعية وسمات وخصائص نفسية وجسمية وخصال إيمانية ندرت أن توجد بغيره وهذا ما جعله في المقدمة والطليعة بل جعلته الأنسب والأصلح في تولي زمام السلطة الدينية والسياسية لقيادة وتنظيم المجتمع بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) وهذه هي الفلسفة الاجتماعية التي استندت عليها واقعة الغدير.

وتأكيداً للدلالة السياسية لواقعة الغدير يذهب عبد الحسين شرف الدين الموسوي متسائلاً ومستغرباً بالوقت نفسه عن وقع وأهمية هذا الحدث، إذ يقول: كيف يجمع النبي (صلى الله عليه وآله) تلك الألوف المؤلفة قبل أن يتفرقوا بعد الحج ويهتم بحبسهم في تلك الرفحاء حتى يلحق بهم من تأخر عنه من الجمع ويرجع إليه من تقدم منهم، ثم

ينزلهم في العراء على غير كلاء ولا ماء، ثم يخاطبهم ليبلغ الشاهد منهم الغائب ثم ينعى إليهم نفسه ويسألهم عما سبق أن سلموا به من الإيمان بالله وبرسوله وبالكتاب والحساب، ثم يردف ذلك بوجوب موالات عليّ، ولماذا خصه بالدعوات من الله أن يوالي من والاه ويعادي من عاداه وينصر من نصره ويخذل من خذله ولِمَ أشهدهم على ذلك ولِمَ احتاج هذهِ المقدمات كلها ليعلن على الناس وجوب موالاته؟ وكيف يقصد بآية التبليغ طلب الله منه نشر رسالة التوحيد وقد نزلت بعد حجة الوداع تحوطه مئات الألوف من الذين آمنوا بالتوحيد والنبي على وشك أن يرحل من الدنيا؟ وأي مهمة استوجبت من الله هذا التوكيد واقتضت الحض على تبليغها بما يشبه التهديد؟ وأي أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه إذا كان كل هذا مجرد أن يقصد به أن يعلن مجرد نصرة المسلمين لعلي وصداقتهم له وهذا أمر لا يحتاج إلى بيان.

أفكان كل هذا الجمع وهذه المقدمات لتوضيح الواضحات ويبين ما هو في حكم البديهيات، أم يكون من المستساغ عقلاً أن المناسب للمقام في هذا الهجير واللائق بمعنى أقواله يوم الغدير أن يعلن النبي وصيه ويبلغ عهده ويعيّن القائم مقامه من بعده(١).

إن ما ورد آنفاً يبسط الدلائل ويوضح أهميتها المكانية والزمانية من خلال الحيثيات والظروف والبيئة الاجتماعية والتوقيت الذي تزامن مع

(١) د. أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الأثنى عشرية، مصدر سابق، ص٢١٩.

واقعة الغدير وهيئ لها من الأساس. إذ كانت كل الإحداثيات والظروف تشير إلى شخصية في غاية الأهمية (لدى الله تعالى ورسوله) أراد الرسول (صلى الله عليه وآله) تمريرها لأفراد المجتمع في تلك الواقعة وإثبات مشروعيتها استحقاقها للسلطة والاستخلاف والقيادة بشكل كلي وتام.

وفي خاتمة هذا المبحث نورد رأي الباحث (Alfred Gui llaume) الذي يرى أنه كان علي يستطيع أن يأخذ جيشاً إلى الميدان لتدعيم مطلبه في الخلافة، وبالرغم من أنه أزيح نظرياً بواسطة خدعة فإنه ظل خليفة أي مرجعاً للمسلمين وللخلفاء في أمور دينهم ودنياهم[(١)].

بمعنى آخر بقي الإمام علي يمتلك سلطة ذات طابع ديني وأن أزيح عن السلطة السياسية قسراً حتى وقت مبايعته بالخلافة ليكون القائد الديني والسياسي للمجتمع الإسلامي آنذاك.

المبحث الثالث

سلطة الإمام علي (عليه السلام) كوريث ديني / سياسي

ليس بالأمر الغريب أن يكون الإمام علي (عليه السلام) وريثاً دينياً وسياسياً للرسول (صلى الله عليه وآله) بحكم قربه من الرسول فقد كان أكثر الصحابة استيعاباً للرؤية القرآنية وللرسول (صلى الله عليه وآله) وكان الأبرز في امتلاك ملكة عقلية وذهنية عالية أهلته لهذا التوريث،

(١) د. حسن عباس حسن، الفكر السياسي الشيعي الأصول والمبادئ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٨، ص٢١٠.



وبالتالي تأثره بكل شيء من الرسول (صلى الله عليه وآله) وقد عبر الإمام (عليه السلام) عن ذلك الأثر في الاقتداء بالرسول والتحلي بصفاته عبر خطبته المسماة (القاصعة) إذ يقول: «وقد علمتم موضعي من الرسول (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكنفني إلى فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل... وقد كنت أتبعه إتباع الفصيل (ولد الناقة) أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به»(١).

وقد جعل الدكتور محمد عبد الشفيع قرب الإمام علي (عليه السلام) وقرابته من الرسول (صلى الله عليه وآله) أحد تأثيرات المجتمع في نشأة وتكوين شخصية الإمام القيادية(٢).

وتأكيداً لهذا الجانب التوريثي نجد أن الرسول (صلى الله عليه وآله) تصدى بنفسه لمنصب القضاء ولم يكن للمسلمين في عهده قاض سواه في المدينة وكان يحكم بما أنزل الله عليه من الوحي(٣). وقد اتخذ من المسجد مكاناً للقضاء وهذا دليلاً على قدسية القضاء، وقد اتفق كثير من الرواة

---

(١) الشيخ محمد عبدة، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٥٧.

(٢) د. محمد عبد الشفيع عيسى، علي بن أبي طالب قائداً سياسياً، مجلة المنار، ع٤٩، كانون الثاني، القاهرة، ١٩٨٩، ص١٣٧.

(٣) د. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامين مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ج١، ١٩٩٦، ص٣٨٣.

والباحثين والمؤرخين والفقهاء على إشارة الرسول (صلى الله عليه وآله) على تمكن ودراية الإمام في القضاء، فقد روي عنه (صلى الله عليه وآله) وبألفاظ مختلفة أشارته إلى ذلك بقوله (أقضى أمتي علي، أقضاكم علي، واقضاهم علي)[١].

ومن ناحية أخرى فإن معظم آراء أهل السنة يعترفون أنه ما جاء من الأحاديث في حق أحد من صحابة رسول الله مثل ما جاء في حق علي، يقول ابن حنبل «ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي»، وقال إسماعيل القاضي والنسائي والنيسابوري «لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي، وسبب ذلك والله أعلم أن الله أطلع نبيه على ما يكون بعده مما ابتلي به عليّ، وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الأمة بإشهاره بتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن يتمسك به ممن بلغه[٢].

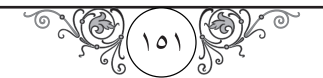
واستناداً إلى ما جاء آنفاً نصل إلى أمرين رئيسين وهما:

١. إن اعتناق الإمام الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه وآله) (إذ كان من الأوائل المؤمنين) منحه القدرة على التشبع والاستيعاب للكثير من المبادئ القرآنية والسنن النبوية اللتين تعدان مصادر أساسية لتولي السلطة الدينية وفق المفهوم الإسلامي. إذ كان الإمام على إطلاع ودراية

---

(١) ينظر تفاصيل ذلك: أبو أسحاق الكوفي، قضايا أمير المؤمنين (عليه السلام)، مؤسسة أمير المؤمنين، النجف الأشرف، د. ت، ص٣ الهامش.

(٢) د. محمد أحمد محمود، المصدر السابق نفسه، ص٢٤٢.



لعلة أي حكم أو تشريع يصدر عن القرآن والسنة مما مهد له أن يتبوء للسلطة والقيادة.

٢. إن المنظومة الأخلاقية، والفكرية التي تحلى بها الإمام (عليه السلام) قد تكاملت نظرياً وميدانياً لدى الإمام من خلال تحويلها إلى ممارسة تطبيقه على يد الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما أسس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وأرسى قواعدها التنظيمية وبطبيعة الحال كان الإمام علي (عليه السلام) على إطلاع تام بكيفية تحويل الحكم الشرعي في أية قضية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية إلى ممارسة تطبيقية عبر تأثره بالتجربة النبوية مما أمدته بالخبرات التنظيمية والإدارية اتي حاول احياؤها وممارستها زمن حكمه (بعد توليه الخلافة فيما بعد).

وفي تبيان مضمون التوريث النبوي وأهلية الإمام له يذكر ابن عباس قول الرسول (صلى الله عليه وآله) والذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية، إن وصييّ لأفضل الأوصياء، وأنه كعبة الله على عباده، وخليفته على خلقه[1].

وبناءً على ما جاء وتأسيساً عليه كله فإن إنكار حق الإمام في السلطة والنيابة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وضياع حقه في أن يخلف النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن بالأمر الهين عليه بل أنه كان من أشد الصعوبات التي واجهها وترتبت عليها مجريات جسيمة أخرى. ويذهب البعض في أن السبب الأبرز لضياع حقه في الخلافة هو انشغال الإمام

(١) صلاح الدين العامري، المصدر السابق نفسه، ص٤٠٠.

مع بنو هاشم بتجهيز النبي (صلى الله عليه وآله) ودفنه، وفي ذلك يقول السيد هاشم معروف الحسني «لما فوجئ الإمام علي نبأ السقيفة استغرب أن يستغل جماعة من الصحابة انصرافه في تجهيز الرسول، بعد أن لحق بالرفيق الأعلى، وأن يتنكروا لما سمعوه منه ولمسوه من حرصه على استخلافه من بعده[1].

وعلى الأجمال إن الإمام علي في ميزاته وميراثه من النبي (صلى الله عليه وآله) قد جمع من ضروب الكمال ما تميز به عن سائر الصحابة فقد كان بحق نموذجاً مثالياً بكل الصفات والخصال.

ونختم هذا المبحث برأي الباحث المصري حسنين كروم إذ يعتقد هذا الباحث أن ضياع الخلافة من علي وذهابها إلى غيره يعتبر ظلماً تاريخياً فادحاً لم يقع على عليّ فقط، وإنما لأن الشخص الأكفأ والأجدر لم يتولَ السلطة»[2].

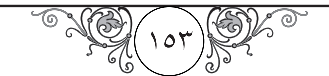
المصادر:

١- أبو أسحاق الكوفي، قضايا أمير المؤمنين (عليه السلام)، مؤسسة أمير المؤمنين، النجف الأشرف، د. ت.

٢- توقيف السيف، نظرية السلطة في الفقه الشيعي، المركز الثقافي

(١) د. حسن عباس حسن، الفكر السياسي الشيعي الأصول والمبادئ، مصدر سابق، ص٢٠٩.

(٢) مجموعة باحثين، علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٧٤، ص٧٤.



العـربي، الـدار البيضـاء، المغـرب، ط١، ٢٠٠٢.

٣- جـودة محمـد إبراهيـم، المنظـور الفلسـفي للسـلطة عنـد ميشـيل فوكـو، دراسـة الفلسـفة السياسـية والاجتماعيـة، المركـز العـربي للأبحـاث ودراسـة السياسـات، قطـر، ط١، ٢٠١٧.

٤- جوليـان فرونـد، سوسـيولوجيا ماكـس فيـبر، مركـز الإنـماء القومـي، بـيروت، د. ت.

٥- د. أحمـد شـلبي، موسـوعة التاريـخ الإسـلامين مكتبـة النهضـة المصريـة، ط٤، ج١، ١٩٩٦.

٦- د. أحمـد محمـود صبحـي، نظريـة الإمامـة لـدى الشـيعة الأثنـى عشريـة، دار النهضـة العربيـة، بـيروت، ١٩٩١.

٧- د. الـزواوي بغـورة، مدخـل إلى فلسـفة ميشـيل فوكـو، دار الطليعـة، بـيروت، ط١، ٢٠١٣.

٨- د. السـيد محمـد الحسـني، النظريـة الاجتماعيـة ودراسـة التنظيـم، دار المعـارف، بمـصر، ط٥، ١٩٨٥.

٩- د. بشـير محمـد الخضرا، النمـط النبـوي - الخليفـي في القيـادة السياسـية العربيـة والديمقراطيـة، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بـيروت.

١٠- د. حسـن عبـاس حسـن، الفكـر السـياسي الشـيعي الأصـول والمبادئ، الـدار العالميـة للطباعة والنـشر والتوزيـع، ط١، ١٩٨٨.

١١- د. حليـم بـركات، المجتمـع العـربي في القـرن العشريـن، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بـيروت، ط١، ٢٠٠٠.

١٢- د. محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، محدداته، تجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٧٥.

١٣- د. محمد عبد الشفيع عيسى، علي بن أبي طالب قائداً سياسياً، مجلة المنار، ع٤٩، كانون الثاني، القاهرة، ١٩٨٩.

١٤- د. هوشيار معروف، القيادة والتنظيم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩٢.

١٥- الشيخ محمد عبدة، شرح نهج البلاغة، ج٤.

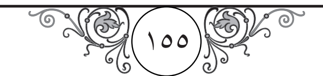
١٦- صلاح الدين العامري، صناعة الذاكرة في التراث الشيعي الأثنى عش، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب، ط١، ٢٠١٦.

١٧- فيليب راينو، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث، ت: محمد جديدي، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر.

١٨- مجموعة باحثين، علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٧٤.

١٩- مصطفى جعفر وآخرون، الدين والسياسة، نظريات الحكم في الفكر السياسي الإسلامي، كتاب المنهاج، سلسلة بحوث فقهية اصدرها مجلة المنهاج التابعة لمركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٣، ج١٠.

٢٠- موريس دوفرجيه، علم اجتماع السياسة، ت: د. سليم حداد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١.







التربية بالقُدوة وحادثة الغدير

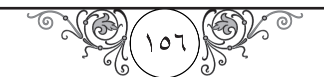
د. يوسف أبو خليل

مقدمة

الحديث عن العلوم التربوية والمناهج التعليمية يقتضي البحث أولا عن الفلسفة التربوية الحاكمة عليها، وتختلف المدارس اختلافاً جذريًّا بناء للرؤى الوجودية (الانطولوجيا) والمعرفية (الايبستمولوجية) والقيمية (اكسيولوجيا). ففي حين ركزت التربية المثالية على العقل والمعرفة العقلية والأخلاق وأهملت باقي الأبعاد الإنسانية، وكانت وظيفة التربية هي فهم الحقائق المطلقة وإدراك الكليات، نجد في المقابل المدارس التربوية الوضعية تُركز على الوجود المادي والمعرفة الحسية والقيم الوضعية.

وما بين تطرف هاتين المدرستين، نجد أنّ الفلسفة التربوية الإسلامية تنفرد برؤيتها الخاصة والمتميزة، فهي لم تتبن طرحهما، بل عدَّتْ كلتا الرؤيتين ناقصتين عن الإحاطة بالواقع، وقد جاءت هذه الرؤية منسجمة مع تعاليم الوحي والمعرفة القرآنية. لذلك لم تُهمل العقل ولا الأخلاق، وأكدت أهمية الواقع المحسوس وعالم الدنيا؛ لأنّ «الدنيا مزرعة الآخرة» كما ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

ففي الأنطولوجيا الإسلامية، نجد أن الوجود لا ينحصر بالوجود



المـادي، فالوجـود ينقسـم إلى وجـود مطلـق وهـو الوجـود البسـيط، ووجـود محـدود مـادي، والمؤثـر الحقيقـي في عـالم الوجـود هـو الله عـز وجـل.

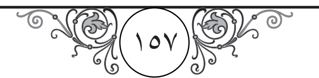
وبنـاء عـلى هـذه الرؤيـة الوجوديـة، فـإن التكامـل لـن يتحقـق مـن جانـب واحـد، أو بعـد إنسـاني واحـد، بـل التكامـل يتطلـب الأخـذ بعـين الاعتبـار جميـع الجوانـب، ومختلـف الأبعـاد الإنسـانية، ويجـب مراعـاة الثنائيـات في الحياة الإنسـانية، الحيـاة المادية والحيـاة الروحيـة، الحيـاة الدنيويـة والحيـاة الأخرويـة، كأبعـاد وجوديـة يجـب أن يتكامـل مـن خلالهـا الإنسـان.

أمـا في الابسـتمولوجيا الإسـلامية، فتتعـدد وسـائل المعرفـة وأدواتهـا؛ لأنّ هنـاك معارفًـا عقليـة وحسّـية وشـهودية، لتبقـى المعرفـة الأسـمى هـي المعرفـة بالوحـي، والتـي اختـص الله بهـا أنبيائـه ورسـله، وتتجسّـد هـذه المعرفـة الوحيانيـة بالقـرآن الكريـم، الـذي خُتمـت بـه الرسـالات السـماوية، و« عَلَّـمَ الإنسـان مَـا لَمْ يَعْلَـمْ»[1].

وبـما أن المعرفـة بالوحـي هـي مـن أسـمى المعـارف وأرقاهـا، لذلـك يجـب عـلى الإنسـان لكـي يرتقـي ويتكامـل في أبعـاده الوجوديـة، أن يُـولي أهميـة قصـوى لهـذه المعـارف، التـي تُسـتقى مباشرة مـن واهـب الوجـود، وهـذا يشـير إلى أهميـة النبـوة وفلسـفتها، فمـن دون الأنبيـاء (ع) لـن يتحقـق الكـمال الإنسـاني في مختلـف الأبعـاد المعرفيـة والوجوديـة.

وفي الأبحـاث القيميـة، وهـي المباحـث الأساسـية التـي ترتبـط ارتباطـا وثيقاً

(١) سورة العلق، الآية ٥.





بالـرؤى التربويـة، ومـن خلالهـا يتـم التعـرّف عـلى أنـواع القيـم بنـاء للـرؤى الوجوديـة، وترتيبهـا مـن حيـث القيـم الأساسـية والغائيـة، والقيـم الأخـرى الوسـيلية والثانويـة، ففـي التربيـة الإسـلامية تعـدّ القيمـة الأعـلى هـي قيمـة «القُـرب» مـن الله عـز وجـل، وعـلى باقـي القيـم الأخـرى أن تكـون خادمـة لهـا. فهـدف الإنسـان في هـذه الحيـاة هـو التقـرّب مـن الكـمال والجـمال والخـير المطلـق أي الله عـز وجـل، فـكلّ الأعـمال التـي تُـؤدي إلى تحقـق هـذه القيمـة، هـي مـن وجهـة نظـر الإسـلام مطلوبـة ويجـب العمـل عـلى تحقيقهـا. لذلـك نجـد أن جميـع الأعـمال والعبـادات مرهونـة بالتقـرب إلى الله، ولا تتحقـق إلا بنيـة القـرب، فـلا صـلاة ولا صيـام أو حـج.. بـدون نيـة القـرب إلى الله.

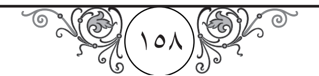
وتكمـن أهميـة القـرب في الرؤيـة الوجوديـة للتربيـة الإسـلامية، مـن حيـث إن وجـود الإنسـان وخلقـه يصـب في تحقيـق هـذا التقـرب، الـذي لا يمكـن أن يتـم إلاّ عـبر العبـادة، وهـذا مـا يؤكـده القـرآن الكريـم، حيـث يقـول الله عـز وجـل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، هـذه العبـادة التـي يُشـكل الأنبيـاء والأوصيـاء المعصومـون عليهـم السـلام الأنمـوذج الكامـل لهـا ولهـذا القـرب مـن الله، الأمـر الـذي يقتـضي وجـود هـذا الإنسـان الكامـل واتباعـه.

أهمية القيمة

إن القيمـة هـي الموجـه الأول لحيـاة الإنسـان،»ولا يسـتطيع الإنسـان أن

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.



يتحـرك نحـو تحقيـق هـدف مـا في حياتـه دون أن يكـون هـذا الهـدف مرتبطًـا بقيمـة مـا في حياتـه، فالأهـداف الحياتيـة والإنسـانية ترتبـط بقيـم دافعـة لتحقيقهـا. إن كل عمـل يختاره الإنسـان إنـما يختـاره لهـدف معـين، وهـو عندمـا يتحـرك مـن أجـل تحقيـق ذلـك الهـدف فإنـه يجعـل لـه قيمـة وأهميـة خاصـة، سـواء أكان هـذا الهـدف معنويًـا أو ماديًـا، وهـذا يعنـي أن للهـدف قـوة جـذب للطبيعـة الإنسـانية، وإلا فـإن مـن المحـال أن يتحـرك الإنسـان وراء شيء ليس فيـه قـوة جاذبـة... فهـذا شيء غـير ممكـن وهـو محـال»[1].

والرسـول الخاتـم صـلى الله عليـه وآلـه الـذي بُعـث خاتمـاً لرسـالات السـماء ومُتمّـماً لمكارم الأخـلاق وهـو القائـل: «إنّـما بُعثـت لأتمّـم مـكارم الأخـلاق»[2] وجـاء النـص القـرآني ليؤكـد هـذه الصفـة والخاصيـة للرسـول كأسـوة وقـدوة؛ لأنـه الإنسـان الكامـل والـذي حقـق أعـلى مرتبـة مـن مراتـب القـرب مـن الله. يقـول عـز وجـل ﴿ثُـمَّ دَنَـا فَتَـدَلَّى، فَـكَانَ قَـابَ قَوْسَـيْنِ أَوْ أَدْنَـى﴾[3]. كـما وصـف القـرآن الكريـم رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه بأنـه عـلى خُلـق عظيـم ﴿وَإِنَّـكَ لَعَـلى خُلُـقٍ عَظِيـمٍ﴾[4].

هدف التربية الإسلامية هو هدف الحياة الإنسانية

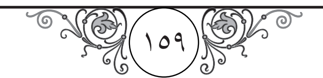
---

(١) مرتضى مطهري: التكامل الاجتماعي للإنسان، بيروت، دار الهادي، ط٣، ٢٠٠٠م، ص٣٧.

(٢) مستدرك الوسائل ١١: ١٨٧،الباب ٦ من أبواب جهاد النفس،الحديث الأول.

(٣) القرآن الكريم، سورة النجم. ٨-٩

(٤) سورة القلم، الآية ٤.



إنّ هدف الحياة هو جعل سلوك الإنسان وأدائه منسجماً مع بنيته الوجودية. وهذه البنية تحتوي عوامل فطرية، ويُعدّ عدم رعايتها في الإنسان بمنزلة الانحراف عن المسار الفطري لحياته. يسعى الإنسان من خلال اتخاذ التدابير اللازمة في نظام التربية والتعليم وبمراعاة المتغيرات الزمانية والمكانية وبقية مقتضيات الحياة اليومية أن يتحرك في هذا المسار الفطري. ولأجل الوصول إلى هدف الحياة فإنه ينساق على وفق برامجه التربوية.

إذًا، يمكن القول بوجود علاقة وطيدة بين هدف الحياة وأهداف التربية، بمعنى أن الهدف الغائي في التربية والتعليم، هو هدف الحياة نفسه، الذي يؤدي الانحراف عنه إلى أن لا يصل الفرد إلى العيش على وفق مقتضيات فطرته، ومن ثَمّ يبقى محروماً من التربية والتعليم الصحيحين[1].

والجامع المشترك لمعنى الهدف، هو النتيجة التي يصل إليها الإنسان من خلال عمل أو مجموعة أعمال تصدر عنه، وينقسم الهدف إلى ثلاثة أقسام؛ هدف سلوكي وهدف وسيط وهدف نهائي والأهداف السلوكية والوسيطة لا بد مِنْ أن تسير باتجاه خدمة الهدف النهائي أي القرب من الله، وإلا إذا لم يكن خط سيرها باتجاه الهدف النهائي، فهي منحرفة عن المسار المطلوب، ولن تكون حينها أهداف وسيطة؛ لأن تسميتها بالأهداف الوسيطة يفيد أنها وسيلة لشيء آخر أعلى منها، لا بدّ أن تُوصل إليه، وإذا

(١) أهداف التربية من وجهة نظر اسلامية، محمد بهشتي وآخرون، دار البلاغة، لبنان، ٢٠١٧، ص. ٢٧ و٢٨.

لم توصل إليه، لم تكن هدفاً وسيطاً في الحقيقة. وبما أن الهدف النهائي في الرؤية الفلسفية التربوية الإسلامية، هو العبودية لله تعالى والقرب منه عزّ وجلّ، فلا بدّ من أن تصب روافد كل الأهداف في هذه البحيرة الرئيسة.

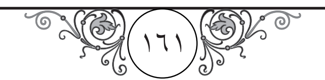
وبهذا يتبين لنا أن التربية الإسلامية لها هدف نهائي واحد، ولها مجموعة أهداف سلوكية ووسيطة، تتحرك على طريق الوصول إلى ذلك الهدف النهائي. من هنا، فما فعله بعض التربويين الإسلاميين، من تقسيم الأهداف التربوية مضمونياً إلى أقسام متعددة، إن كان بلحاظ الأهداف الوسيطة، فهو أمر صحيح وضروري، وإن كان بلحاظ الهدف النهائي، فإن الهدف النهائي في الرؤية التربوية الإسلامية حصري وواحد وغير متعدد، وهو القرب من الله تعالى. لذا، عندما يتمّ التعبير عن أهداف التربية، فإن الدائرة التي ينبغي التحرك فيها هي الأهداف الوسيطة، وعندما يتم التعبير عن هدف التربية، فإنها نقطة الوسط ومركز الدائرة، التي تتحرك كلّ الأهداف للإيصال إليها[1].

وعليه، فالإنسان وكل الموجودات في هذا العالم، تسير نحو هدف معين، و تدلّ بعض آيات القرآن الكريم بنحوٍ صريحٍ وبتعابيرٍ متنوعة على هدفية الوجود من خلال:

١- إعطاء الكمال الوجودي لكل شيء وهدايته نحو الكمال: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[2].

(١) التربية بنظرة فلسفية. سامر عجمي، دار البلاغة، لبنان، ٢٠١٨، ص. ٣٠٤.

(٢) سورة طه، الآية ٥٠



٢- توجيه الموجودات نحو ما قُدّر لها: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى*وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[١].

٣- نفي العبثية في الخلق وأن الخلق حق[٢]: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾[٣،٤].

٤- اتجاه الإنسان الحتمي إلى لقاء الله خالقه ورجوعه اليه: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[٥]، ﴿يَا أَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٦].

الحياة الطيبة

وتحقّق قيمة القرب، لا يتم إلا من خلال «الحياة الطيبة». وهذا الشكل من الحياة الذي هو أسمى بكثير من الحياة المتعارفة عليها أو الطبيعيّة للبشر، لأنه يستتبع وراءه علماً وقدرة جديدين يُمنحان للبشر، وسيهيّىء ذلك العلم والقدرة الجديدان أرضيّة المعرفة الصحيحة للإنسان، فيما يتعلّق بحقائق عالم الوجود، ويبيّنان له الحقّ والباطل، ويخلّصانه من الغفله، ويعرّفانه على حقيقة الدنيا وزينتها وزخارفها الخادعة والميول

(١) سورة الأعلى، الآية ٢ و٣

(٢) سورة الدخان، الآية ٣٨، سورة الأنعام، الآية ٧٣، سورة الجاثية،الآية ٢٢، سورة الأحقاف، الآية٤.

(٣) الانعام، جزء من الآية٧٣.

(٤) أهداف التربية الاسلامية، ص.٢٨.

(٥) سورة العلق، الآية ٨.

(٦) سورة الانشقاق، الآية ٦.

نحـو الشـهوات الدنيويّـة التـي تنحـرف بالإنسـان، باتجـاه الأهـواء الضالـة، وينجيانـه مـن وسـاوس الشـيطان والأهـواء النفسـيّة ويقرّبانـه مـن الله تعـالى ويوجّهانـه إليـه.

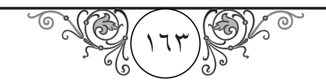
وهـذه حقيقـة قرآنيّـة، وهـي أنّ حيـاة خالصـة خاليـة مـن التلـوّث والفسـاد في هـذه الحيـاة الدنيـا، بانتظـار المؤمنـين الذيـن يعملـون الصالحـات انطلاقـاً مـن إيمانهـم العميـق، والذيـن باتباعهـم وطاعتهـم للأنبيـاء والسـير عـلى هُداهـم وصراطهـم المسـتقيم، قـد هيّـأوا مقدّمـات سـعادتهم الأبديّـة، مـن خـلال تشـكيل حيـاة طيّبـة في محيطهـم.

لقـد كانـت الحيـاة الطيّبـة ومـا زالـت، هـدف الأنبيـاء والرسـل، ودعـوة الأوليـاء والصالحـين، ومـراد المتكاملـين والمهتديـن، والحيـاة المطلوبة والمنشـودة للإسـلام وللأديـان الإلهيـة كافّـة.

في هـذه الحيـاة الطيّبـة، والتـي هـي بمعنـى الحيـاة الطاهـرة والنقيّـة، تشـمل الطهـارة والنقـاء جميـع شـؤون البـشر؛ عقائدهـم وأخلاقهـم وأعمالهـم وسـلوكهم، وتطهّـر المعـارف والمسـائل الأخلاقيّـة والأحـكام الإلهيـة حيـاة الإنسـان كلّهـا، لتشـمل أجسـامهم وأفكارهـم وعقولهـم وأخلاقهـم وعاداتهـم وارتباطاتهـم ومعاملاتهـم وتدابيرهـم وأحاديثهـم.

فالحيـاة الطيّبـة أثـر خـاصّ، وحاصـل نـوع مـن الحيـاة، يتحقّـق فيهـا الالتـزام بالأحـكام والمعـارف الدينيّـة تحقّقـاً عينيّـاً وعمليّـاً.

فـإذا كان الهـدف مـن شرائـع السـماء هـو التقـرب مـن الله عـبر الحيـاة الطيبة،



وكان الإسلام هو آخر هذه الشرائع وأتمها، كان لا بد من وجود أنموذج يستنير به الإنسان من أجل تحقيق هذا الهدف، فكان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو هذا الأنموذج والقدوة والأسوة التي يجب على الإنسان أن يتعرف عليها من أجل التكامل والوصول إلى أعلى مراتب القرب من الله...

القدوة والأسوة

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم والآيات الكريمة التي تحدثت عن الأسوة والقدوة، نجد في سورة الأنعام الآية (٩٠): ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، يتحدث القرآن الكريم عن الأنبياء والرسل أجمعين، ويدعو الناس إلى الاقتداء بهديهم، ومن الملفت أنه لم يدع إلى الاقتداء بهم في كل النواحي، وهذا إن دل فإنه يدل عن التحلي بالهدى الذي هم عليه، ولا يعني ذلك أبداً أنه لا يجب الاقتداء بهم في الأمور الأخرى، بل لعله يدل على أن الشرائع التي أرسلوا بها لم تتم ولم تكتمل الرسالة الإلهية.

وفي آية أخرى وردت في القرآن الكريم أيضاً، والتي يشير فيها إلى النبي إبراهيم عليه السلام والذين معه حيث يجعلهم أسوة التوحيد والبراءة من المشركين ومما يعبدون من دون الله. حيث قال تعالى في سورة الممتحنة الآية (٤): ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾.

وفي سورة الممتحنة آية (٦) يأتي الخطاب الإلهي الذي يشمل الأنبياء والرسل كافة، ليدعو الناس إلى التأسي بهم حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ...﴾.

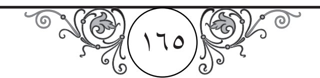
أما في سورة الأحزاب، فقد خص المولى عز وجل النبي محمد صلى الله عليه وآله في آية خاصة قيدت برجاء الله حيث قال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾.

أسلوب القدوة والأسوة

يعد الاقتداء من أهم الأساليب التربوية في الاسلام، ولقد بينت ذلك في الحديث عن فلسفة النبوة كشرط لازم لتكامل الإنسان؛ لأن الإنسان دائما يحتاج إلى أنموذجٍ يتبعه ويسير بنهجه، هو الذي يقتدي ويحتذى به من حيث جعله أسوة ومثالاً وأنموذجًا لتصرفات الآخرين وسلوكهم وجاء في لسان العرب: يقال قدوة لما يقتدى به، وقال أيضاً: القدوة ما تسننت به.[1]

والاقتداء هو اتباع شخص في فعله واعتقاداته وفلسفته، على اعتبار أن المقتدى به هو في درجة أعلى في التكامل من المقتدي وأرقى منه منزلة، ومن ميزة الاقتداء هو الإتباع الاختياري والإرادي لشخص ما، فهو يعبر عن قناعة المقتدي وميله ورغبته في اتباع المقتدى به، وقد يتشابه الاقتداء بالتقليد ولكن التقليد قد يكون بالإلزام وعدم الاختيار أما الاقتداء فهو دائماً يعبر عن حرية المقتدي وإرادته، ورغبة المقتدي في اتباع قول المقتدى

(١) ابن منظور، لسان العرب، الناشر ادب الحوزة، قم، ايران، ١٤٠٥ هـ ق،ج١٥، ص١٧.



بـه وفعلـه.

والقـدوة تـرادف الأسـوة، ومنهـم مـن خصـص الاقتـداء بجانـب واحـد دون جوانـب أخـرى، لذلـك جـاء في القـرآن الكريـم: فبهداهـم اقتـده، أي عليـك أن تتخذهـم قـدوة في الهدايـة، وعـدوا أن التـأسي يكـون في مختلـف الجوانـب الإنسـانية، وقـد وردت آيـات تدعـو للتـأسي بالأنبيـاء، وآيـة أخـرى تدعـو للتـأسي بالنبـي إبراهيـم (ع)، وآيـة خاصـة بالتـأسي برسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه. ولم نجـد فرقًـا بـين المفهومـين في قواميـس اللغـة، أي القـدوة والأسـوة، وقـد عدتـا مترادفـين.

وتختلـف أنـواع القـدوة والأسـوة باختـلاف الحيثيـات، ويمكـن تقسـيمها إلى اقسـام مختلفة:

- تقسيم من حيث الكمال، نجد ان هناك نوعين من القدوة

١- القدوة التامة

هـي قـدوة أو أسـوة مـن جميـع الجهـات ومـن جميـع الأبعـاد الإنسـانية، وهـم رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه والأئمـة المعصومـون عليهـم السـلام، والذيـن يشـكلون المصـداق الحقيقـي للإنسـان الكامـل. ومـن هنـا تجـدر الإشـارة الى أن الاسـتنان بسـنة الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه واهـل بيتـه (ع)، تشـمل فعـل المعصومـين وقولهـم وتقريرهـم، ويشـكل هـذا أنموذجًـا للاقتـداء التـام.

٢- القدوة الناقصة:

وهـي عبـارة عـن الاقتـداء بالإنسـان الصالـح، فقد يكـون عالمـا أو أبـا أو أما

أو...، فيقتدي المتربي بهم من الجانب التكاملي في شخصيتهم، ولا يمكن أن يقتدي بهم في كل الأبعاد، لأنهم غير معصومين فيها. وعندما يقال لفلان العالم قدوة، فهذا يعني الاقتداء به من حيث العلم، وهذا لا بأس فيه، ولا ينسحب هذا الامر على مختلف حياته الشخصية والعملية، فعندما نقول المعلم القدوة، نقصد به المعلم الذي يتمتع بصفات وخصائص معينة، تساعد المتربي في الوصول الى بعض كمالاته، ولا نعني به أن يكون المربي معصوما، أو متكاملا في مختلف الابعاد الإنسانية، وهذا ما يعبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: - أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأمُوم إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ،أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْه، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُوني بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد.-[١]

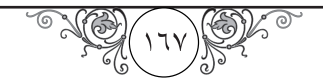
- القدوة والأسوة من حيث الكيف:

الاسوة أو القدوة قد تكون حسنة، وقد تكون سيئة.

١- الأسوة الحسنة: فالأسوة الحسنة، تكون في الأنبياء وجميع المعصومين عليهم السلام، فإن المتأسِّي بهم، سالك الطريق الموصل إلى كرامة اللهّ، وهو الصراط المستقيم.

وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو اللهّ، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف اللهّ، ورجاء ثوابه،

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٤٥، من كتاب له (ع) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري.



وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول صلى الله عليه وآله.[1] ومن مميزات القدوة الحسنة:

- إن القدوة أو الأسوة الحسنة تثير في نفس الإنسان قدرًا كبيرًا من الاستحسان والانجذاب.

- إن القدوة الحسنة تجعل الإنسان على قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة ولو لم تحصل كلها.

- إن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها: أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة.

- إن أثر القدوة عام يشمل الناس جميعهم على مختلف مستوياتهم، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره، ويقتدي بسيرته ولو لم يدركه.

٢- أسوة سيئة.: أما الأسوة بغير المعصومين، في حال مخالفتهم، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسّي بهم، بأنهم لن يخالفوا ما وجدوا عليه آباءهم، فمن ضل عن سبيل الله لا جرم انه سيقتدي بالضالين، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[2]، وتكون الاسوة السيئة بغير هدى، وهنا يكون الاقتداء الأعمى بدون حجة أو برهان وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا

---

(١) انظر تفسير السعدي.

(٢) سورة البقرة، الاية ١٦٥.

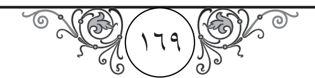
وَجَدْنَـا آبَاءَنَـا عَـلَى أُمَّـةٍ وَإِنَّـا عَـلَى آثَارِهِـم مُّهْتَـدُونَ﴾[1]

- الأسوة من حيث الشخص أو النهج

قـد تكـون الأسـوة شـخصا مـا، بحيـث يشـكل هـذا الإنسـان أنموذجًـا عمليًّا يتبعـه المقتـدي في بعـض الحـالات التكامليـة عنـده، وقـد يكـون الاقتداء بالنهـج الـذي يسـير عليـه المقتـدى بـه، وكلـما كان اقـتراب المقتـدى بـه بالرؤيـة الوجوديـة للمقتـدي، كان أكثـر شـدة وأكثـر تأثـيرا، ولكـن في مسـألة القـدوة التامـة والإنسـان الكامـل لا يوجـد اختـلاف بـين النهـج والمقتـدى بـه؛ لأنهـما متسـاوقان، وقـد عـبر رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه بذلـك عندمـا قـال بحـق أمـير المؤمنـين (ع): عـلي مـع الحـق والحـق مـع عـلي، وهـذه اشـارة إلى أن القـدوة التامـة والنهـج القويـم لا يختلفـان ولا يتخلفـان، فقـد نفهـم قولـه صـلى الله عليـه وآلـه بـأنّ عليًّـا عليـه السـلام مـع الحـق وهـو للحق متبـع، ولقـد مدح الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه كثـيراً مـن الصحابـة بأنهـم مـع الحـق، ولكـن عندمـا يقـول الحـق مـع عـلي عليـه السـلام فهـذه إشـارة إلى عصمـة الأمـير (ع) السـلام، وليـس صحيحـا مـا يدعيـه بعضهـم مـن أن عصمـة الأئمـة عليهـم السـلام جـاءت متأخـرة، وورد في مسـند ابـن حنبـل عـن رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه ان قـال: »يـا عـلي أنـه مـن فارقنـي فقـد فـارق الله، ومـن فارقـك فارقنـي»[2].

(١) سورة الزخرف، الآية٢٢.

(٢) فضائل الصحابة: ٢٠ / ٥٧٠ / ح ٩٦٢.



فاذا كان النبي صلى الله عليه وآله هو القدوة التامة، فإن هذين الحديثين انما يدلان على تعيين القدوة التامة من بعده. واذا كان رسول الله لا ينطق عن الهوى، وهو كذلك، فهذا يعني أن النص النبوي قد عين الولي والامام والقدوة والاسوة من بعده. وعن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصح[1].

الخاتمة

وإذا كان الدين قد اكتمل والنعمة قد اكتملت، بناء لقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[2]

وإكمال الدين في الآية الشريفة إنما يشير إلى الشريعة الإسلامية السمحاء؛ لأن الأديان عند الله لا تتعدد، فالدين واحد عند الله تعالى، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾. وهو التسليم بالرسالات السماوية؛ ولأنّ الإسلام هو آخر الشرائع السماوية، كان لا بد من أن يكون أتمها، وهذا ما أشارت إليه الآية عن إتمام النعم. أما الشرائع فتتعدد منذ آدم (ع) السلام وصولا إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله.

وبتعدد الشرائع تتعدد المناهج؛ ولذلك ورد في القرآن الكريم أن الله

---

(١) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق (ع)، انجمن اسلامى حكمت وفلسفه ايران، ١٣٦٠ ه. ش.، ص.٢٤٨.

(٢) سورة المائدة المباركة، الآية ٣.

جعـل لـكل أمـة شريعـة ومنهـاج، ﴿لِـكُلٍّ جَعَلْنَـا مِنكُـمْ شِرْعَـةً وَمِنْهَاجًـا﴾[1]

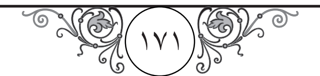
وفي الآيـة القرآنيـة الشريفـة التـي تتحـدث عـن خاتمية النبـوة، جـاء في القرآن الكريـم: ﴿وَمَـا مُحَمَّـدٌ إِلَّا رَسُـولٌ قَـدْ خَلَـتْ مِـن قَبْلِـهِ الرُّسُـلُ أَفَـإِن مَّـاتَ أَوْ قُتِـلَ انقَلَبْتُـمْ عَـلَى أَعْقَابِكُـمْ﴾[2]

وإذا كانـت الأديـان السـماوية قـد أعطـت أهميـة كبـيرة وواضحـة للقـدوة وبالأخـص القـدوة الكاملـة لمـا تمثلـه هـذه القـدوة عـلى مسـتوى تقريـب الأفـراد والمجتمـع مـن الغايـة أو الهـدف (القـرب مـن الله تعـالى)، فـان للقـدوة أهميـة واضحـة عـلى مستوى الحركـة الاجتماعيـة والتربويـة؛ لأنّ الوصـول إلى مرحلـة مـن مراحـل التكامـل البـشري، يقـوم عـلى أسـاس المبـادئ والقيـم والأفـكار التـي مـن شـأنها السـمو إلى أعـلى مسـتويات الحيـاة الطيبـة، كل ذلـك يقتـضي وجـود قـدوة حيـة يتبعهـا الأفـراد وتشـكل أنموذجًـا عـلى المسـتوى العـام للانسـان، وذلـك الإنسـان الكامـل الحـي، لأنـه التجـلي الأكمـل للعقيدة والفكـر الاسـلامي المحمـدي الاصيـل.

ولم يكتـف الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه بتعيـين الإمـام واجـب الطاعـة مـن بعـده والأنمـوذج الاكمـل للانسـان، بـل وردت أحاديـث كثـيرة تشـير إلى الأئمـة الذيـن سـيأتون مـن بعـده حيـث يقـول صـلى الله عليـه وآلـه: «الأئمـة مـن بعـدي اثنـا عـشر، أولهـم أنـت يـا عـلي، وآخرهـم القائـم الـذي يفتـح الله

(١) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.



تعـالى ذكـره عـلى يديـه مشـارق الأرض ومغاربهـا»[1].

وفي حديـث آخـر يقـول صـلى الله عليـه وآلـه: «الأئمـة مـن بعـدي بعـدد نقبـاء بنـي إسرائيـل، وكانـوا اثنـي عـشر. ثـم وضـع يـده عـلى صلـب الحسـين عليـه السـلام وقـال: تسـعة مـن صلبـه، والتاسـع مهديهـم، يمـلأ الأرض قسـطا وعـدلا كـما ملئـت جـورا»[2].

وقـد جـاء في الخطبـة الأولى لأمـير المؤمنـين عليـه السـلام تفصيـل عـن المسـار الالهـي لنهـج الهدايـة مـن آدم (ع) الى خاتميـة النبـي المصطفـى صـلى الله عليـه وآلـه حيـث يقـول فيهـا: «وَاصْطَفَـى سُـبْحَانَهُ مِـنْ وَلَـدِهِ[3] أَنْبِيَـاءَ أَخَـذَ عَـلَى الْوَحْـيِ مِيثَاقَهُـمْ وَعَـلَى تَبْلِيـغِ الرِّسَـالَةِ أَمَانَتَهُـمْ... وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُـبْحَانَهُ خَلْقَـهُ مِـنْ نَبِـيٍّ مُرْسَـلٍ أَوْ كِتَـابٍ مُنْـزَلٍ أَوْ حُجَّـةٍ لَازِمَـةٍ أَوْ مَحَجَّـةٍ قَائِمَـةٍ رُسُـلٌ لَا تُقَـصِّرُ بِهِـمْ قِلَّـةُ عَدَدِهِـمْ وَلَا كَثْـرَةُ الْمُكَذِّبِـينَ لَهُـمْ... إِلَى أَنْ بَعَـثَ اللهُ سُـبْحَانَهُ مُحَمَّـداً رَسُـولَ اللهَّ)صـلى الله عليـه وآلـه (لِإِنْجَـازِ عِدَتِـهِ وَإِتْمَـامِ نُبُوَّتِـهِ مَأْخُـوذاً عَـلَى النَّبِيِّـينَ مِيثَاقُـهُ مَشْـهُورَةً سِـمَاتُهُ كَرِيـماً مِيـلَادُهُ وَأَهْـلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِـذٍ مِلَـلٌ مُتَفَرِّقَـةٌ وَأَهْـوَاءٌ مُنْتَـشِرَةٌ وَطَرَائِـقُ مُتَشَـتِّتَةٌ بَـيْنَ مُشَـبِّهٍ للهِ بِخَلْقِـهِ أَوْ مُلْحِـدٍ فِي اسْـمِهِ أَوْ مُشِـيرٍ إِلَى غَـيْرِهِ فَهَدَاهُـمْ بِـهِ مِـنَ الضَّلَالَـةِ وَأَنْقَذَهُـمْ بِمَكَانِـهِ مِـنَ الْجَهَالَـةِ ثُـمَّ اخْتَـارَ سُـبْحَانَهُ لِمُحَمَّـدٍ (صـلى الله عليـه وآلـه) لِقَـاءَهُ وَرَضِيَ لَـهُ

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٦٥ / ٣٤، كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٢ / ٣٥، بحار الأنوار ٣٦: ٢٢٦ / ١.

(٢) كفاية الأثر - الخزاز القمي - ص ٤٧.

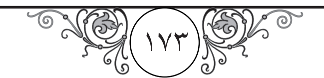
(٣) أي النبي آدم عليه السلام.

مَـا عِنْـدَهُ وَأَكْرَمَـهُ عَـنْ دَارِ الدُّنْيَـا وَرَغِـبَ بِـهِ عَـنْ مَقَـامِ الْبَلْـوَى فَقَبَضَـهُ إِلَيْـهِ كَرِيـماً (صـلى الله عليـه وآلـه) وَخَلَّـفَ فِيكُـمْ مَـا خَلَّفَـتِ الأنبيـاء فِي أُمَمِهَـا إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُـمْ هَمَـلًا بِغَـيْرِ طَرِيـقٍ وَاضِـحٍ وَلَا عَلَـمٍ قَائِـمٍ.[1] والطريـق الواضـح هـو القـرآن والعلـم القائـم هـو خليفتـه مـن بعـده لكيـلا تضـل الأمـة بعـد إكـمال النعـم واتمـام الديـن، وهكـذا كان لا بـد مـن تنصيـب الإنسـان الكامـل إمامًـا بعـد إمـام وصـولا الى الإنسـان الكامـل في هـذا الزمـان وهـو الـذي تسـتنير بـه البشريـة، وجعلهـم أئمـة يهـدون لأمـر الله ويدعـون الى فعـل الخـيرات[2]. فهـل يمكـن للاسـلام أو بعبـارة أخـرى للرسـالة الخاتمـة للنبـوة أن تـترك الأمـة بـدون وصي وولي وإمـام يشـكل الأسـوة والقـدوة، لتضـل مـن بعـده، وهـو المبعـوث رحمـة للعالمـين إلى قيـام يـوم الديـن!!!.

وأختـم بالتفصيـل الـوارد الـذي جـاء بالتفصيـل عـن جابـر الجعفـي في تفسـيره عـن جابـر بـن عبـد الله الأنصـاري نقـلاً عـن النبـي صـلى الله عليـه وآلـه عندمـا يسـأله عـن قولـه: ﴿يـا أيهـا الذيـن آمنـوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول﴾، فيسـأل عـن هويـة أولي الأمـر؟ فـيرد صـلى الله عليـه وآلـه قائـلاً: «هـم خلفائـي يـا جابـر وأئمـة المسلمين بعـدي أولهـم عـلي بـن أبي طالـب (ع) ثـم الحسـن، ثـم الحسـين، ثـم عـلي بـن الحسـين، ثـم محمـد بـن عـلي المعـروف

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى. يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم وفيها ذكر الحج وتحتوي على حمد الله وخلق العالم وخلق الملائكة واختيار الأنبياء ومبعث النبي والقرآن والأحكام الشرعية.

(٢) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء: الآية ٧٣).



في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرأه مني السلام. ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن ابن علي الذي يفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها. ذاك الذي يغيب عن شيعته، غيبة لا يثبت على القول في إمامته إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان-.[1]

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- نهج البلاغة.

- عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج١.

- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء،، بيروت لبنان، ج ٣٦.

- كفاية الأثر، الخزاز القمي،الخيام، قم،١٤٠١ ه.

- فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، جامعة أم القرى، ١٤٠٣ه.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٨٩.

- ابـن منظـور، لسـان العـرب، النـاشر ادب الحـوزة، قـم، ايـران، ١٤٠٥ هـ ق،ج١٥.

- التربية بنظرة فلسفية. سامر عجمي، دار البلاغة، لبنان، ٢٠١٨.

- أهـداف التربيـة مـن وجهـة نظـر اسـلامية، محمـد بهشـتي وآخـرون، دار البلاغـة، لبنـان،٢٠١٧.

- مسـتدرك الوسـائل، المـيرزا حسـين بـن محمـد تقـي النـوري الطـبرسي، مؤسسـة آل البيـت عليهـم السـلام لاحيـاء الـتراث، ج. ١١.

- مرتـضى مطهـري: التكامـل الاجتماعـي للإنسـان، بـيروت، دار الهـادي، ط٣، ٢٠٠٠م.

- العلـم والحكمـة في الكتـاب والسـنة، محمـد ريشـهرى، مؤسسـة دار الحديـث الثقافيـة، قـم، ايـران.

- تحـف العقـول عـن آل الرسـول، ابـن شـعبة الحـراني، مؤسسـة النـشر الاسـلامي، قـم، ط.٢.

- بحـار الأنـوار، العلامـة المجلـسي، الجـزء٢٣، دار احيـاء الـتراث العـربي، ١٩٨٣.

جودة الحياة الاجتماعية بوجود حكومة ودولة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام (نظرية الشورى أنموذجا)

د. حسام حمزة كاظم الجبوري

أهمية الموضوع

تعد موضوعات الفقه لدراسة الحكومة والدولة على قدر كبير من الأهمية، والمكانة بين موضوعات الأبحاث الأُخرى لحيويتها ولتأثيرها المباشر في واقع المجتمع، فكيف إذا كان موضوع البحث يلامس قضية تؤرق حياة المجتمع وإدارة الدولة من لدن الإمام علي (ع)، بل أصبحت خبزها اليومي، وهي إسهام الجماهير في إصلاح أو تغيير الأوضاع السياسية وإدارة الدولة عبر وسائلها وآلياتها المعروفة هذه الأيام مع حيثية مشروعية هذه الوسائل وقيام الدليل الشرعي والعقلي على إثباتها تحت علم الفقه لكونها أفعالاً للمكلفين، وسوف يسوق الباحث جملة من الأدلة المؤيدة لدعواه فأهمية البحث تكمن في الوجوه الآتية:

الأول: من جهة الدليل وكون الموضوع يكتسب مشروعيته الشرعية والقانونية باعتبار وجود دليل يتناوله.

الثاني: كون الموضوع محلاً للأحكام الشرعية والوضعية، فيصدق في حقه أنه مهم لا يمكن التغاضي عنه بأي حال من الأحوال.

أهداف الدراسة

إنّ إعطـاء رؤيـة كاملـة عـن أهميـة موضـوع البحـث يكمـن في توافـر مجموعـة مـن الأهـداف التـي انفـردت بـه برصدهـا وتقديمهـا كمنهـج معـرفي إلى الباحثـين، ومـن هـذه الأهـداف:

١ـ الرشـد الفكـري، ويقصـد بـه وصـول المفكـر إلى درجـة تكـوّن قضايـا علميـة ونظريـة ذات مقدمـات منتجـة وليسـت عقيمـة بحيـث غالبـاً مـا تكـون أفـكاره وأُطروحاتـه صحيحـة، ولهـا أبعـاد واضحـة وتوصـف بأنهـا واقعيـة.

٢ـ الرشـد السـياسي، ويـراد بـه أنـه ناتـج تفاعـل عـدة مكونـات في بنـاء مسـتوى معـرفي نقـدي عنـد الفـرد أو المجتمـع يؤهلهـما لتجـاوز الأزمـات والابتعـاد عـن أسـباب الاختنـاق والظـروف الطارئـة في المجـالات السياسـية.

٣ـ إيجـاد رؤيـة سياسـية واضحـة المعـالم لـدى الدولـة في احتـواء الأزمـات وطـرق معالجتهـا بحيـث تخـرج مـن هـذه الأزمـات بأقـل مـا يمكـن تصـوره مـن الخسـائر.

منهج البحث

تركـز منهـج البحـث عـلى اتبـاع المنهـج الوصفـي القائـم عـلى دراسـة الموضـوع وتحديـد نطاقـه، ثـم المنهـج الاسـتقرائي القائـم عـلى تتبـع المعلومـة في مظانهـا بـين ثنايـا المصـادر والمراجـع والأماكـن الأُخـرى، ثـم المنهـج التحليـلي الـذي يتمثّـل في تحليـل الظـواهـر والموضوعـات، ودراسـة الاتجاهـات الفقهيـة المتعلقـة ومحاكمتهـا باسـتعمال آليـات المنهـج النقـدي التحليـلي، وفـق الخطـوات



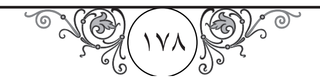


العلمية المعروفة في الاستدلال والنظر.

المقدمة

اختلف فقهاء القانون العام حول تعريف الدولة فذهب بعضهم إلى أنها مجموعة بشرية مستقرّة على أرض معيّنة تتبع نظاماً اجتماعياً وسياسياً وقانونياً معيّنا يهدف إلى الصالح العام، وهذا تعريف للدولة بمعناها العام، بينما يعرفها بعض آخر بأنها ذلك الشخص المعنوي الذي يمثّل أُمة تقطن أرضاً معينة، وبيده السلطة الذي يطلق عليها السيادة[١]. ولعل التعريف الأول هو التعريف الأكثر تداولاً في الأبحاث الحديثة؛ إذ طالما يعبرون عن الدولة بأنها: الاجتماع الإنساني الذي يعيش على أرض معينة، ويمتلك حكومة ذات نوع من الحاكمية والسلطة التي تُعملها في حق الأفراد[٢]. وبناء على ذلك فإنّ للدولة أركاناً تقوم على أساسها، وهي الأُمة (الشعب) والإقليم (رقعة الأرض) والسلطة[٣]، ولا يمكن تصوّر دولة مع فقد أحد هذه الأركان على أقلّ تقدير، وأضاف بعضهم ركناً رابعاً للدولة أسماها الحاكمية[٤] وهي الأُسس القانونية والتشريعية والفلسفية التي تستمد منها الدولة مشروعيتها. وقد عرفت المجتمعات البشرية والحضارات القديمة تشكيل الدولة ومارستها منذ أقدم العصور،

(١) بسيوني، حسن السيد، الدولة ونظام الحكم في الإسلام: ص١٣.
(٢) الواعظي، أحمد، الدولة الدينية، تأملات في الفكر السياسي الإسلامي: ص٢١.
(٣) بسيوني، حسن السيد، الدولة ونظام الحكم في الإسلام: ص١٣.
(٤) الواعظي، أحمد، الدولة الدينية، تأملات في الفكر السياسي الإسلامي: ص٢١.



وقد اتخت أشكالاً بدائية تتلاءم مع ما تعيشه المجتمعات البدائية، ثمّ أخذت في التطور والتعقيد، ما يعني أنّ الدولة والسلطة الحاكمة ضرورة ملحة لحياة المجتمعات والشعوب. وهذا ما سيتم التطرق أليه في المباحث اللاحقة، كما أنّ للدولة أنظمة وأشكالاً متعددة تبعاً للطريقة المتبعة من قبل الحاكمين في الحكم، أو الأنظمة والقوانين والفلسفات التي تتبعها الدولة في قيامها، فلذا نجد عدة أقسام وأشكال ومصطلحات للدولة في تعبيرات العلماء والباحثين. كمفهوم الدولة المدنية والدولة الدينية، والدولة الرأسمالية والدولة الاشتراكية، واصطلاح الدولة الشمولية أو الدكتاتورية، والدولة الديمقراطية، وغيرها من المصطلحات والتقسيمات التي ربما بعض منها يتداخل أو ينصرف إلى مفهوم الحكومة والسلطة اللذين سأُشير إليهما إشارة مختصرة.

المفاهيم ذات العلاقة

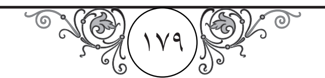
١ـ الحكومة

أنّ المعنى اللغوي لمفردة الحكومة يدلّ على المنع، فقولهم: أحكمت الرجل وحكمته عن كذا وكذا أَي منعته عنه[1]. والعرب تقول: حكمت وأحكمت وحكمت بمعنى منعت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس: حاكم؛ لأنه يمنع الظالم من الظلم[2]. وقد تطلق الحكومة

---

(١) الأزدي، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة: ج١ ص٥٦٤.

(٢) المصدر نفسه: ج٤ ص٦٩.



في الاصطلاح ويراد بها عدة معانٍ، كالإمارة، الخلافة، الولاية، الملك، السلطان، فهذه الألفاظ وإن اختلفت في الدلالة والنظم لكنها مترادفة في معنى الحكم والحكومة(١).

ولذلك قد يطلق في الفقه والفكر الإسلامي مصطلح الإمامة أو الخلافة أو ولاية الفقيه العامة ويراد به الحكم القائم على أساس نظرية من هذه النظريات(٢). وعُرفت الحكومة بأنها: ممارسة النفوذ والقدرة من قبل هيئة اجتماعية مسلّسم لها بالنفوذ وقادرة على فرض إرادتها على الإرادات الأُخرى بحيث تعترف الهيئات الأُخرى في المجتمع لها بالقيادة وبقدرتها وبحقها في المحاكمة، وإنزال العقوبات الأُخرى، وبكل ما يضفي عليها الشرعية ويوجب الاحترام لاعتباراتها والالتزام بقدرتها(٣). وقيل: هي السلطة التي تدير أمر الدولة(٤). والحكومة بهذا التعريف هي إحدى عناصر الدولة وركن من أركانها، كما اتّضح ذلك من التعريف المتقدم للدولة، ولكن لو عُرّفت الدولة على أنها السلطة السياسية المنتظمة التي تمارس الأمر والنهي، فإنها سوف تترادف مع مفهوم الحكومة(٥).

٢ـ السلطة

---

(١) ينظر: الرفاعي، منصور بن عبيد، نظام الحكم في الإسلام: ص٦٤.

(٢) ينظر: مصطفوي، محمد، نظريات الحكم والدولة: ص٢٥.

(٣) ينظر: مجلة العلوم السياسية: ص١٦٣، العدد: ٤٣.

(٤) عكاشة، محمود، تاريخ الحكم في الإسلام،: ص٤٤.

(٥) الواعظي، أحمد، الدولة الدينية، تأملات في الفكر السياسي الإسلامي: ص٢١.

السلطة في اللغة من مادة (سلط) السين واللام والطاء أصل واحد، وهو القوة والقهر، من ذلك السلاطة من التسلّط، وهو القهر؛ ولذلك سمي السلطان سلطاناً[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ أي: غلبة وتسليطاً أو حجة وبرهاناً. وأصل السلطنة: القوة. وقوله: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ أي: تسلطاً على القصاص وأخذ الدية[2]. فالسلطة في اللغة هي: التسلط والسيطرة والتحكم[3]. وأما مصطلح السلطة فقد يتداخل وربما يترادف مع مصطلح الحكومة في كثير من الاستعمالات، فعرّفوا الحكومة في بعض الأحيان بالسلطة أو الجهاز الحاكم[4]، وعرفوا السلطة بأنها: الحكم[5]. وقد تخصص السلطة بما تضاف إليه من معنى، فيطلقون على أجهزة الحكومة التي تتولى المهام الإجرائية بالسلطة التنفيذية، وعلى المجلس التشريعي بالسلطة التشريعة، وعلى الجهاز القضائي بالسلطة القضائية؛ لما لهذه الأجهزة والمؤسسات من تسلط وسيطرة في مجال اختصاصها. وبسبب ما شهدناه من تقارب بين مصطلحات الدولة والحكومة والسلطة وغيرها من المفاهيم، قال محمود عكاشة: ارتبط لفظ الحكم بالرياسة والولاية والسلطان والملك والتمكين والدولة والسيادة، واستقر مفهوم الحكم في الإسلام في معاني الخلافة والإمامة والسلطان

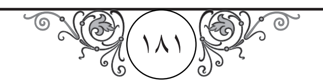
(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٣ ص٩٥.

(٢) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٤ ص٢٥٥.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون: ج١ ص ٤٤٣.

(٤) المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي: ص ٩٨٢.

(٥) المصدر نفسه: ص١٣٩٠





والإمــارة والحكــم[1].

تعريف إدارة الدولة

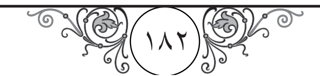
بعـد مـا اتّضـح مصطلـح الإدارة ومـدى علاقتـه بمفهـوم التدبير والسياسـة، وكذلـك بعـد مـا تبـين مصطلـح الدولـة يجـدر بي تعريـف المصطلـح التركيبـي لــ (إدارة الدولــة)؛ لأن المفاهيـم والاصطلاحـات تختلـف في مضامينـه عندمـا تتركـب مـع مصطلحـات أُخـرى فينتـج المركـب حينئـذ مفهومـاً جديـداً.

فقـد عـرّف مركّـب إدارة الدولـة بأنـه: مجموعـة الأسـاليب والنظـم المرتبطـة بالمناشـيئ الإداريـة التـي تؤديهـا منظـمات وأجهـزة الدولـة، والتـي تهـدف بصفـة أساسـية وقاطعـة إلى تحقيـق الصالـح العـام في المجتمـع، والتـي تؤثـر قراراتهـا تأثـيراً شـاملاً وعامـاً ومبـاشراً في مصالـح أفـراد المجتمـع وجماعاتـه، التـي تتأثـر حركتهـا وتصرفاتهـا بدرجـة كبـيرة في التفاعـل، وتتأثـر حركتهـا المسـتمرة مـع مقوّمـات وعوامـل البيئـة القوميـة والعالميـة بجميـع أبعادهـا السياسـية والاجتماعيـة والاقتصاديـة[2]. هـذا المفهـوم أن الترابـط المشـكلة بـين الأفـراد طـوال مـدة العلاقـة مـن خـلال الكشـف عـن المعلومـات الشـخصية والمترابطـة مـن الـذات. لـذى يـؤدي الأمـر الى جـذب اكبر عـدد مـن مـن المجاميـع[3]

(١) عكاشة، محمود، تاريخ الحكم في الإسلام: ص٤٦.

(٢) المصري، سعيد: أساسيات في دراسة الإدارة العامة: ص ٢٥.

(٣)- حاكم محسن الربيعي، علي عبودي نعمه الجبوري. (٢٠١٩). دور التسويق الإعلامي في جذب السائح الدولي من خلال نظرية الأختراق الاجتماعي (دراسة تحليلية لعينة



المطلب الأول: ضرورة الدولة والحكومة.. الأسس والمعايير

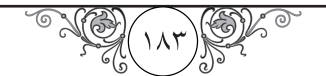
ربما يتفق الجميع على ضرورة الحكومة والدولة في حياة الإنسان والمجتمع، بل هي العامل الأساس والمؤثر في إدامة وجوده على الأرض؛ لأن البديل الوحيد للحكومة والنظام هي الفوضى المدمرة الفانية لوجود الإنسان واستمرارية حياته، ولكنهم في الحقيقة قد يختلفون في الأسس والمعايير التي تقوم عليها هذه الضرورة الاجتماعية والإنسانية، ويمكن حصر هذه الأسس والمعايير في مقصدين اثنين، وإن أمكن إرجاعهما إلى معيار واحد في المحصلة النهائية:

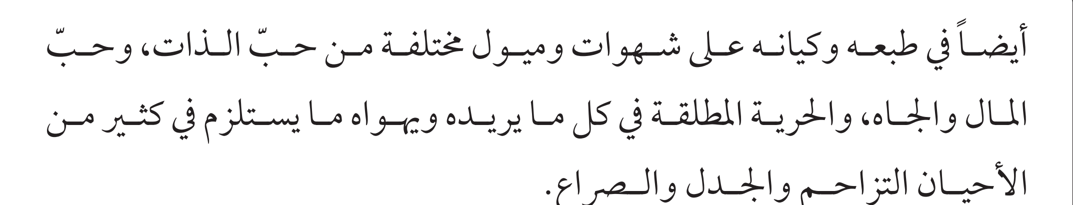
المقصد الأول: ضرورة الدولة على وفق الأسس والمعايير الطبعية للبشر

من المعروف عند الفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس والاجتماع أنّ الإنسان خلق مجبولاً على الاجتماع والعيش المشترك، فهو مدني بالطبع لا تروق له حياة الوحدة والعيش المنفرد في الكهوف والمغارات أو الصحارى والبراري المقفرة.

فهو لا يحصل على كامل حاجاته إلاّ في ظلّ الاجتماع والتعاون المبني على الاستعمال المتبادل لبني البشر، والتخادم فيما بينهم بما يؤمن جميع حاجاتهم، وهذا أمر فرضته طبيعة الإنسان التي تعجز عن تأمين جميع احتياجاته المتنامية بمفرده، هذا من جهة ومن جهة أُخرى، فقد جُبل

من الفنادق السياحية العراقية). مجلة كلية الادارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والاداريه والماليه ١١(٤) ٨٣٠-٨٥١.





أيضاً في طبعه وكيانه على شهوات وميول مختلفة من حبّ الذات، وحبّ المال والجاه، والحرية المطلقة في كل ما يريده ويهواه ما يستلزم في كثير من الأحيان التزاحم والجدل والصراع.

ولم تكن النزعة الفطرية في العيش المشترك كافية في حفظ البشرية من هذا الصراع والاختلاف. وقد عبّر سبحانه عن هذه الحقيقة بقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾[1].

أي كانوا أُمة واحدة تسير على مبدأ الفطرة السليمة، ومع تطور الحياة المادية البشرية بدأ الاختلاف يدبّ فيما بينهم، الأمر الذي يتطلب سلطة تنظم هذه الحاجات، وتوزع الواجبات وتقنن هذه الميول والشهوات وتحد من طغيانها وتجاوزها، وفي هذه السلطة قرار ورأي واحد يجمع القاطعية وقابلية التنفيذ والقدرة عليه، ولا يحصل ذلك الاّ تحت لواء حكومة قاطعة، ولأجل ذلك ترى أنه لم تخل حياة الإنسان في جميع مراحلها وأزمنتها حتى في العصور الحجرية وفي الغابات من حكومة ودويلة[2]. وهذا الضرورة الطبعية لوجود الحكومة في حياة البشرية قد تعارضها بعض الفلسفات، كالماركسية التي ترى أن الإنسانية لا تحتاج بالضرورة إلى الحكومة، ويرون أن المجتمعات في المرحلة البدائية الشيوعية لا تدار من قبل حكومة، وإنما كان تشريع الملكية الذي ولّد في الإنسان حبّ الذات. فنشأت طبقة حاكمة

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) ينظر: المنتظري، حسن علي حسن، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: ج١ ص٣.

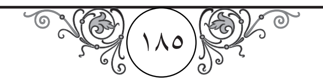
وأُخرى محكومة فكانت الحكومة حينئذ معبرة عن احتياج الطبقة الحاكمة إلى إعمال نفوذها على الطبقة المحكومة أما إذا وصل المجتمع إلى الشيوعية الأصيلة وهي المرحلة العليا من التطور الاجتماعي الإنساني فلن يحتاج إلى مثل هذه الهيئة الحاكمة بعد زوال مبررها وهو التناقض الطبقي(١).

ومن الواضح أن حب الملكية وحب الذات لم يكن تشريعاً خارجاً عن ذات الإنسان وتركيبته، بل هو ما انطوت عليه طينته وما غرسه الله فيه، وقد تتمادى وتتعاظم إذا ما تركت من دون ردع وتنظيم، الأمر الذي يخلق التجاوز والاعتداء والاستحواذ المؤدي إلى التسلّط والطبقية، وهذه الأمور بما أنها من طبع الإنسان وذاته فلا يمكن أن يخلو منها زمان عاش فيه الإنسان سواء أكان في مراحله البدائية أم غيرها، فتبقى الحاجة إلى الحكومة والسلطة أمر لابد منه في كل زمان ومكان.

وما نادت به الماركسية وطالبت به المجتمعات لكي تتحول من الطبقية إلى الاشتراكية ثم إلى الشيوعية، وإلغاء الملكية الخاصة ظل محض خيال ووهم لم يتحقق أبداً، وقد عجزت الأنظمة الماركسية والشيوعية عن تحقيقه في عقر دارها مع ما تمتلكه من أسباب القوة والنفوذ، وخير دليل على ذلك هو السقوط المدوي لفكرة الشيوعية مع سقوط الاتحاد السوفيتي كنظام سياسي ودولة عظمى، وضمور الأحزاب والحركات التي كانت تدور في فلكه.

---

(١) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد ٧.



المقصد الثاني: ضرورة الدولة على أساس وظيفتها

ولو فرضنا جدلاً تكامل المجتمع وتحقق الرشد الأخلاقي لجميع أفراده، وحصول الإيثار والتناصف بينهم وعدم الاعتداء وعدم تجاوز بعضهم على بعض لصفاء نفوسهم، ونقاء طبائعهم، ولا توجد حاجة إلى الحكومة والدولة من هذه الناحية، ولكن مع هذا يبقى الاحتياج قائماً إلى نظام يجمع أمرهم في المصالح العامة ويسدّ حاجاتهم في الأرزاق والأمور الصحّية، والتربية والتعليم والمواصلات، والطرق والشوارع، وجباية الضرائب وصرفها في هذه المصالح العامة، وهو أمر لا يقبل الإنكار، ولا يختصّ بعصر من دون عصر أو ظرف من دون ظرف[1]. وهذا ما يمكن التعبير عنه بضرورة الدولة على أساس وظيفتها وأهدافها، وتوجد هنا بعض النظريات:

الأُولى: أنّ أهداف الحكومة، هي:

١ـ حماية المجتمع من الفوضى والتعدي على المجتمعات المستقلة الأخرى.

٢ـ حماية كل عضو في المجتمع قدر الإمكان من فقدان العدل، أو كبت أي عضو منه، وتطبيق العدالة بدقة.

٣ـ إنشاء منظمات عامة لا تنشد مصلحة فرد أو مجموعة من الأفراد، بل تسعى لمصلحة المجتمع بأسره. ويذهب إلى ذلك (آدم سميث (Adam

(١) ينظر: المنتظري، حسن علي حسن، نظام الحكم في الإسلام: ص ٧٤.

Smith.

الثانيــة: أن هــدف الحكومــة المبــاشر هــو: تأمــين ســيادة القانــون والأمــن العــام، ونـشر النظـام. فـإذا حصلـت عـلى ذلـك وجـب عليهـا أن تحدد حـدود الحريـة الفرديـة، وتضـع هدفـاً أساسـاً لهـا وهـو العمـل لنـشر الفكـرة الإنسـانية والحضـارة في العـالم. وهـذا مـا يذهـب إليـه (بركـس Pricks).

الثالثة: أن أهداف الحكومة هي:

١ـ تحقيق النظام في بلادها وحفظ استقلالها من بين الدول الأخرى.

٢ـ العمـل للحصـول عـلى أوسـع نطـاق مـن الحريـة، ويرتبـط بالحريـة تقوية الجهـاز الحاكـم لأجـل الحفـاظ عليهـا، كـما يرتبـط بهـا تثقيـف المواطنـين كـي يكونـوا قادريـن عـلى ممارسـة الحريـة.

٣ـ العمـل لتحقيـق الرفاهيـة العامـة ورفـع المسـتوى الاقتصـادي والفكـري والخلقـي. وهـي نظريـة وينبـلي.

ويحـدد (لاسـكي Harol. Laski) في نظريتـه أن أهـداف الحكومـة هـي: قيامهـا بتقويـة مجموعـة مـن الأشـخاص والأفـراد لتحقيـق مسـتوى اجتماعـي جيـد يتصـف بمسـتوى عـال، وتنحـصر واجباتهـا في تنظيـم مجموعـة مـن الأعـمال المنسـقة، ومـن المعقـول أن ذلـك التنسـيق يعلـو وينخفـض حسـب الظـرف القائـم، وليـس للحكومـة أن تقـوم بالسـيطرة عـلى جميـع فعاليـات الإنسـان وإنـما عليهـا أن تصنـع مفتـاح التنظيـم الاجتماعـي وعليهـا أن تحقـق مـا يـدور في خلـد الرعيـة مـن نظـام أفضـل. وإذا أردنـا أن نجمـل القـول في





وظيفة الحكومة وأهدافها مما تقدم بأن التجمع البشري من الضروريات التي لا بد منها لبني البشر، وذلك على اختلاف في دواعي التجمع، أهي الغريزة الداعية للتجمع مباشرة أو غريزة الاستخدام التي تدفع كل فرد لاستخدام الفرد الآخر أو ما إلى ذلك. ولا بد للمجتمع من نظام يعين المسير ويحل التناقض في النزعات ووجهات النظر، كما لا بد لهذا النظام من معين ومنفذ له على ضوء مصلحة معينة، ومن هنا تنشأ فكرة نظام الحكم[١]. إذن يجمع كل هذه الأهداف والوظائف للحكومة شيء واحد هو: سعادة الفرد، فكل شيئ ينتهي إلى تحقيق هذا الهدف الذي تطمح إليه البشرية، يدخل في وظيفة الحكومة ومنه تكتسب أهمية إقامتها بل ضرورة وجودها. وهذا المعيار الذي تقوم على أساسه ضرورة الحكومة يمكن إرجاعه بالمحصلة النهائية إلى المعيار الأول، وهو: مقتضى طبيعة الإنسان التي تتوق إلى الاجتماع وتحقيق الاحتياجات من خلاله، وهو ما لا يمكن حصوله إلاّ بوجود الدولة والحكومة، فإن هذا المعيار أيضاً سببه هو بحث الإنسان عن سعادته. وهذه الضرورة البشرية لوجود الحكومة كان من الطبيعي أن ينادي بها الإسلام لكونه دين الفطرة الإنسانية.

قال تعالى: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِّ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

(١) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد ٧.

(٢) الروم: ٣٠.



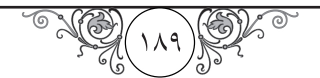
المطلب الثاني: ضرورة الدولة في الإسلام

يرى بعض العلماء والباحثين أنّ الحكم والحكومة والتدبير الحكومي هو من الواجبات الأولية الركنية في الدين ولا يعدلها بقية الأركان، فهي حكم أولي بنفسها وعلى درجة من الأهمية مقدمة على الأحكام الأولية الأُخرى(١). فأصل الحكومة بدرجاتها وأنماطها المختلفة من الصالحة والفاسدة ضرورية؛ لأنّها بالجملة تُلَبِّي جملة من الضرورات ذات الأهمية بالدرجة القصوى لأصل حياة المجتمع الإنساني والنسل البشري. فإقامة الدولة في ضوء نظام الإسلام إنما هو شأن من شؤون الحياة الإسلامية العامة، وضرورة لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، وشأن من شؤونه ووسيلة لحماية أهدافه الضخمة التي أعلنها الإسلام، فإنه لا يمكن تنفيذ كثير منها إلا بالقوة الحاكمة، والشاهد على ذلك وجود كثير من الموبقات والمنكرات المنتشرة في البلاد الإسلامية، كالربا وبيع الخمور والمسكرات(٢). هناك آيات قرآنية كثيرة ترشد إلى مسألة ضرورة الدولة في حياة المجتمعات البشرية نختار منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ

---

(١) السند، محمد، أساس النظام السياسي عند الإمامية: ص ٣١٢.

(٢) القرشي، باقر شريف، النظام السياسي في الإسلام: ص ١٢٦.



تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[1]. فبنو إسرائيل هنا يدركون بفطرتهم أنهم لا يمكنهم القيام بالجهاد والقتال في سبيل الله، والرد على من اعتدى عليهم وأخرجهم من ديارهم من دون قيادة وحكومة تنظم أمورهم، وترتب أوضاعهم يعملون تحت إمرتها لتحقيق أهدافهم في النصر والعلبة على عدوهم، فكان مرتكزاً في أذهانهم أن التشّكل لا يحصل إلاّ بملك حافظ للنظام والتشكل[2].

أولا: الروايات الكثيرة الدالَّة على ضرورة الحكومة

في الحقيقة إنّ هذه الروايات أيضاً، إنما هي إرشاد إلى هذه الضرورة الإنسانية والاجتماعية، وليس تأسيساً لقضية لم تكن موجودة. ومن هذه الروايات:

١ـ قول أمير المؤمنين عليه السلام لما سمع قول الخوارج: لا حكم إلاّ لله، فقال: كلمة حق يراد باطل. نعم، إنه لا حكم إلا لله. ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله: وإنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن. ويستمتع فيها الكافر. ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفئ، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح به برّ ويُستراح من فاجر[3]. لقد نطق الإمام علي

---

(١) البقرة: ٢٤٦.

(٢) ينظر: المنتظري، حسن علي حسن، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: ج١ ص١٨٧.

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي(ع): ج ١ ص ٩١.

عليه السلام بهذا الكلام في الرد على تيار خاص ينفي ضرورة الحكومة، وهم الخوارج، فوقف أمير المؤمنين عليه السلام موضحاً معنى «لا حكم إلا للهِّ ومبيناً خطأهم. فقد كانوا يقولون إنّ الحكومة مختصة بالله، ونحن لا نريد الحكومة(١).

فضلاً عن أنه (ع) يرشد أيضاً إلى أنّ الحكومة الجائرة مع ما فيها من الشرّ والفساد خير من الفتنة والهرج، وكذا ورد عنه في هذا المجال، قوله: والٍ ظلومٌ غشومٌ خير من فتنة تدوم(٢).

٢ـ ما ورد عن علي عليه السلام أيضاً أنه قال بعد ذكر آيات من كتاب الله: «وفي هذا أوضح دليل على أنه لا بدّ للأمّة من إمام يقوم بأمرهم، فيأمرهم وينهاهم ويقيم فيهم الحدود، ويجاهد العدو، ويقسّم الغنائم، ويفرض الفرائض، ويعرفهم أبواب ما فيه صلاحهم، ويحذّرهم ما فيه مضارهم، إذ كان الأمر والنهي أحد أسباب بقاء الخلق، وإلّا سقطت الرغبة والرهبة ولم يرتدع، ولفسد التدبير، وكان ذلك سبباً لهلاك العباد(٣).

٣ـ ما ورد عن أبي عبد الله(ع) قوله: لا يستغني أهل كل بلد عن ثلاثة يفزع إليهم في أمر دنياهم وآخرتهم، فإن عدموا ذلك كانوا همجاً: فقيه

---

(١) ينظر: الخامنائي، علي، العودة إلى نهج البلاغة: ص٢٣ وما بعدها

(٢) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٠٥.

(٣) ينظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٠ ص٤٠. ينظر: الشيرازي، ناصر مكارم، بحوث فقهية مهمة: ص ٤٤٩.



عالم ورع. وأمير خير مطاع. وطبيب بصير ثقة[1].

وغير ذلك من الأدلة النقلية التي تؤكد على الحكومة والدولة بوصفها حاجة بشرية اجتماعية ضرورية لا غنى للنوع البشري عن الاستغناء عنها. بل ولا يمكن تحقيق الأهداف السامية للدين الإسلامي الذي يسعى إلى بلوغ البشرية أقصى درجات رقيها وكمالها من دون حكومة عادلة تضع الأمور في نصابها الصحيح. وينبغي الإلفات إلى أمور بالغة الأهمية في مجال أُسس القيادة في الإسلام، وهي: أن حق الحكومة في الإسلام ليس إلاّ تقديم نوع من الخدمة للمجتمع، وأن القائد خادم الناس لا مالكهم، كما قال رسول الله في كلام رائع له: سيد القوم خادمهم[2]. من هنا، يذهب الإسلام إلى أن ولاية الأمر والقيادة في الحقيقة أمانة وحراسة وخدمة للناس، وولي الأمر أمين وراع وأجير لهم[3]. بخلاف بعض أنظمة الحكم الأُخرى التي ترسي قواعدها على أرضية من الظلم والقهر والاستبداد والدكتاتورية، واستعباد الإنسان، وما توصلت إليه البشرية اليوم من أنظمة حكم تعدّها مثالية بعد مسيرة مضمخة بالدماء، هو ما يعرف اليوم بالحكومات الديمقراطية التي أفرزت مساحة للجماهير والشعب لأن يقول كلمته في شكل الحكم وشخصية الحاكم، هذه الأنظمة كان قد دعا الإسلام إلى أفضل منها وأعطى للأمة والجماهير أثراً واضحاً في إدارة

(١) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص ٣٢١.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٨.

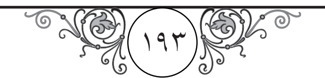
(٣) الريشهري، محمد، القيادة في الإسلام: ص٣٤٤.

الدولـة تبـدأ مـن إضفـاء الشرعيـة عـلى الحاكـم، أو خـروج الشرعيـة مـن القـوة إلى الفعـل عـن طريـق البيعـة، وكذلـك مراقبـة أدائـه بإسـداء النصيحـة والأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر حتـى تصـل إلى أشـكال أُخرى متصاعـدة مـن الضغـط الجماهـيري المتمثلـة بالمظاهـرات والإضرابـات والعصيـان المـدني، وكل اشـكال الاعتراضـات والاحتجاجـات وغيرهـا.

ثانيا: الأساس الاجتماعي

التعامـلات الاجتماعيـة والأخـلاق القيميـة التـي تشـكّل التعامـل مـع الافـراد هـي مـن اهـم قواعـد النجـاح للنـاس والحـكام المتصديـن للأعـمال الأيدلوجيـة، لـذا فـن اقتنـاء المهـارات عـن طريـق جميـع التعامـلات مـع الأشـخاص، هـو النجـاح بعينـه «إن تتبـع أسـس هـذا الفـن عنـد أمـير المؤمنين(عليـه السـلام) يقـدم لنـا قواعـد رصينـة وآمنـة، يمكـن السـير في هداهـا باطمئنـان، لأنهـا تحقـق لنـا الغايتـين الدنيويـة والأخرويـة لقـد أحاطـت الظـروف العصيبـة بأمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) وألمـت بـه المشـكلات، وتحلـق حولـه كثـير مـن النـاس بعضهـم الموالـين والأنصـار والأتبـاع، وكثـير منهـم ليسـوا كذلـك، وكان لزامـا عـلى إمـام الأمـة، وقائدهـا بعـد نبيهـا أن يتعامـل معهـم بمنتهـى الحكمـة، ويقودهـم بخلـق السـماء. يمكـن القـول باطمئنـان إنَّ أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) حقـق تعامـلا ناجحـا مـع النـاس سـواء كانـوا أتباعـا وموالـين أو أعـداء ومبغضـين»[1] لـذا يقـول أمـير المؤمنـين

(١)- شكر نصير علي موسى، أسس بناء الدولة المتحضرة في فكر الإمام علي عليه السلام، موقع مكتبة الروضة الحيدرية: http://www. haydarya. com



«عليه السلام» في وصيته الخالدة والرائعة لولديه الإمامين الحسنين» عليهما السلام»:(أوصيكم وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم)، فكان عليه السلام من حذاقته الإدارية ان جعل هيكلاً تنظيمياً مرفقاً بوجود المستويات الإدارية الثلاثة في الادارة.. الحديثة وهي: الادارة العليا والوسطى والدنيا. وقد تضمن هذا العهد رسم الخطوط العريضة للسياسة العامة التي يجب أن ينتهجها الحكام في كل عصر على أساس المنطلقات الإنسانية الإسلامية التي تهدف إلى تنظيم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية تنظيماً دقيقاً وبناء العلاقات الداخلية في المجتمع الإسلامي على أساس العدل والحرية والمساواة سواءاً كان تعامل الحاكم مع الشعب أو مع رجال السلطة وفق سياسة تكفل للجميع الاستقرار والتقدم، وكما يوضح أسس العلاقات الخارجية مع العدو والصديق بشكل يحفظ للأمة كرامتها وعزتها واستقلالها التام. والذي يمكن ملاحظته في الدولة التي تشكلت في عهد الإمام علي عليه السلام هي دولة قائمة على النظام المركزي وهو خضوع المرؤوس للرئيس وتلقي تعليماته وتنفيذها من جهة أخرى[1]

المطلب الثالث: نظرية الشورى

من النظريات المهمة في تفسير طبيعة الحكم الإسلامي هي نظرية الشورى، وهي من أشهر النظريات في الحكم عند أهل السنة لما لها

(١)- حامد السعيدي، الإمام علي عليه السلام ونظام الحكم، مجلة النبأ، العدد ٥٠ ٢٠٠٠ تشرين الأول، nezam. htm/https://annabaa. org/nba٥٠

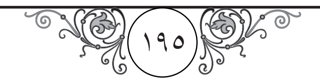
من سبق تاريخي على مستوى التطبيق والممارسة، ولما ذكر لها من أدلة متنوعة، وهذا ما سيتضح لاحقاً.

المقصد الأول: الأساس التاريخي لنظرية الشورى

تعدّ نظرية الشورى في الحكم عند أهل السنة من أكبر النظريات التي ابتنى عليها تحقيق الشرعية السياسية في الإسلام، وعدّت بديلاً لنظرية النص في الحكم ليس بديلاً مزاحماً بالأفضلية، وإنما بديلاً لغياب النص على الحاكم من قبل المشرع، كما يدّعي متبنو الشورى، فالشورى تكون في ما لم يكن لهم فيه نص شرعي، وإلا لا معنى لها، وكيف يليق بالمسلم العدول عن حكم الله عز وجل إلى آراء الرجال، والله سبحانه هو الحكيم الخبير[1]. ومن هنا شقت نظرية الشورى مسارها في الجانب التنظيمي التأسيسي السياسي، كروح لنظام الحكم الإسلامي، وانطلقت من فراغ النصوص في الإمامة بحسب مدعى أهل السنة مع أن النظرية لم تأخذ صورة وشكلاً واحداً على مستوى التنظير والتطبيق إلى يومنا الحاضر إلا أنها اعتمدت المشورة في جوهرها. والأساس التاريخي الذي استندت إليه هذه النظرية إلى جانب ما قد يدّعى من أدلة هو حين اجتمع الأنصار من الأوس والخزرج يتزعمهم سعد بن عبادة سيد الخزرج مرشحهم للإمارة، في سقيفة بني ساعدة، وأعلنوا رغبتهم في تسنم مقاليد الحكم. وبينا هم يتداولون أمرهم، بين مستبد بالأمر، ومنخذل، إذ دخل عليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، ولم يكن من المهاجرين غيرهم

---

(١) ينظر: الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج١٣ ص١٦-١٧.



في السقيفة، فتغيرت مجريات الأمور لصالح قريش، فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن! والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل، أو متجانف لأثم، ومتورط في هلكة[1]. وحصلت انشقاقات وتصدعات في موقف الأنصار، فأراد أبو بكر مبايعة أبي عبيدة بن الجراح أو عمر بن الخطاب، فرفض عمر، وطلب من أبي بكر أن يبسط يده، فبسط يده، فبايعه عمر، وبايع الناس[2]. وفي مسند أحمد، قال عمر بن الخطاب: وكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى خشيت الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار.....[3]. ومثله في البداية والنهاية لابن كثير[4]، والسيرة النبوية لابن هشام[5]. وهكذا تمت البيعة والخلافة لأبي بكر. واتخذ نظام

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٢٠. ينظر: ابن الأثير الجزري، علي بن محمد، الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٩١.

(٢) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٢٠-٢٢١. ينظر: ابن الأثير الجزري، علي بن محمد، الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٩١. ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٥ ص٦.

(٣) ابن حنبل الشيباني، أحمد بن محمد، مسند أحمد: ج١ ص٤٥٢.

(٤) ينظر: ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٥ ص٢٦٧.

(٥) ينظر: الحميري المعافري، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام: ج٢ ص٦٦٠.

الشورى في زمن الخليفة الثاني صورة أُخرى يمكن أن نسميها الشورى المقيدة والمشروطة وجعلها في ستة أشخاص، وهم: علي وعثمان والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وطلحة، وعبد الله بن عمر، ولم يجعل لعبد الله بن عمر من الأمر شيئاً، وأمر صهيب الرومي بأن يقف على رؤوسهم، وقال له: إن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان، فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم، فحكّموا عبد الله ابن عمر، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس[(١)]. في حين أنّ عمر لم يكن يعتقد أن الأصل في التولية هو الشورى، وإن كان قد قال بالشورى في خطبته الأخيرة؛ ففي العقد الفريد لابن عبد ربه أن عمر، قال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أولّي رجلاً أمركم أرجو أن يحملكم على الحق- وأشار إلى عليّ- ثم رأيت أن لا أتحمّلها حيّاً وميّتاً[(٢)]. وفي أنساب الأشراف للبلاذري أن عمر بن الخطاب، قال: من يدلني على رجل برّ تقي أولّيه؟[(٣)]. وساقوا لنظرية الشورى أدلة قرآنية وروائية سيذكر الباحث بعضاً من هذه الأدلة في المقصد الآتي.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤ ص٢٢٩.

(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد: ج٥ ص٢٧.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٥ ص٥٠٢.

المقصد الثاني: أدلة نظرية الشورى

أولاً: الأدلة القرآنية

مما ذكر من أدلة قرآنية لنظرية الشورى هي قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[(١)]، وللأستدلال بهذه الآية فقد أخرج الطبري في تفسيره بسنده، عن سفيان بن عيينة في قوله سبحانه: ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ..﴾[(٢)]، قال: هي للمؤمنين، أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبي فيه أثر[(٣)]. ونقل القرطبى فى هذه الآية مجموعة من الأقوال، منها ما عن الحسن البصري والضحاك، بأن مشاورة النبي أصحابه فيما لم يأته فيه وحي، ليس لحاجة منه إلى رأيهم؛ وإنما ليستن به المسلمون، ويتبعه المؤمنون ولتقتدي به أمته من بعده[(٤)]. وقال الزمخشري في الكشاف: وشاورهم في الأمر: يعنى في أمر الحرب ونحوه، مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم، ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم. وعن الحسن(ع): قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة، ولكنه أراد أن يستن به من بعده. وعن

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن: ج٧ ص٣٤٥.

(٤) ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج٤ ص٢٥٠.

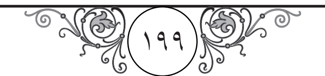
النبي: ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم»[١].

والدليل الآخر قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٢]. وفي تقريب الاستدلال بهذه الآية قال الجصاص في أحكام القرآن: وقوله تعالى... يدل على جلالة موقع المشورة لذكره لها مع الإيمان وإقامة الصلاة ويدل على أنا مأمورون بها[٣].

وذكر القرطبي في تفسيره: أن الله تعالى مدح المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك، وكان الصحابة بعد رحيل نبي الله عنهم يتشاورون في الأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة. وأوّل أمر تشاور فيه الصحابة بعد رحيل النبي هي الخلافة، فإن النبي لم ينص عليها، حتى كان فيها بين أبي بكر والأنصار ما جرى من الخلاف في السقيفة من أجل البيعة[٤].

وقال الرازي في مفاتيح الغيب، قوله تعالى: ﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ..﴾[٥]، قيل: كان إذا وقعت بينهم واقعة اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم، أي لا ينفردون برأي بل ما لم يجتمعوا عليه لا يقدمون عليه،

(١) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج١ ص٤٣٢.
(٢) الشورى: ٣٨.
(٣) الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن: ج٥ ص٢٦٣.
(٤) ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص٣٧.
(٥) الشورى: ٣٨.



وعن الحسن(ع) ما تشاور قوم إلا هدوا[1].

ثانياً: الأدلة الروائية

استدلّ أهل السنة بأحاديث كثيرة عندهم على وجب العمل بمبدأ الشورى، منها:

١ـ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، قال: قلت: يا رسول الله: الأمر ينزل بنا بعدك لم ينزل فيه قرآن ولم يسمع منك فيه شيء قال: اجمعوا له العابد من أمتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوه برأي واحد[2]. قال الأنصاري في كتاب الشورى وأثرها: الحديث دال على وجوب التشاور في الأمور التي لا نص فيها من القرآن والسنة، وكذلك دال على الأخذ برأي الأغلبية[3].

٢ـ أخرج الدارمي في سننه بسنده، عن أبي سلمة، أن النبي سُئل عن الأمر يحدث، ليس في كتاب ولا سنة، قال: «ينظر فيه العابدون من المؤمنين»[4]، وقد علق محقق الكتاب الداراني على الحديث، قائلا: إسناده صحيح وهو مرسل[5].

---

(١) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج٢٧ ص٦٠٣.

(٢) السيوطي جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور: ج٧ ص٣٥٧. ينظر: الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج١٣ ص٤٧.

(٣) الأنصاري، عبد الحميد بن إسماعيل، الشورى وأثرها في الديمقراطية: ص٦٥.

(٤) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي: ج١ ص٢٣٩.

(٥) المصدر نفسه: ج١ ص٢٣٩.

٣ـ أخرج البيهقي في شعب الإيمان بسنده، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿... وشاورهم في الأمر... ﴾[١].

وقال رسول الله: أما إن الله ورسوله غنيان عنهما، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن شاور منهم لم يعدم رشداً، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم عناء[٢].

واستدل بهذا الحديث على وجوب العمل بالشورى محمد الصالح في كتابه الشورى بين الكتاب والسنة، وأورده مؤيداً من مؤيدات مبدأ الشورى[٣]. وغير ذلك من الأحاديث.

المقصد الثالث: كيفية انعقاد الحكم وفق نظرية الشورى

عادة ما يتم انعقاد الحكم للحاكم، في هذه النظرية ببيعة من أهل الحل والعقد، أو ما تسمّى ببيعة الانعقاد، ثم تتبعها بيعة عامة من الناس، أو ما تسمى ببيعة الطاعة والانقياد. يقول الماوردي في الأحكام السلطانية: فإذا اجتمع أهل العقد والحل للاختيار تصفحوا أحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطها، فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلاً وأكملهم شروطاً، ومن يسرع الناس إلى طاعته، ولا يتوقفون عن بيعته، فإذا تعين لهم من بين الجماعة من أداهم الاجتهاد إلى اختياره عرضوها عليه، فإن أجاب إليها بايعوه عليها، وانعقدت ببيعتهم له الإمامة، فلزم كافة

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ج١٠ ص٤١.

(٣) ينظر: الصالح، محمد بن أحمد، الشورى في الكتاب والسنة وعند علماء المسلمين: ص٥٦.



الأُمة الدخول في بيعته والإنقياد لطاعته[1]. واختلفت آراء العلماء في مسألة العدد، الذي تنعقد به الإمامة من أهل الحل والعقد، على الرغم من أنها مجرد بحث نظري، دعت إليه رغبة الفقهاء والمتكلمين في أن يجدوا حكماً لكل حالة، مادام ممكناً تصورها عقلاً، فمنهم من ذهب إلى الإجماع التام على الخليفة[2]، ومنهم اشترط انعقاد الخلافة بجمهور أهل الحل والعقد[3]. ومنهم من حدد أهل الحل والعقد بعدد مخصوص. ومنهم من ذهب إلى عدم اشتراط انعقاد الإمامة بإجماع المسلمين، أو جمهور أهل الحل والعقد، وإلى عدم تقييد أهل الحل والعقد بعدد مخصوص، وإنما اشترطوا في أهل الحل والعقد أن يكونوا من ذوي القدرة والشوكة[4]. وأما بيعة الطاعة والانقياد فهي البيعة التي يؤديها من تيسر من المسلمين بعد بيعة الانعقاد، كبيعة الصحابة لأبي بكر في المسجد، بعد أن بايعه أهل الحل والعقد في سقيفة بني ساعدة، وبيعة عمر بن الخطاب بعد أن عهد أليه أبو بكر، وبيعة عثمان بعد أن عقدت له من عبد الرحمن بن عوف.

وفي نظرية الشورى كما هو واضح فإن رأي الأُمة فيها رأياً جوهري وأساسي وهي العمود الفقري للحكومة المنبثقة عنها، فعندما ترغب

(١) الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية: ص٢٥ـ٢٦.

(٢) ينظر: الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ص٤٦٠.
ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل: ج١ ص٢٥.

(٣) ينظر: الفراء، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية: ص٢٣.

(٤) ينظر: الجويني، عبد الملك بن عبد الله، غياث الأمم في التياث الظلم: ص٧١ـ٧٢.

الأُمة أن تغير أو تصلح من مسار الحكومة فإنها تنطلق من أرضية صلبة ومن أساس واضح.

خاتمة ونتائج:

خلصت هذا في نهاية مطاف الأبحاث والاستدلالات والنقض والإبرام، إلى عدة نتائج مهمة:

١- أنها محاولة لبيان مسألة مهمة من مسائل الفقه السياسي التي تفتقر إلى مزيد من الأبحاث والدراسات للحكومة الإمام علي (ع).

٢- يمتاز الفقه الإسلامي بالمرونة والقدرة على استيعاب المستجدات والمستحدثات على الساحة الاجتماعية والسياسية وغيرها، وإعطاء الحلول للمشاكل التي يبحث عنها المجتمع الإسلامي.

٣- يؤمن الفقه الإسلامي بضرورة إقامة الدولة بوصفها حاجة ضرورة إنسانية ومجتمعية وحاجة ملحة لتلبية المتطلبات الضرورية للناس في الأمن وإشاعة العدل والنظام، والعيش الكريم.

٤- تأثرت النظرية الإسلامية بصورة واسعة بالاختلافات العقدية والفلسفية والفقهية، بل وحتى السياسية بين المسلمين ما أثّر كثيراً على الواقع السياسي والاجتماعي للأُمة الإسلامية.

٥- على مختلف النظريات الإسلامية في فلسفة الدولة يبقى للأمة والجماهير أثرها الفعّال سواء أكانت تعتمد الجماهير أساساً لقيام الحكم،



كنظرية الشورى أو غيرها كنظرية النص.

٦- لا تنمو الديمقراطية، وتورق شجرتها، وتعطي ثمارها المتمثلة بالانتخاب والتداول السلمي للسلطة، وممارسة أساليب المعارضة السلمية، إلاّ في أجواء الحرية السياسية وحرية الرأي، وهو المبدأ الذي أقره الإسلام، وعده من أولوياته.

٧- كانت للأمة آلياتها وأساليبها في الضغط على ولاة الأمر، وهي: مراقبة الأُمة والجماهير للحكومة، ونصح الأُمة للحاكم، وعزله واستبداله إذا لزم الأمر.

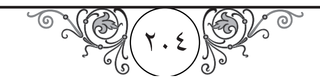
٨- تؤدي مثل البحوث إلى إشاعة ثقافة التسامح ونبذ العنف وترسيخ مبادئ الديمقراطية عبر انتهاج آلياتها في أخذ الحقوق، وسلوك طرق حضارية وإنسانية، لأن العنف لا يولّد إلاّ العنف والكراهية.

٩- هناك قواعد قانونية وشرعية يمكن الاستناد إليها في إثبات مشروعية الدولة، ككون الحاكم وكيلاً عن جماهير الأُمة في إدارة الدولة، أو يكون مأذوناً من قبل الشعب، أو نائباً عنه، أو أميناً على ما في يده من سلطة.

القرآن الكريم

المراجع

١- حاكم محسن الربيعي، علي عبودي نعمه الجبوري. (٢٠١٩). دور



التسويق الإعلامي في جذب السائح الدولي من خلال نظرية الاختراق الاجتماعي (دراسة تحليلية لعينة من الفنادق السياحية العراقية). مجلة كلية الادارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والإدارية والمالية ١١(٤) ٨٣٠-٨٥١.

٢- ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند أحمد، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنا ن

٣- ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، سنة الطبع: ١٤٠٤، المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي.

٥- الأزدي، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٩٨٧م.

٦- الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥م.

٧- الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية،



بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥ هـ.

٨- أمير المؤمنين، الإمام علي)ع)، نهج البلاغة خطب الإمام علي (ع)، جمعها: الشريف الرضي، الناشر: دار الذخائر قم، المطبعة: النهضة، سنة الطبع: ١٤١٢ هـ، الطبعة: الأولي.

٩- الأنصاري، عبد الحميد بن إسماعيل، الشورى وأثرها في الديمقراطية، المكتبة العصرية، بيروت.

١٠- بسيوني، د. حسن السيد، الدولة ونظام الحكم والإدارة في الإسلام، الناشر: عالم الكتب القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٠٥ هـ ١٩٨٥م.

١١- الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القران، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢- الحميري، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، سنة الطبع: ١٣٨٣ - ١٩٦٣ م، المطبعة: المدني، القاهرة، الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، بمصر.

١٣- الخامنائي، علي، العودة إلى نهج البلاغة، ترجمة: السيد عباس نور الدين، الناشر: الدار الإسلامية بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ٢٠٠٠م.

١٤- الرازي، محمد تقي، هداية المسترشدين، الناشر: مؤسسة النشر

الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٥- الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧ - ١٩٩٦ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦- السند، محمد، أساس النظام السياسي عند الأمامية، تقرير: مصطفى اسكندري ومحمد حسن رضوى، الناشر: مدين إيران قم، الطبعة: الأولى، المطبعة: سرور.

١٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٨- الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش.

١٩- الطبري، أحمد، الرياض النضرة في مناقب العشرة، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، الطبعه: الأولى مصر، سنه الطبع: ١٩٥١م.

القرشي، باقر شريف، النظام السياسي في الإسلام، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٩٨هـ.

٢١- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٢٢- الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق:



حسين الحسيني، الناشر: دار الحديث، الطبعة: الأولى.

٢٣- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

٢٤- مصطفوي، محمد كاظم، مائة قاعدة فقهية، المجموعة: مصطلحات ومفردات فقهية، الطبعة: الثالثة المنقحة، سنة الطبع: ١٤١٧، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

٢٥- المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي، المجموعة: مصطلحات ومفردات فقهية، بلا.

٢٦- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، بلا.

٢٧- الواعظي، أحمد، الدولة الدينية «تأملات في الفكر السياسي الإسلامي»، ترجمة: حيدر حب الله، الطبعة: الأولى، المطبعة: الغدير للطباعة والنشر بيروت. سنة الطبع: ٢٠٠٣م.

٢٨- مجلة القانون العام وعلم السياسة، العدد الرابع، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع جامعة بغداد: ٢٠٠٦م.

٢٩- مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد٧.

٣٠- شكر نصير علي موسى، أسس بناء الدولة المتحضرة في فكر

الإمام علي عليه السلام، موقع مكتبة الروضة الحيدرية: http://www. haydarya. com

٣١ - حامد السعيدي، الإمام علي عليه السلام ونظام الحكم، مجلة النبأ، العدد ٥٠ ٢٠٠٠ تشرين الأول، https://annabaa. org/ nezam. htm/nba٥٠

وصايا النبي وأعلامه حول الغدير وآثاره في السلم المجتمعي

د. وسن صاحب عيدان

الملخص:

إنّ موضوع الوصايا من المواضيع التي استأثرت باهتمام الباحثين لما لها من أهمية في تسيير الحياة السياسية والاجتماعية والتربوية والقيادية.

والقضية التي عرفت في تاريخ الإسلام بقضية الغدير تعدُّ من أهم القضايا الإسلامية وأشدّها خطورة وحساسية؛ وذلك لأنَّها تمثل المحور والأساس الذي يتم على أساسه تحديد الاتجاه العام للإنسان المسلم ويرتسم خط مسيره إلى مصيره، إنْ من الناحية العقائدية أو الفكرية أو في نطاق التشريع أو في مجال الارتباط الشعوري والعاطفي، وعلى أساس ذلك كلِّه يكون رسم العلاقات في كلِّ ما يحيط به وتتحدد المنطلقات وتتكون الارتباطات وتتشكل العوامل والمؤثرات.

ولأجل ذلك فإنَّ البحث في هذه القضية وإيضاح ما لها من أبعاد ودلالات والتعرف على ما اكتنفها من ظروف وملابسات يصبح بالغ الأهمية لكلِّ مسلم يؤمن بربِّه يرجو ثوابه ويخاف عقابه، وجاء هذا البحث ليوضح وصايا النبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حول الغدير وآثاره في السلم المجتمعي.

وقد قُسم البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: الوصايا وأهمية دراستها ودور النبيِّ في رفع المستوى الروحي والأخلاقي للأُمَّة.

أ- مفهوم الوصية في اللغة والاصطلاح

ب- مفهوم الوصية في القرآن الكريم

ج- دور النبيِّ في رفع المستوى الروحي والأخلاقي للأُمَّة.

المبحث الثاني: بيعة الغدير في وصايا النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله

أ- سند الحديث

ب- دراسة الحديث

ج- المولى في الأدب

د- كيفية انبثاق المشهد وانطلاق البلاغ

هـ- محتوى الخطبة

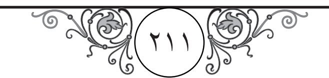
و- تتويج عليٍّ عليه السلام ليوم الغدير

ي- مناشدة الصحابة

المبحث الثالث: الغدير ودوره في تعزيز مقومات السلم المجتمعي.

أ- ماهية السلم المجتمعي

ب- تعزيز العدالة الاجتماعية





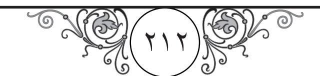
الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

المقدمة:

تعدُّ وصايا النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إرثاً تاريخياً عظيماً، تنظر إليها الأجيال اللاحقة بإجلال وإكبار وتعتبرها المثل الأعلى والأُنموذج الأفضل لتوجيه المجتمع نحو الفضائل والآداب والخلق الرفيع، وهذه المبادئ الإنسانية واحدة من أهم مبادئ الدين الإسلامي، فهو دين إنساني، فقد دلَّت هذه الوصايا على قدرة أُمَّة العرب على التفاعل مع الأحداث والمستجدات وإمكانية التحديث والاستنباط والابتكار حسب المواقع والأزمنة في ظل تعاليم الدين الإسلامي.

وبعد فإنَّ الاحتفاء بالغدير يمثل استذكار منظومة القيم السامية والمبادئ الإنسانية التي يختزلها الغدير، ويتضمن استنهاض الهمم واستثارة العزم للعمل الجاد بسيرة صاحبي الغدير عليهما السلام، إذ تمسّ الحاجة جداً إلى التعرف الواعي على مبادئ الغدير وما تعنيه ذكراه من لزوم تأصيل نهج صاحبي الغدير وهما رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأمير المؤمنين عليه السلام وترسيخ مقاييسهما في التعاطي مع الإنسان والمنصب والالتزام بما التزما به إزاء ذلك كلِّه، والحرص المؤكد على عدم جعل المنصب وسيلة لنيل مكاسب مؤقتة أو تحقيق طموحات زائلة.



قسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع، تناول المبحث الأَوَّل الوصايا وأهمية دراستها، ودور النبيِّ في رفع المستوى الروحي والأخلاقي للأُمَّة، متضمناً مفهوم الوصية في اللّغة والاصطلاح والقرآن الكريم ودور النبيِّ في رفع المستوى الروحي والفكري للأُمَّة، وجاء المبحث الثاني ذاكراً بيعة الغدير في وصايا النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله، إذ تناول سند الحديث ودراسته، والمولى في الأدب وكيفية انبثاق المشهد وانطلاق البلاغ ومحتوى الخطبة، وتتويج الإمام عليٍّ عليه السَّلام ليوم الغدير ومناشدة الصحابة، وعرج المبحث الثالث على الغدير ودوره في تعزيز مقومات السلام المجتمعي، متضمناً تعريف السلم المجتمعي وفي اللغة والاصطلاح وتعزيز العدالة الاجتماعية.

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والمراجع، يأتي في مقدمتها القرآن الكريم فهو كلام الله عزَّ وجلَّ ودستور الأُمَّة ومعاجم اللّغة العربية، إذ أفادت الباحثة في تعريف مصطلحات الدراسة، وكتب التاريخ العام وغيرها من المصادر.

المبحث الأول: الوصايا وأهمية دراستها ودور النبيِّ في رفع المستوى الروحي والأخلاقي للأمة

أ- مفهوم الوصية في اللغة والاصطلاح:

الوصية لغة:



وصىّ: أوصى الرجل عهد إليه[1] أوصى له بشيء وأوصى إليه جعله (وصيه)، والاسم (الوصايا) بفتح الواو وكسرها[2]. وأوصيت إليه إذا جعلتهُ وصيك، وأوصيته ووصيته إيصاءً وتوصيةً بمعنى وتواصى القوم، أي أوصى بعضهم بعضاً[3]. قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**وله شيء يوصي فيه**»[4]، عهد إليه: بأمرهِ أوصاه بالاجتهاد في دروسه[5]. قال تعالى: ﴿**وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾[6]. وفي الحديث «**استوصوا بالنساء خيراً فأنهن عندكم عوان**»[7].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**﴾[8]. معناه يفرض

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم الإفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، (بيروت: دار صادر للطباعة، د. ت): ١٥/ ٢٢٧.

(٢) الرازي، زين الدين محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: حمزة فتح الله وآخرين، (بيروت: دار البصائر مؤسسة الرسالة، ٩٨٧ م): ٧٢٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب: ١٥/ ٢٢٧.

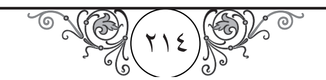
(٤) مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (القاهرة: إحياء التراث العربي، ٢٠٠٧)، ك٣٥: رقم الحديث (١٦٢٧)، ص٧٢٢.

(٥) العايد، أحمد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، (د. م. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د. ت): ١١١٣.

(٦) سورة مريم، الآية: ٣١.

(٧) ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله بن محمد، (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد، (د. م، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، د. ت): رقم الحديث (١٩٧٧٤).

(٨) سورة النساء، الآية: ١١.



عليكم، لأنَّ الوصية من الله تعالى إنَّما هي فرض، والدليل على ذلك[1] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾[2]. والوصايا لغةً جمع وصية وهي من وصى الشيء بالشيء وصياً... أي اتصل، وصى الشيء بالشيء وصله، واستوصى به قبل وصيته[3]. وفي النهاية فإنَّ أفضل أنواع الوصايا، هي الوصية في الحق وفي الصبر، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[4].

الوصية اصطلاحاً:

وتعني تعليماً أو توجيهاً شفهياً أو مدوناً يتوجه به إنسان إلى آخر مبتغياً إلزامه بمضمونه وأخذه بمقتضاه، إذ لها طرفان، الموصي والموصى[5]. وأنْ يطلب الإنسان فعلاً من غيره ليفعلهُ[6]. قال مالك بن محمد القرشي: لما

(١) ابن منظور، لسان العرب: ١٥/ ٢٢٧.

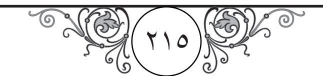
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٣) النحوي، عدنان علي رضا، أدب الوصايا والمواعظ - منزلته - ومنهجهُ - وخصائصه الإيمانية، نشر دار النحوي، (المملكة العربية السعودية - الرياض - ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م): ص٣.

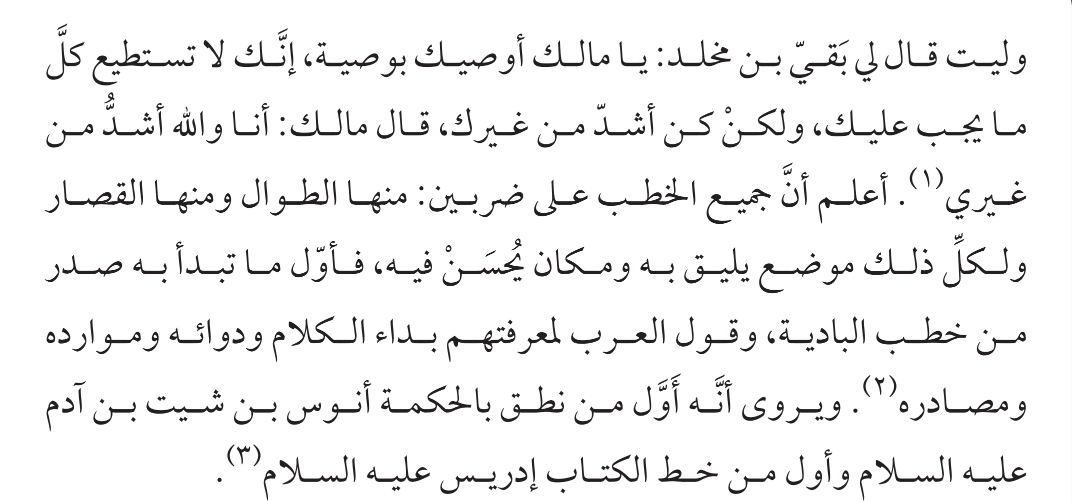
(٤) سورة العصر، الآيات: ١-٣.

(٥) النحوي، أدب الوصايا والمواعظ: ص٣.

(٦) الكبيسي، أحمد، الوجيز في شرح قانون الأحوال الشخصية (الوصايا والمواريث)، (جامعة بغداد: كلية القانون، د. ت): ٢/ ١٣.






وليت قال لي بَقيّ بن مخلد: يا مالك أوصيك بوصية، إنَّك لا تستطيع كلَّ ما يجب عليك، ولكنْ كن أشدّ من غيرك، قال مالك: أنا والله أشدُّ من غيري(١). أعلم أنَّ جميع الخطب على ضربين: منها الطوال ومنها القصار ولكلِّ ذلك موضع يليق به ومكان يُحسَنْ فيه، فأوّل ما تبدأ به صدر من خطب البادية، وقول العرب لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه وموارده ومصادره(٢). ويروى أنَّه أَوَّل من نطق بالحكمة أنوس بن شيت بن آدم عليه السلام وأول من خط الكتاب إدريس عليه السلام(٣).

ولأهمية الخطبة في حياة البشر، فإنَّ الخطب كان يتخير لها الكلام، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم ونطقت بها الأئمة على منابرهم، واستجزلت لها الألفاظ وتخيرت لها المعاني(٤)، لم تعرف الإنسانية رسالة في حياتها اهتمت بالأخلاق والآداب الاجتماعية وبالوسائل التربوية كاهتمام

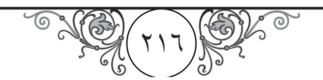
---

(١) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت ٤٠٣ هـ)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه عزت العطار الحسيني، ط٢، (لقاهرة: مطبعة المدني المؤسسة السعودية، ١٩٨٧م): ٢/ ٤.

(٢) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، (ت٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، (بيروت: المطبعة العصرية، ٢٠٠٩م): ٤/ ١٢٤.

(٣) ابن قتيبة، أبو محمد بن مسلم الدينوري، (ت٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٦٠م): ٢٤٠، ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، (ت٣٠١هـ)، الأعلاق النفيسة، وضع حواشيه خليل منصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، (١٩٩٨م): ١٩١.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١/ ٤٨٦.



الرسالة الإسلامية[(١)]، وخير ما ورد من الوصايا هي في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[(٢)]، فالإسلام يَعدُّ الأخلاق أبرز ميزة من مميزات الإنسان وأصدق مظهر من مظاهر إنسانيته الفاصلة بينه وبين الحيوان[(٣)]؛ لذلك قال رسول الإنسانية محمّد صلَّى الله عليه وآله: «**إنّما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق**»[(٤)]، فرسالة الإسلام من خلال الوصايا هي رسالة أخلاقية تهتم بالجانب التربوي من خلال بناء الجانب الأخلاقي بهدف بناء المجتمع الفاضل[(٥)].

ب- الوصية في القرآن الكريم:

القرآن العظيم وهو أعظم المعجزات، وأبهر الآيات، وأبين الحجج الواضحات، لما اشتمل من التركيب المعجز الذي تحدى به الإنس والجن

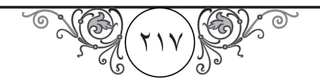
(١) مجموعة من المؤلفين، كتاب الإسلام دين البشرية، ط٢، (د. ط: مؤسسة البلاغ للتأليف والنشر، ٢٠٠٦م): ١٧١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٣) مجموعة من المؤلفين، الإسلام دين البشرية: ١٧١.

(٤) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤م)، ك٢، ب٢٥، رقم الحديث (٣٣): ١٨.

(٥) مجموعة من المؤلفين، الإسلام دين البشرية: ١٧١.



أنْ يأتـوا بمثلـه، فعجـزوا عـن ذلـك مـع توافـر دواعـي أعدائـه عـلى معارضتـه وفصاحتهـم وبلاغتهـم، ثـمَّ تحداهـم بـأنْ يأتـوا بعشر سـور منـه فعجـزوا، ثـمَّ طلـب منهـم التحـدي بسـورة مـن مثلـه، فعجـزوا عنـه[1]، قـال تعـالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقرآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2].

وكلُّ مـا في القـرآن الكريـم مـن أخبـار تاريخيـة ولفتـات كونيـة وعلميـة، وطبيـة وطبيعيـة مهـما مـرَّ الزمـان وتقـدَّم العلـم وارتقـى، لا تنقـص ولـن يـأتي العلـم بـما يعاكسـها، فهـي تنزيـل مهيمـن عليـم، وهـو أعلـم بـما خلـق، فهـي لا تحتمـل الخطـأ مطلقـاً[3]. ونـزل مـن القـرآن الكريـم بمكـة، اثنتـان وثمانـون سـورة، وكان أول مـا نـزل عـلى رسـول الله صلَّى الله عليـه وآلـه[4]. قـال تعـالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[5].

وقـال تعـالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ

---

(١) كنعان، محمد بن أحمد، السيرة النبويّة والمعجزات (خلاصة تاريخ ابن كثير)، ط٣ (بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م): ٤٤٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٣) أبو خليل، شوقي، في التاريخ الإسلامي، (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦م): ٣٤.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، (النجف الأشرف: منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٤م): ٢/ ٣٣.

(٥) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(١)]. وقال الله سبحانه وتعالى لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله فيما أوصاه به من الرفق بالرعية[(٢)]: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ﴾[(٣)]، وفي القرآن الأحكام العادلة أمراً ونهياً، المشتملة على الحِكَمْ البالغة والوصايا التربوية، التي إذا تأملها ذوو الفهم والعقل الصحيح، قطع بأنَّ هذه الأحكام والتوجيهات إنَّما أنزلها العالم بالخفيات الرحيم بعباده، الذي يعاملهم بلطفه ورحمته وإحسانه[(٤)]. قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[(٥)]. أي صدق في الإخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي[(٦)]. قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[(٧)]. وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾[(٨)]. فأبلغ المواعظ كلّها كلام الله تعالى الأعزّ الذي لا يأتيه

---

(١) سورة القلم، الآيات: ١-٤.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١/ ١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

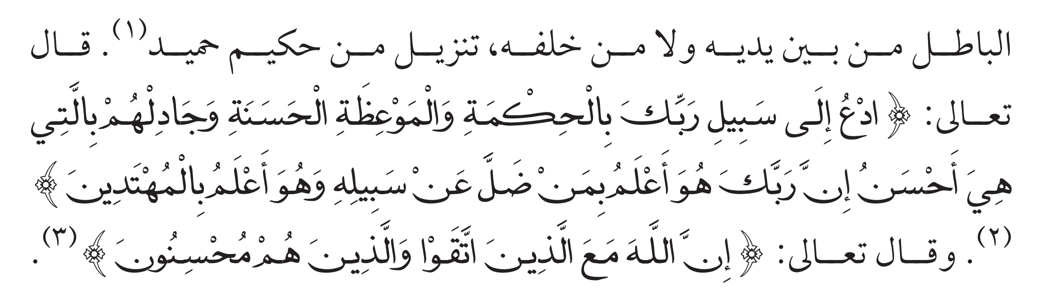
(٤) كنعان، السيرة النبوية والمعجزات: ٤٤٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

(٦) كنعان، السيرة النبوية والمعجزات: ٤٤٩.

(٧) سورة هود، الآية: ١.

(٨) سورة المائدة، الآية: ٤٦٣



الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد[1]. قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾[3].

هدتنا هذه الآيات الكريمة إلى أُسلوب الدعوة وهو الحكمة وتجلت هذه الحكمة في الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة[4]. لقد ذكرت الوصية في آيات كثيرة في القرآن الكريم، ولكنَّها ليست بمعنى واحد، فمنها الوصية بإقامة الدين وعدم التفرق، ونجد ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾[5].

ج- دور النبيِّ محمد صلى الله عليه وآله في رفع المستوى الروحي والأخلاقي للأمة

من طبيعة المجتمعات البشرية أن تكون الحاجة لأزمة بعضهم لبعض، وأنَّ التنازع وارد لتحقيق المصالح وهذا من طبيعة البشر[6]، منذ عصور

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣/ ٨٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٤) الصنهاجي، عبد الحميد بن محمد (ت١٣٥٩هـ)، آثار ابن باديس، تحقيق: عمار الطالبي، (الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ١٩٦٨م): ١/ ١٨٤.

(٥) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٦) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت٤٥٠هـ)، أدب القاضي،

سحيقة، وجعل الله الأنبياء السابقين خلفاء في الأرض، لإقامة شريعة الله في الأرض[1]. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]. فدفع الظلم ونصرة المظلوم واجب شرعي[3]، قال تعالى: ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[4]، وقد جاء الإسلام ليقيم التمدن، وليمحو الفوضى ولينظم شؤون المجتمع الإسلامي[5]، فكان القرشي النبيل، وكان الإنسان الذي عزف عما أُغمس فيه قومه، وكان ذا سيرة فريدة في التاريخ الإنساني كلِّه[6]، وإنَّما كان ذلك متفقاً مع طبائع الأشياء، ذلك بأنَّ محمد بن عبد الله صلَّى الله عليه وآله قبل الوحي كان الصادق، وكان الأمين[7]، وجعلهم يَحكُمونْ في الدماء والأبضاع[8]،

تحقيق: محيي هلال السرحان، (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧١م): ١/ ١٣٥.

(١) ابن الطلاع، أبو عبد الله محمد بن فرج المالكي، (ت ٤٩٧هـ)، أقضية رسول الله صلى الله عليه وآله، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (القاهرة: مطبعة دار الكتاب المصري، ١٩٧٨م): ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، (ت٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العربية، د. ت): ٢/ ٢٨٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٥) القاسمي، ظافر، نظام الحكم في الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، (د. م: د. ط، ١٩٧٨م): ٦.

(٦) المقدسي، مطهر بن طاهر، (ت٣٥٥هـ)، البدء والتاريخ، (باريس: ١٩٠٣م): ٤/ ١٣٤.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١/ ٣٧٧.

(٨) جمع بضاعة، وتأتي في تزويج النساء، استبضع من المرأة: تزوجها. العايد، المعجم العربي

والأمـوال، والحـلال والحـرام وتلـك خطـة الأنبيـاء[1].

وإذا مـا حكمنـا عـلى العظمـة بـما كان للعظيـم مـن أثـر في النـاس قلنـا إنَّ محمـداً صـلَّى الله عليـه وآلـه كان مـن أعظـم عظـماء التاريـخ مـن خـلال رفـع المستوى الروحـي والأخلاقـي لشـعب جزيـرة العـرب[2]. وقـد أوتي رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه جوامـع الكلـم واختـصر لـه الـكلام اختصـاراً، فالآيـة مـن كتـاب الله والأثـر مـن حديـث رسـول الله نجـد فيـه مـن أحـوال الهدايـة، ودقيـق العلـم، ولطيـف الإشـارة في لفـظ قليـل وكلام بـيِّن[3]، لقـد عـرف المسـلمون العـزَّة، ونعمـوا بالسـعادة وأقامـوا صروح العدالـة، وقَوّضـوا قوائـم الظلـم وطمسـوا معـالم الكفـر، وأوقـدوا مشـاعل الإيـمان بهمّـة يتقاعـس عـن دركهـا الزمـن، وعزيمـة لا ينـال منهـا الوهـن[4]، شرع الله عـزَّ وجـلَّ لعبـاده لمـا أنـزل مـن كتابـه ومـا كان مـن بيـان رسـوله مـا فيهـا اسـتنارة عقولهـم وزكاء نفوسـهم واسـتقامة أعمالهـم، وأمـر نبيّـه صـلَّى الله عليـه وآلـه أنْ يدعـو النـاس أجمعـين إلى هـذا السـبيل[5]، قـال تعـالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

الأساسي: ١٦٠.

(١) ابن الطلاع، أقضية رسول الله صلى الله عليه وآله: ١١.

(٢) ول، ديورانت، قصة الحضارة (عصر الإيمان)، ترجمة محمد بدران، ط٣، (د. م، ١٩٧٤م): ١٣/ ٤٧.

(٣) الصنهاجي، آثار ابن باديس: ١/ ٢١٥.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسية (منسوب)، تحقيق: طه محمد زيني، (د. م: مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، د. ت): ١/ ٥.

(٥) الصنهاجي، آثار ابن باديس: ١/ ١٨١.

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[1]، هدتنا الآية الكريمة إلى أُسلوب الدعوة وهو الحكمة وتجلت هذه الحكمة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية[2]، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

المبحث الثاني: بيعة الغدير في وصايا النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

الكلام يكون عن الحادثة أو البيعة عن طريقين، الأَوَّل: عن طريق القرآن الكريم، وهذا يتمثل في هذه الآية القرآنية الشريفة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[4].

والثاني: عن طريق الروايات الواردة عن الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثل حديث «**فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»[5].

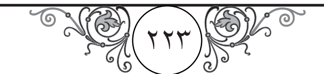
(١) سورة النحل، الآية: ٢٥.

(٢) الصنهاجي، آثار ابن باديس: ١/ ١٨١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٥) الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد لرحمن محمود عثمان، ط٢، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣م): ٥/ ٢٩٧.





وفي حديث آخر عن الرسول الأعظم محمَّد صلَّى الله عليه وآله وكان الراوي تحدث عنه قال: كنا مع رسول في سفر، فنزلنا بغدير خم(١)، فندوي فينا الصلاة جماعة، وكسحَ(٢) الرسول صلَّى الله عليه وآله تحت شجرتين، فصلَّى الظهر وأخذ بيد عليٍّ فقال: «**ألستم تعلمون أنّي أَولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**»، قالوا: بلى، قال: «**ألستم تعلمون أنّي أَولى بكلِّ مؤمن من نفسه؟**»، قالوا: بلى. قال: فأخذ بيد عليٍّ فقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم والِ من ولاه وعادِ من عاداه**»، قال: فلقيه عمر بن الخطاب فقال له: هنياً يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة(٣).

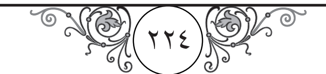
وفي رواية أُخرى أجمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله على الخروج إلى الحج في ستة عشر من مهاجره وأذن في الناس بذلك وقدم المدينة خلق كثير يأتمّون به في حجته تلك التي يطلق عليها (حجة الوداع)، و(حجة السلام)، و(حجة التمام)، ولمَّا رجع رسول الله صلَّى الله عليه وآله من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمن، ثمّ قال: «**كأنّي قد دعيت فأجبت**»، وقال: («**يا أيها الناس إنَّه قد نبأني اللطيف الخبير أنّه لم**

---

(١) خم: بضم الخاء وتشديد الميم اسم مكان بين مكة والمدينة فيه غدير، خطب عنده رسول الله صلى الله عليه وآله: ينظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٥م): ٦/ ٥٩.

(٢) وكُسحَ: أي كنس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ٢٥/ ٥٧١.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ) انساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٤م): ٢/ ٦٩.

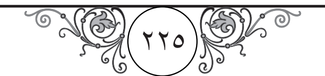


يعمر نبيّ إلَّا نصف الذي يليه من قبله وأنّي لأظن يوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنّي مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ »، قال: نشهد أنَّك بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً، قال: « **أليس تشهدون أنْ لا إله إلّا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ جنته حق وناره حق؟ وأنَّ الموت حق وأنَّ البعث حق بعد الموت وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور؟** »، قالوا: بلى نشهد بذاك، قال: « **اللهم أشهد** »، ثمَّ قال: « **يا أيها الناس إنّ الله مولاي وأنا مولى للمؤمنين وأنا أَولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه** » - يعني علياً عليه السلام - « **اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه** »، ثمَّ قال: « **يا أيها الناس إنّي فرط وأنتم واردون على الحوض حوض ما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد من النجوم أقداح من فضة، وإنِّي سائلكم عن الثقلين كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عزَّ وجلَّ، سبب طرفه بيد الله عزَّ وجلَّ، وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنّه قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض** »)[١].

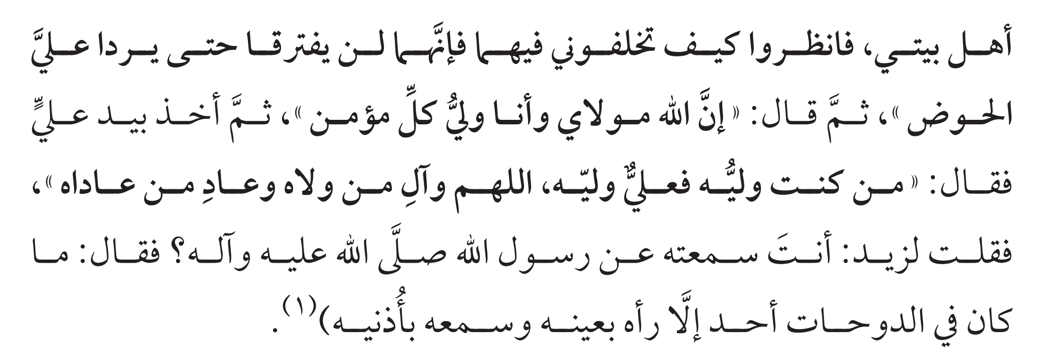
وفي رواية ثالثة تتكلم عن حادثة الغدير وهي: (لَمَّا رجع رسول الله صلَّى الله عليه وآله من حجة الوداع فنزل غدير خم، أمر بدوحات فقمن ثمَّ قام فقال: « **كأنِّي دُعيت فأُجيب، إنِّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي**

---

(١) النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م): ٣/ ١٠٩.






أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، ثمَّ قال: «**إنَّ الله مولاي وأنا وليُّ كلِّ مؤمن**»، ثمَّ أخذ بيد عليٍّ فقال: «**من كنت وليُّه فعليٌّ وليّه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**»، فقلت لزيد: أنتَ سمعته عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلَّا رآه بعينه وسمعه بأُذنيه)(١).

وأيضاً في رواية: أخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله بيد عليٍّ بن أبي طالب فقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب(٢).

انجلى المشهد عن عليٍّ بن أبي طالب وهو متوّج بالولاية والإمارة، فانثال عليه كثيرون يهنئونه دون أنْ تلوح في أُفق ذلك العصر أدنى شائبة تؤثر في نصاعة هذه الحقيقة أو تشكّ فيها، فهذا هو عمر بن الخطاب نهض من بين الصفوف، وقد خاطب الإمام عليّاً عليه السلام بقوله: هنياً لك يا بن أبي طالب! أصبحت اليوم وليَّ كلِّ مؤمن(٣).

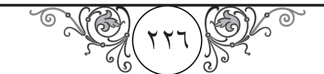
لقد ذكرنا نصوصاً كثيرة، ونودُّ الآن أنْ نسلّط الضوء على بعض

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد بن ملحم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م): ٥/ ٢٦٢.

(٢) الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، (بيروت: الأعلمي، ١٩٧٤م): ١/ ٢٠٠.

(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٥م): ٣/ ٤٣٠.



الحقائق الكامنة في الحديث من خلال دراسة وتحليل محتواه وسنده ودلالته، وذلك في إطار النصوص التي مرَّت ومعلومات أُخرى ستمضي مع هذه الجولة التحليلية من خلال العناوين التالية:

١- سند الحديث:

حديث الغدير من أبرز الأحاديث النبويّة وأكثرها شهرة، صرَّح بصحته بل بتواتره عدد كبير من المحدثين والعلماء[١].

على سبيل المثال: نقل ابن كثير عن الذهبي وصدر الحديث «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**» متواتر أتيقن رسول الله صلَّى الله عليه وآله قاله[٢] (٦٩).

وهناك شهادات عديدة من المحدثين كما ذكرنا آنفاً ونذكر على سبيل المثال لا الحصر منهم: حيث ذكر الحاكم النيسابوري الحديث في موضع من المستدرك على الصحيحين - كما بينا سابقاً - ثمَّ كتب بعد ذلك: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٣]. كما قال في موضع آخر بعد نقل الحديث، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٤].

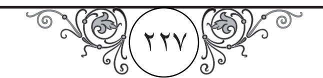
أَمَّا الترمذي فقد ذكر بعد أنْ نقل الحديث في (السنن) هذا حديث

(١) ابن حنبل، فضائل الصحابة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م): ٣/ ٧٣٩.

(٢) البداية والنهاية: ٥/ ٢٦٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٠٩.

(٤) م. ن: ٣/ ١١٠.



حسن[1]. وعند ترجمة الذهبي لابن جرير الطبري، كتب لما بلغه ابن جرير أنَّ ابن داود تكلم في حديث غدير خم، عمل كتاب الفضائل، تكلم على تصحيح الحديث، قلت: رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير، فاندهش له ولكثرة تلك الطرق[2].

وكتب ابن حجر: أمَّا حديث (من كنت مولاه)، فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح حسان[3].

وممَّن أتى عنه نقل الحديث أيضاً ابن عساكر، حيث ذكره في مواضع عدّة من مصنفه، ويكفي أنَّه ذكر له عشرات الطرق في موضع واحد فقط «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وآلِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»[4].

٢- دلالة الحديث:

يظهر ممَّا ذكرناه في بداية البحث وما سنعمل على تفصيله أكثر عبر

(١) سنن الترمذي: ٥/ ٢٩٧.

(٢) الذهبي، شمس الدين أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تذكرة الحافظ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م): ٢/ ٧١٣.

(٣) شهاب الدين محمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري، ط٢، دار المعرفة، (بيروت، د. ت): ٧/ ٦١.

(٤) ابن عساكر، علي بن الحسين (ت ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامية، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م): ٤٢/ ٢٠٧.

نصوص جمّة أنَّ أحداً لم يكن يشكُّ أو يناقش في أنَّ مدلول جملة: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**» إنَّما كان يشير إلى الرئاسة وتولي الأمر، وإلى الإمامة والزعامة، على هذا مضت سنة السلف ومن عاصر الحديث، دون أنْ يفهم أحد ما سوى ذلك، ولا جدال أنّ للفظ (المولى) في اللغة معانيَ أوسع من ذلك، لكن ليس ثمّة شيء من تلك المعاني يمكن أنْ يكون هو المراد، إنَّما المقصود بمدلول الحديث هو الذي ذكرناه سابقاً وفهمه الجيل الأول.

٣- المولى في الأدب العربي:

إِنَّ تفحص النصوص الأدبية القديمة، ودراسة فنون اللغة والتفسير، ليدلُّ دون ريب أنَّ إحدى المعاني الواضحة لـ(المولى) هي الرئاسة، والأَولى بالتصرف في أُمور (المولى عليه) وهي الزعامة والولاية.

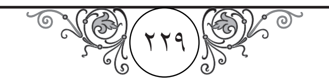
وفيما يلي نستعرض بعض النصوص اللغوية والتفسيرية الدالة على ذلك:

كتب أبو عبيدة معمر[1] في تفسير هذه الآية من كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2] عند قوله ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: أَولى بكم.

وكتب المفسّر والنسّابة المعروف محمد بن السائب الكلبي في تفسير

(١) ابن المثنى التميمي البصري (ت٢٠٩هـ)، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواسزكين، بلا، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ): ٢/ ٢٥٤.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٥.



هـذه الآيـة القرآنيـة المباركـة ﴿قل لَن يصِيبَنا إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] مـا نصـه: أَولى بنـا مـن أنفسـنا في المـوت والحيـاة[2].

وأيضـاً قـال ابـن الأثـير (المبـارك) فقـد كتـب في مصنفـه القيـم (النهايـة) الـذي تنـاول فيـه غريـب الحديـث النبـويِّ وألفاظـه الصعبـة، مـا نصّـه في معنـى المـولى: (قـد تكـرر ذكـر المولى في الحديـث، وهـو اسـم يقـع عـلى جماعـة كثـيرة، وكلّ مـن ولي أمـراً أو قـام بـه فهـو مـولاه ووليـه... ومنـه، الحديـث أيّـما امـرأة نكحـت بغـير إذن مولاهـا فنكاحهـا باطـل، وفي روايـة (وليهـا) أي متـولي أمرهـا، والطريـف أنَّ ابـن الأثـير عـدَّ حديـث الغديـر منطبقـاً عـلى هـذا المعنـى، وقـد استشـهد في ذلـك بـكلام (عمـر بـن الخطـاب): أصبحـت مـولى كلِّ مؤمـن، حيـث قـال: ولي كلِّ مؤمـن[3].

وفي ضـوء مـا تقـدم يتضـح أنَّ (الأَولويـة في الأُمـور) وتـولي الأُمـور والسـيادة والرئاسـة والزعامـة، هـي حقائـق ثابتـة ومعروفـة في معنـى المـوالى، وإنَّ تسـاوي معنـى (المـولى) مـع (الـولي) هـي أيضـاً حقيقـة أكدهـا العلـماء والمفسرون كـما مـرّت الإشـارة لذلـك[4].

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) ابن حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م): ٥/ ٥٣.

(٣) م. ن: ٥/ ٢٢٨-٢٢٩.

(٤) للمزيد من الاطلاع ينظر: الميلاني، علي الحسيني، نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، (بيروت: دار المؤرخ، ١٩٩٥م): ٦/ ١٦.

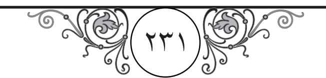
ولذلـك نعتقـد - كـما يتفـق معنـا في ذلـك أيضـاً المنصفـون وأتبـاع الحـق من جميـع الفـرق والمذاهـب[(١)] - (٨٣) أنَّ مـا قصـده رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآله في ذلـك المشـهد العظيـم الخالـد مـن خـلال هـذه الجملـة المصيريـة الخطـيرة، وهـو الإعـلان عـن (ولايـة) عـليٍّ بـن أبي طالـب و(إمامتـه) و(زعامتـه)، وليـس أي شيء آخـر، لقـد أعـدَّ المشـهد وتمّـت تهيئـة ذلـك الحشـد العظيـم لغـرض واحـد فقـط، وهـو إعـلان الولايـة العلويـة للمـرة الأخـيرة عـلى مرأى الجميـع، حتـى لا يقـول قائـل: لم أدر مـا الخـبر؟ أولم أكـن أعلـم بالأمـر ولم أسـمع بـه! لهـذا كلِّـه حـرص النبـيُّ صـلَّى الله عليـه وآلـه عـلى أنْ يأخـذ مـن القـوم العهـد والميثـاق، وأقرَّهـم مـرات عـلى مـا أبلغهـم بـه، حتـى إذا أقـروا لـه، عـاد يخاطـب الجميـع: «ألا فليبلـغ الشـاهد الغائـب»[(٢)].

٤ - كيفية انبثاق المشهد وانطلاق البلاغ:

حـجَّ المسـلمون مـع رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه وهمّـوا بمغـادرة مكـة عائديـن إلى ديارهـم ومواضـع سـكناهم بعـد أن انتهـت المراسـم أفـواج تتلوهـا

(١) من الحري أنْ نشيد بالباحث المصري الجاد محمد بيومي مهران أستاذ جامعة الإسكندرية الذي سلَّم بهذه الحقيقة دون أدنى تردد، وسجل صراحة أنَّ المعنى بـ(المولى) جزماً هو الأَولى بالتصرف ينظر: الإمامة وأهل البيت: ٢/ ١٢٠. وللمزيد من الاطلاع مراجعة موسوعة الغدير للسيد محسن الأميني حيث أثبت فيها طرقاً عديدة بل كثيرة عن طريق جمهور المسلمين تروي لنا حادثة الغدير.

(٢) ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد، الفصول المهمة، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٨م): ٥٣.



أفواج، كذلك مضت قافلة رسول الله صلَّى الله عليه وآله ترسل خطاها الثابتة صوب المدينة، اقتربت القافلة النبوية من (وادي خم) (وهو وادٍ موصوف بكثرة الوخامة وشدة الحر)(١)، فجاء وحي السماء من فوره يأمر النبيَّ أنْ يقف حيث هو، وراح منادي رسول الله صلَّى الله عليه وآله يأمر من تقدم أنْ يعود ويحسب من تأخر ليجتمع الناس سواء في مكان واحد حيث لم تتشعب بهم الطرق بعد أرض جرداء غير مسكونة مفتوحة على الصحراء ممتدة الشمس فوق الرؤوس حارة لاهبة، وقد أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله أن يصنعوا له موضعا يرتقيه من أقتاب الإبل حتى إذا خطب بالحاضرين يراه الجميع ويسمعونه احتشد المكان بعشرات الألوف، أدى النبيُّ صلاة الظهر ثمَّ راح يستعدُّ لإلقاء خطابه بعد أنْ أمرهم بالتجمع، وكانت الأعداد مختلفةً حسب الروايات(٢).

٥- محتوى الخطبة:

إِنَّ الطريقة التي بدأ بها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله خطبته، وكيفية إدامتها التي اختار بها عرض الموضوع، النسق الحماسي المؤثر الذي شاب كلمات الرسول، وذلك الإيقاع المحترف الأخاذ في كلماته، كلُّ ذلك لا يدعُ مجالاً

(١) ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق: د. إحسان عباس، ط٥، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٩م): ٥/ ٢٣١.

(٢) الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد (ت١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية، (بيروت: دار الكتب، ١٣١٠هـ): ٣/ ٣٦١.

للشـك في أنَّ الموضـوع أهـم وأخطـر بكثـير ممَّـا تصـوره بعضهـم[١].

لقـد جـاءت كلـمات النبـيِّ: (كما مـرَّ في الخطبـة المذكـورة آنفـاً): «**إنِّي مسـؤول وأنتـم مسـؤولون**»[٢]، لتلقـي شـحنة مركـزة وقوية عـلى المسـؤولية العامـة الملقاة عـلى عاتـق الجميـع، وكأنَّـه صـلَّى الله عليـه وآلـه يقـول: أنـا مسـؤول أنْ أصـدح بالحـق وأهتـف بالحقيقـة كـما هـي، وأنتـم مسـؤولون أنْ تصفـوا وتتأملـوا ثـم تفعلـوا.. إلى آخـر كلامـه في الخطبـة. فقـال: «**مـن كنـت مـولاه فهـذا مـولاه**»، أو «**فعـليٌّ مـولاه**»[٣].

٦- تتويج علي ليوم الغدير:

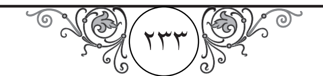
هــو ذا نبــيُّ الله صــلَّى الله عليــه وآلــه يضــع عمامتــه عــلى رأس عــليٍّ عليــه السـلام ليـزداد المشـهد هيبـة وجـلالاً، فهـو بحـق، نـور عـلى نـور.

لا ريـب أنَّ القلـوب تمـوج بمشـاعر مختلفـة لمـا حصـل، مـا الخـبر؟ عـليٌّ أصبـح خليفـة النبـيِّ؟ لم يكـن قلـة أولئـك الذيـن تجاهلـوا كلَّ جهـود النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه ومـا بذلـه في سـبيل هـذا الأمـر منـذ أول أيـام بعثتـه حتـى هـذه الحظـة، ومـا كان إصرارهـم عـلى العنـاد قبـلاً؛ لـذا شـعر النبـيُّ أنَّ مهمتـه لم

(١) النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٠٩. الهيثمي، نور الدين علي (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٩٩٤م): ٣/ ١٦٢.

(٢) النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٠٩.

(٣) ابن حنبل، فضائل الصحابة: ٢/ ٨٧٨.



تكتمل بعد، فلا بُدَّ من المزيد إمكاناً في ترسيخ الأمر، وإبلاغاً في الحجة.

نادى على عليٍّ عليه السلام، وتوج رأسه بعمامته (السحاب)، لقد ألفت أعراف ذلك العصر تتويج من يتسنم زمام الحكم، وعلى هذا جرى الملوك والأُمراء، والآن هو ذا رسول الله وقد نصب علياً للحكم، ويضع على رأسه العمامة؛ لأنَّ العمائم تيجان العرب(١)، كما حدثوا عن ثقافة ذلك العصر أنَّ العرب عندما كانوا ينتخبون شخصاً للإمارة ويسودونه عليهم، كانوا يضعون على رأسه «عمامة» في سلوك كان يدلُّ على تثبت الحاكمية والولاية(٢).

٧-اعتراف الصحابة:

لم يكن من الصحابة في ذلك العصر مَن فهم مِنْ الكلام النبويِّ غير دلالته على مفهوم الإمامة والقيادة، حتى مرضى القلوب أظهروا الذي أظهروه لضعف اعتقادهم، وإلَّا لم يشك منهم أحد قط في مدلول الكلام النبويِّ ومعناه. كان هناك على الدوام من يطلق على الإمام عليٍّ عليه السلام عنوان المولى، ويخاطبه ويسلِّم عليه، وعندما كان الإمام عليٌّ عليه السلام يستوضح هؤلاء ويسألهم عن هذا الاستعمال، كانوا يجيبونه سمعنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله يوم غدير خم يقول: «**من كنت**

(١) ابن سلامة، القاضي أبو عبد الله محمد القاضي (ت٤٥٤هـ)، مسند شهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (بيروت: د. ط، ١٩٨٥م): ص٧٥.

(٢) الزبيدي، محب الدين أبو فيص السيد محمد (١٢٠٥هـ)، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤): ١٧/ ٦٠٥.

مـولاه فـإنَّ هـذا مـولاه»[1]، وقـد أكّـد عمـر بـن الخطـاب بنفسـه هـذه النقطـة مـرات، وفعـل ذلـك عـدد آخـر مـن الصحابـة أيضـاً.

والسـؤال: هـل أراد هـؤلاء بمناداتهـم عليـاً بالمـولى اسـتناداً إلى الواقعيـة والى مدلـول حديـث الغديـر، هـل أرادوا بذلـك (الحبيـب) و(النصـير)؟ إنَّ الجنـوح إلى مثـل هـذا الفهـم لا تـبرره إلَّا الـلا أباليـة كـما ينـمّ عـن عـدم الانصيـاع إلى أبسـط الحقائـق اللغويـة والبيانيـة وأوضحهـا.

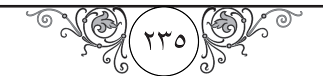
٨-مناشدة الصحابة:

عندمـا رأى الإمـام عـليٌّ عليـه السـلام أنَّ الجهـاز السـياسي الحاكـم راح ينتهز الفرصـة في تجاهـل الواقعـة وكتمانهـا، بـادر إلى أُسـلوبٍ فاعـلٍ لمواجهـة ذلـك، لم يلجـأ الإمـام إلى مواجهـة الوضـع الجديـد عـلى أسـاس صِدامـي مبـاشر ولم يـرَ مـن المناسـب أن يلتحـم في معركـة حاميـة تثـير الفتنـة والاضطـراب لأسـباب كان يقدرهـا.

وقـد اشـتهرت في تصانيـف المحدثـين والمؤرخـين بـ(المناشـدة) وقـد حصلت بوفـرة سـواء في عهـد عزلـة الإمـام أم في عـصر خلافتـه، لكـي لا يضيـع الحـق عـلى الجيـل الجديـد، ولا تلتبـس عليـه الحقيقـة.

مـن ذلـك مـا ذكـروه، مـن أنَّ الإمـام حـضر في مجتمـع النـاس بالرحبـة في الكوفـة واستشـهدهم بحديـث الغديـر، حيـث قالـوا إنَّ عليـاً عليـه السـلام

(١) ابن حنبل، فضائل الصحابة: ٢/ ٨٧٨. النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١١٠.



قال في الرحبة «أُنشد الله كلَّ أمرئ مسلم سمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله يوم غدير خم يقول ما قال»، قال: فقام ثلاثة عشر رجلاً من جانب، وسبعة من جانب فشهدوا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وأنصر من نصره**»[1].

واقعة الغدير في القرآن الكريم:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2]. نزلت هذه الآية الشريفة يوم الثامن عشر من ذي الحجة (سنة حجة الوداع) أي في السنة العاشرة للهجرة لَّما بلغ النبيُّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله غدير خم أتاه جبريل بها[3].

٢- ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[4].

(١) ابن حنبل، مسند أحمد: ١/ ٨٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٢/ ٢١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، الدر المنثور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م): ٢/ ٢٩٨. ابن الصباغ، الفصول المهمّة: ٥٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

وقال السيوطي[1]، أخرج ابن عساكر[2]، عن أبي سعيد الخدري، قال: لَمَّا نصب رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السَّلام) يوم الغدير فنادى له بالولاية، هبط جبريل بهذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3].

٣- وأيضاً من الآيات النازلة بعد نصِّ الغدير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[4].

تتحدث هذه الرواية عن أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله لَمَّا كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد عليٍّ عليه السَّلام وقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، فشاع ذلك في أقطار البلاد، وبلغ الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله صلَّى الله عليه وآله على ناقته فأناخ راحلته ونزل منها .

وقال: يا محمد أمرتنا عن الله عزَّ وجلَّ أنْ نشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأنّك رسول الله، فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه، وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلناه، وأمرتنا بالحج، فقبلناه، ثم لم ترضَ بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمّك تفضله علينا، فقلت: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**» فهذا شيء منك أم من الله عزَّ وجلَّ؟! فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله:

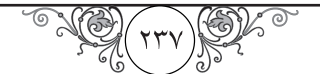
---

(١) الدر المنثور: ٣/ ١٩.

(٢) تاريخ دمشق: ٤٢/ ٢٣٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) سورة المعارج، الآيات: ١-٣.





«والذي لا إله إلَّا هو إنَّه من الله عزَّ وجلَّ»، فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول (اللهم إنْ كان ما يقول محمّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عزَّ وجلَّ بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله، فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[(١)].

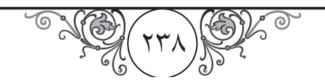
أمَّا الحوادث أو المناسبات التي تكلم فيها الرسول الكريم صلَّى الله عليه وآله عن الإمام عليٍّ عليه السلام وأثبت فيها أنَّه -أي الإمام عليّ عليه السلام- هو أَولى الناس بالمؤمنين من بعده، فهذا الصحابي بريدة الأسلمي، قال: (غزوت مع عليٍّ إلى اليمن... إلى أنْ قال: فقدمت على رسول الله صلَّى الله عليه وآله فذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله يتغير، فقال: **«يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»** قلت: بلى يا رسول الله، فقال: **«من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»**، وذكرت الحديث أي حديث بيعة الغدير)[(٢)].

وعن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «لَمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلَّى الله عليه وآله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[(٣)]، دعاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال لي: يا عليُّ، إنّ الله أمرني أنْ أُنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنّي متى أُباديهم بهذا الأمر أرى منهم

(١) ابن الصباغ، الفصول المهمة: ٥٥.

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد: ٣٨/ ٤٢. النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١١٠.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.



ما أكره، فصمت عليه حتى جاءني جبريل فقال: يا محمد إنَّك إلَّا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن، ثمَّ اجمع لي بني عبد المطلب حتى أُكلمهم وأُبلغهم ما أُمرتُ به، ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلمَّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به فلمَّا وضعته تناول رسول الله صلَّى الله عليه وآله حذية - أي شريحة - من اللحم فشقها بأسنانه ثمَّ ألقاها في نواحي الصفحة، ثمَّ قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلَّا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفس عليٍّ بيده إنْ كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثمَّ قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله إنْ كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلمَّا أراد رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنْ يكلمهم بدرهُ أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فقال: الغد يا عليُّ، إنَّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أُكلمهم، فعدَّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثمّ اجمعهم إليَّ، قال: ففعلت ثمّ جمعتهم ثمّ دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثمَّ قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثمَّ تكلم رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال: يا بني عبد المطلب إنِّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل

ما قد جئتكم به، إنِّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أنْ أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أنْ يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنه جميعاً، وقلت وإنِّي لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»[1].

المبحث الثالث: الغدير ودوره في تعزيز مقومات السلم المجتمعي

أ- ماهية السلم المجتمعي:

السلم في اللغة: السلم ضدَّ الحرب[2] والسلم والسلام والمسالمة واحد وهو الصلح، والسلم: المسالم: تقول: أنا سلم لمن سالمني[3]، ومنه قول الأعشى:

أذقتهم الحرب أنفاسها   وقد تكره الحرب بعد السلم[4]

---

(١) ابن حنبل، مسند أحمد: ١/ ١١١-١٥٩.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (إيران: دار الهجرة، ١٤٠٥هـ): ٧/ ٢٦٦.

(٣) الصاحب بن عباد، إسماعيل (ت٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٤م): ٨/ ٣٣٣.

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م): ٥/ ١٩٥١.

إنَّ السلام في لغة العرب أربعة أشياء فمنها: سلمت سلاماً مصدر سلمت، ومنها السلام جمع سلامة، ومنها السلام اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، ومنها السلام شجر[١]، وفي الحديث الشريف: أسلم سالمها الله[٢]، قال ابن منظور: (هو من المسالمة وترك الحرب)، ثمَّ تابع قائلاً: (والسلام: التحية، كانت العرب في الجاهلية يحيون بأنْ يقول أحدهم لصاحبه: أنعم صباحاً وأبيت اللعن، ويقولون: سلام عليكم، فكأنَّه علامة المسالمة وأنَّه لاحرب هنالك، ثمَّ جاء الله بالإسلام فقصروا على السلام)[٣].

السلم في الاصطلاح له معنيان: الأوَّل غياب الخلاف والحرب، وهذا المعنى الشائع في العديد من الكتابات، إذ يرى الباحثون في مجال العلاقات الدولية أنَّ السلم يعني غياب الحرب، وفي المجتمعات الإنسانية يعني السلم غياب كلِّ ما له علاقة بالعنف مثل الجرائم والنزاعات العرقية أو الدينية أو الطائفية التي غالباً ما ترجع أسبابها إلى اعتبارات اقتصادية أو سياسية[٤].

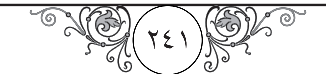
والمعنى الثاني الاتفاق والانسجام والهدوء، وعليه فإنَّ السلام لا يعني

(١) الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، القاهرة: مكتبة الآداب، د. ت): ٣٩.

(٢) الأزهري، محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: نخبة من العلماء، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف، ١٩٦٤م): ١٢/ ٤٤٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب: ٤/ ١٢٢.

(٤) الأصفهاني، الحسن بن محمد الراغب (ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، (دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ): ١/ ٤٢١.



فقط غياب العنف بأشكاله كافة، ولكنَّه يعني أيضاً صفات إيجابية مرغوبة في ذاتها[1]، وبناءً عليه فإنَّ السلم هو فترة من الانسجام بين مختلف الفئات الاجتماعية التي تتميز بعدم وجود العنف أو سلوكيات الصراع والتحرر من الخ.

- معنى السلم المجتمعي:

إنّ المجتمع ليس مجرد كمية من الأفراد، وإنَّما هو اشتراك هؤلاء الأفراد في اتجاه واحد، وهو ما يستلزم وجود مجموع أو شبكة العلاقات الاجتماعية الضرورية لأداء العمل الاجتماعي المشترك، فالمعلوم أَنَّ أَوّل عمل يؤديه مجتمع معين في طريق تغيير نفسه مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات، وعلى هذا نستطيع أنْ نقرر أنَّ شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الأوّل الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده[2]، فكلُّ مجتمع يتكون من مجموعة من البشر المختلفين بالضرورة عن بعضهم البعض، سواء في انتمائهم الديني أو المذهبي أو موقعهم الاجتماعي أو الوظيفي، ولكنْ يجمعهم جميعاً ما يمكن أنْ نطلق عليه عقد اجتماعي غير مباشر، وهو في حقيقته تعبير عن حالة توازن بين الأطراف المجتمعية المختلفة في المصالح والقوة والإمكانات والإرادات، ويتم الحفاظ على هذا التوازن بقوة القانون والشرعية، ويعدُّ هذا العقد المرجعية التي تعود إليها

(١) الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ)، التعريفات، (بيروت: دار الكتب، ١٩٨٣م): ١٠.

(٢) ابن نبي، مالك، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (الجزائر: دار الفكر، ١٩٨٦م): ٢٨.

الأطراف لحلِّ المشكلات، إذ يتعلق بالقيم والمعايير والمشاعر والاتجاهات، وما هو متفق عليه ضمنياً بين مختلف الأطراف، فيبعث الخروج عليه على الاستنكار، في حين أنَّه إذا كان هذا العقد يجري على أرض الواقع دون مشكلات فإنَّ مؤداه عندئذٍ تحقيق السلم المجتمعي[1].

وعليه فإنَّ السلم المجتمعي هو توافر الاستقرار والأمن والعدل الكافل لحقوق الأفراد في مجتمع ما أو بين مجتمعات أو دول[2]، ويعدُّ السلم المجتمعي مرادفاً لمفهوم السلم الأهلي الذي يعني أنْ يعيش الإنسان حياته ويمارس أعماله بحرية مسؤولة، وأنْ يحصل على متطلبات عيشه وحقوقه بيسر وسهولة، دون أنْ يخشى الاعتداء على حقه أو ماله أو على أمنه الشخصي أو أمن أهله[3].

بناءً على ما تقدم يمكن تعريف السلم المجتمعي بأنَّه الهدوء والاستقرار الذي يسود المجتمع بمختلف فئاته وشرائحه ممَّا يولد حالة من الانسجام والوئام والتوافق نابعة من شعور الإنسان بأمنه الاجتماعي.

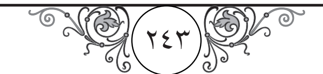
ب- تعزيز العدالة الاجتماعية:

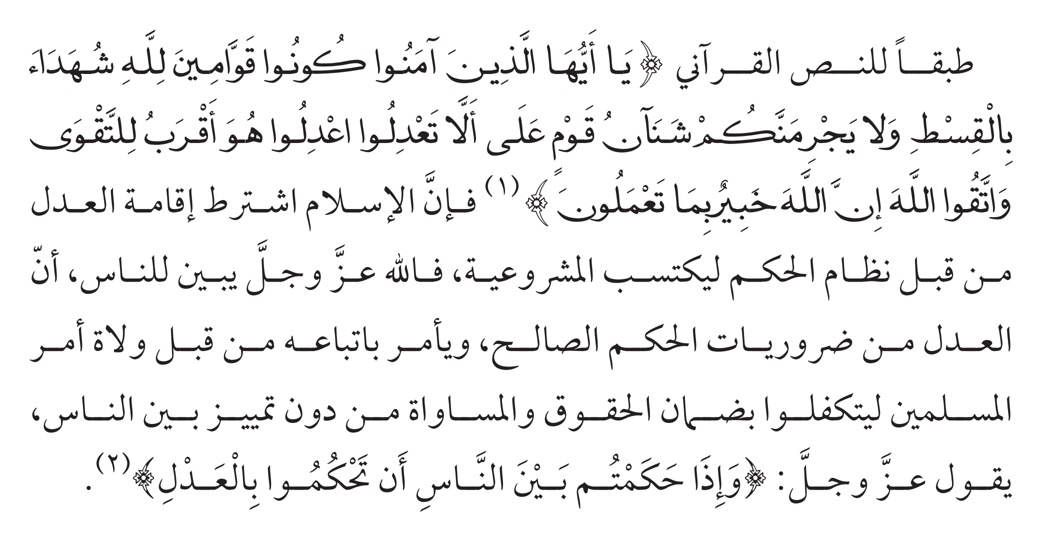
---

(١) البازياني، محمد سيد نوري، مفهوم السلم في الفكر الإسلامي، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧م): ٤٣.

(٢) الغروي، محمد، السلم الاجتماعي في القرآن والحديث، (بيروت: دار الأضواء، ١٤١١هـ): ١٨.

(٣) عامر، نريمان، عوامل السلم الأهلي والنزاع الأهلي، (دمشق: مركز المجتمع المدني والديمقراطية، ٢٠١٣م): ٧.





طبقاً للنص القرآني ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] فإنَّ الإسلام اشترط إقامة العدل من قبل نظام الحكم ليكتسب المشروعية، فالله عزَّ وجلَّ يبين للناس، أنّ العدل من ضروريات الحكم الصالح، ويأمر باتباعه من قبل ولاة أمر المسلمين ليتكفلوا بضمان الحقوق والمساواة من دون تمييز بين الناس، يقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[2].

فالتشريع الإلهي ينهى عن الظلم والبغي والطغيان، الذي يتعارض مع العدل الإلهي الذي يقود الإنسان إلى الحقِّ والخير والإحسان ويبني مجتمع الفضيلة، والشريعة تنظر لجميع الأفراد في المجتمع على أنّهم متساوون كأسنان المشط في سائر حقوقهم كما جاء في الحديث الشريف[3] ويبيّن رسول الله صلَّى الله عليه – وآله –، منزلة الإمام العادل عند الله عزَّ وجلَّ: **«إنّ أَشدَّ النّاس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله»**[4].

فلأنّ العدل من موجبات الولاية ومن شروط الحكم، فمن الطبيعي أنْ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٣) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣/ ٥٢٢.

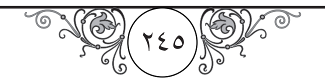
(٤) النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م): ٢/ ٤٠٦.

يلتزم الإمام عليٌّ عليه السلام به، وهو فرع من الشجرة النبويّة المباركة، بإقامة العدل على وفق مصادر التشريع الأصيلة للكتاب والسنة ويجعل منهجه على أُسس قوية مترابطة، فقد تعامل مع التكاليف الشرعية المفروضة على المسلمين على أساس العدل والمساواة وطبّقها على الجميع بدون استثناء ومن غير محاباة أموالهم وتقنياتهم وليس على أيِّ أساس آخر(١).

إنّ تحقيق العدالة الاجتماعية يعتمد على أُسلوب اللطف والشفافية مع الرعية، إلَّا أنّ الإرث الثقيل الذي واجهه الإمام عليه السَّلام في بداية خلافته، والمتمثل بالنزاعات الاجتماعية والصراعات الطبقية جعلته يتخذ إجراءات صارمة في مجال العدالة الاجتماعية ويستخدم طرقاً حازمة لا يقبل فيها التردد والمساومة لتحقيق مصالح الأُمَّة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فقد عمل بجهد كبير لتضييق التفاوت الاجتماعي، من خلال محاولته تنقية النفوس ممَّا علق بها من شوائب وأدران من يسعى محموماً للاستحواذ على الثروات والحصول على الأموال الضخمة، ودعوته المخلصة إلى سلوك سبل الرشاد والهداية لنيل رضا الله سبحانه وتعالى والأُمّة الإسلامية؛ لذلك بدأ عهده بالمساواة في العطاء الذي كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله يساوي فيه بين المسلمين أيّاً كان موقعهم أو دورهم في الإسلام، فكان يعطي علياً عليه السلام الذي عرف بمآثره الجهادية وفضله في تثبيت أركان الدين ونشر العقيدة، مثلما يعطي للذين لم يكن

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف:٥/ ٢٥.



لهم مجهود متميز، على قاعدة المساواة الشرعية بين المسلمين[1].

فأمير المؤمنين عليه السلام لم يميز أحداً من ذوي رحمه وأقاربه في العطاء عن المسلمين عامة، كما كان الحال في زمن أبي بكر وعمر، وعندما آلت السلطة على رقاب الناس إلى عثمان بن عفان دفع باجتهاد عمر إلى حدود تجاوزت نهج من كان قبله من الحكّام، فقد خصّ أقاربه وأتباعه من بني أُميّة بأموال ضخمة لا عهد للعرب بها في ذلك العصر، ومن بينهم من كان مطروداً من قبل رسول الله صلَّى الله عليه وآله ومهدور الدم مثل الحكم بن أبي العاص عمّ عثمان بن عفّان الذي أعطاه مائة ألف وأعطى ابنه مروان بن الحكم أرض فدك وخُمس أرمينيا ومائة ألف.

فقد وجد أمير المؤمنين عليه السلام نفسه أمام هذا الواقع المعقّد وأمام انقسام طبقي حاد وتفاوت اجتماعي واسع أحدث تغييراً كبيراً في تركيبة البناء الاجتماعي والاقتصادي.

لقد شمل هذا التحول المادي تبدلاً في الحالة النفسية للمجتمع عما عرفه في عهد الرسول صلَّى الله عليه وآله عنه، فاقتضت الضرورة بذل جهود استثنائية وبأقصى طاقة ممكنة، لإبراز هيبة الدولة وإظهار مقدرتها في التصدي لأسباب النزاع الاجتماعي، ممَّا يتطلب تقليص التفاوت وإزالة الفوارق داخل المجتمع، فكان الإمام عليٌّ عليه السلام يرى أنَّ معالجة هذه المشكلة تبدأ بالمساواة في العطاء، فهو ينسجم مع مضمون العقيدة

(١) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك ط٤، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٣م): ٣/ ١٠٨-١٠٩.

وجوهرها والشريعة في تحقيق العدل الاجتماعي، فلا فرق عنده بين إنسان وآخر بسبب الأصل أو الجنس أو العرق، بل هم إخوة في الإيمان كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[(١)].

فلم يفرق بين عربي وموالٍ ولا بين سيد وعبد ولا بين من أسلم قديماً وحديثاً، وعندما حاول أصحابه تليين موقفه من هذا الموضوع إرضاءً لقريش، قال لهم: «**ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعفه في الآخرة، ويكرمه في النّاس ويهينه عند الله، ولم يضع امرئ ماله في غير حقّه ولا عند غير أهله إلّا حرّمه الله شكره**»[(٢)].

يتضح من ذلك بشكل لا يقبل التأويل، أنّ توزيع الإمام للعطاء مبنيٌّ على أساس العدالة والمساواة بين جميع الناس من دون امتياز لأحد على الآخر، ويرى فيها معالجة جذرية للخلل البنيوي الاجتماعي السائد آنذاك، وفي ذلك يقول: «**فأمّا هذا الفيء فليس لأحد فيه على أحد أثرة، قد فرغ الله عزَّ وجلَّ من قسمه، فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون**»[(٣)]، وقد حدد أصحاب العطاء من المشمولين به قائلاً: «**ألا إنّه من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، وشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، أجرينا عليه أحكام القرآن وأقسام الإسلام**»[(٤)].

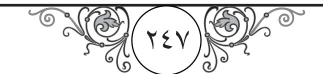
---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) عبدة، محمد، شرح نهج البلاغة، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٦م): ٢/ ٦-٧.

(٣) عبده، شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢١٥.

(٤) المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، (القاهرة: د. ط، ١٩٦٤م):



وفي الوقت الذي كان الإمام عليٌّ عليه السلام يتصرف بثبات الموقف وسداد الرأي وصواب العمل، فإنّه كان يعلم أنّ سياسته هذه لا تلبي مطامع ذوي الثراء ولا تنسجم مع مصالح ذوي النفوذ؛ ولذلك كان يقول: «**إنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق**»(١).

إنّ تلك العدالة الاجتماعية وضع أُسسها سيد الموحدين عليٌّ عليه السلام التي تنتشر بها الفضيلة ويعمّ فيها الخير على الأُمَّة على أساس من العدل والمساواة وإعطاء الحقوق، فهل شهدت البشرية مثلها على مدى تاريخها الطويل؟ كما يروى أنَّ ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار جاء إلى عمِّه الخليفة طالباً منه بخشوع أنْ يعينه على نفقته؛ لأنَّه لا يملك سوى دابته ليبيعها، فيقول له أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا والله لا أجد لك شيئاً إلَّا أن تأمر عمَّك أن يسرق فيعطيك!**»(٢).

ففي مفهوم الإمام عليٍّ عليه السلام إعطاء ابن أخيه من بيت المال بما يتجاوز حقّه يعني السرقة، وفي حادثة شهيرة له وقعت مع أخيه الأكبر عقيل، فقد روي أنّ عقيلاً كان ضريراً أتى أخاه أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس ليلاً استوقد مصباحاً لمتابعة شؤون الرعية، فلمَّا دخل عليه عقيل وبدأ بالحديث معه أطفأ المصباح، قائلاً له إنَّ المصباح يضيء

.٥١٤

(١) عبده، شرح نهج البلاغة: ٣/ ١١٥-١١٦.

(٢) ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧م): ١/ ١٨١.

بزيت المسلمين فاستعماله يكون عند النظر في أُمورهم، أمَّا وإنَّنا ننظر في شؤوننا الخاصة، فيجب أنْ لا نسرق من مال الرعية شيئاً، فنحن محاسبون عليه، وعند الاستفسار من عقيل عن سبب مجيئه في ذلك الوقت قال له: يا أمير المؤمنين أنت تعرف مقدار عائلتي وما أُعانيه لسببهم وإنّي استدنت مائة ألف درهم، وحان وقت سدادها، فأتيتك لتقرضني كي أُعيد الأموال إلى أهلها، فقال له الإمام عليٌّ عليه السلام: «**أنت تعلم يا عقيل أنّي لست أملك شيئاً، ولكن انتظر حتى آخذ رزقي من بيت المال، فأعطي أهلي ما يكفيهم من قوتهم، وأعطي لك ما يفضل منه**».

فقال عقيل متعجباً: يا أخي أنت أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وخازن بيت مالهم، ألا تستطيع أنْ تعطيني ما سألتك؟! وهنا أدرك مقصد عقيل، فخرج إلى فناء الدار وسخن قضيب حديد وأتى به ووضعه على راحة يد عقيل، الذي استشاط ألماً كالملدوغ، فيقول له الإمام عليه السلام: **أخي عقيل تتألم من نار أعدّها إنسان لأخيه ولا تخاف على أخيك من نار أعدّها إله للجبارين والخائنين والمارقين وقودها الناس والحجارة**[(١)].

بهذا الشكل المثالي يعمل الإمام عليٌّ عليه السلام وعلى وفق هذا الخط من العدالة كان يرسم منهجاً جهادياً لتطبيق الحكم في المجتمع الذي يقوده، وهنالك صور أُخرى تتناول سيرته الإنسانية في الرعية، فعندما كان خليفة المسلمين بيده خزائن الأرض وكنوزها، يمرُّ بضائقة

(١) الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم، الغارات، تحقيق: جلال الدين الآرموي، ط١، (طهران منشورات آنجمن آثار ملي، ١٣٩٥هـ): ٦٩.



مالية فيرى أطفاله يتضرعون جوعاً ويضطر إلى بيع سيفه الذي لا يملك شيئاً سواه، والذي طالما كشف به الكرب عن المسلمين وذبّ به عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله في أشدِّ المواقف حراجة، يشتري بثمنه طعاماً لعائلته[١]، ومع كلِّ هذا الزهد والتواضع من قبل خليفة المسلمين إلَّا أنَّ أهل المصالح والمنافع الدنيوية من الذين تعوّدوا المكاسب والامتيازات التي لا يستحقونها سوى بالأثرة والتعالي على الآخرين، فإنَّهم تألبوا عليه وأنكروا سياسته العادلة مع الرعية ومنهجه في الحقِّ والمساواة، ممَّا دفعه إلى تنبيههم وتحذيرهم بين الفينة والأُخرى قائلاً لهم: «**أيّها النّاس فلا تقولن رجال قد كانت الدنيا غمرتهم، فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا آخر الدواب، ولبسوا ألين الثياب، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إن لم يغفر لهم الغفار، إذ منعتهم ما كانوا فيه يخوضون، وصيرتهم إلى ما يستوجبون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: ظلمنا ابن أبي طالب، وحرمنا ومنعنا حقوقنا، فالله عليهم المستعان**»[٢].

إلَّا أنَّ هذا النّصح لم ينفع القوم فقد سدوا آذانهم عن صوت الحق، وأصرّوا على التمايز والأثرة، فاختاروا طريق المواجهة وساروا عليه حتى سفكوا كثيراً من دماء المسلمين بدءاً من البصرة، وتسببوا في حدوث انقسام خطير في الأُمَّة وشتتوا جهودها، لكنَّ كلَّ ذلك لم يثنِ الإمام عليّاً عليه السلام عن تمسكه بالعدل الذي اختاره لسياسته الاقتصادية

(١) ابن أبي الحديد، نهج البلاغة: ٢/ ١٨٣.
(٢) المحمودي، نهج السعادة: ٣/ ٢٢.

والاجتماعية، دون أنْ يلتفت إلى تهرج الناقمين وسوء ظن المناوئين رغم المرارة التي كان يشعر بها من سلوك أولئك الذين وصفهم الله تعالى بالظالمي أنفسهم، كما أنّه لم يبالِ لموقف الذين اتخذوا الحياد بين الحقِّ والباطل فأحاطت بهم الغشاوة لرؤية طريق الهدى فكانوا من المقتصدين في فعل الخير، واكتفى بأولئك السابقين للخيرات الذين ساندوه وآزروه في تلك المحنة التي حلَّت بالأُمَّة، ووقفوا إلى جانبه وهو مستمر في تقسيم العطاء بالسوية ولا يدخر في بيت المال شيئاً مهما صغر شأنه، فقد روي عن ابن سلام قوله (دخل عليٌّ على بيت المال وسخر منه وقال: «**لا أُمسي وفيك درهم**»)(١).

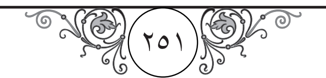
فكان كلَّما جاءه مال وزّعه بين المسلمين ويقال عنه إنّه (أعطى العطاء في السنة الواحدة ثلاث مرات، ثمّ أتاه مال من أصفهان فقال: «**اغدوا إلى عطاء رابع، إنِّي لست لكم بخازن**»)(٢).

يبدو أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام يتحرّج من إبقاء الأَموال مكدّسة في بيت مال المسلمين فيسرع إلى تقسيمها وتوزيعها على مستحقيها، دفعاً للشبهات التي قد تصيب العاملين على الأموال وتنزيهاً لهم، إذ ربما يضعف بعضهم أمام مغريات المال عندما يتم تداوله لمبالغ ضخمة تصل في بعض الأحيان ثروات عظيمة يصعب حصرها بسهولة، مع وجود

---

(١) ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ)، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، (بيروت: دار الفكر، ٢٠١٠م): ٢٧١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٧١.



المحتاجين لهذه الأموال من الرعية الذين لا يجدون ما يسدُّ رمقهم أو مؤونة عوائلهم كالفقراء والمعوزين، وهذا يظهر الحسَّ الإنساني المرهف الرقيق للإمام عليٍّ عليه السلام وشعوره بالمسؤولية الاجتماعية الملقاة على عاتق أمير المؤمنين، بهذه الشفافية والنظرة الثاقبة البعيدة كان يتعامل إمام المتقين مع رعيته، يقول المسعودي (دخل الإمام عليٌّ بيت مال البصرة في جماعة من المهاجرين والأنصار فجعل يقول: «**يا بيضاء غري غيري، ويا صفراء غري غيري**»، وأدام النظر في المال مفكراً ثمَّ قال: «**أقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمائة**»، ففعلوا فما نقص درهم واحد وكان عدد الرجال اثني عشر ألفاً)[(١)].

ومن ملامح عدالته عليه السَّلام أنّه يساوي بين نفسه وهو خليفة المسلمين وبين العامة من الناس، فلا يرى فرقاً ولا امتيازاً بينه وبين سواد الناس؛ لأنَّه يعدّ الولاية تكليفاً وليس تشريفاً؛ لذلك كان يرفض التبجيل والتعظيم اللذين يلقاهما من أصحاب السلطان، فيقول لأحد أصحابه الذي مشى إلى جانبه وهو راكب «**ارْجِعْ، فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي، وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ**»[(٢)].

الخاتمة:

١- إنَّ الدين الإسلامي الحنيف عدَّ الأخلاق أبرز ميزة من مميزات

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، ط١، (بيروت، مؤسسة العلمي للمطبوعات، ١٩٩١م): ٢/ ٢٧١.

(٢) عبده، شرح نهج البلاغة: ٣/ ٣١٦.

الإنسان وأصدق مظهر من مظاهر إنسانيته الفاضلة، فرسالة الإسلام من خلال الوصايا هي رسالة أخلاقية تهتم بالجانب التربوي الهدف منه بناء مجتمع فاضل.

٢- يرجع رفع المستوى الروحي والأخلاقي للأُمَّة إلى النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله فهو الصادق الأمين، وهو من أعظم عظماء التاريخ، فالآية من كتاب الله، والأثر من حديثه الشريف نجد فيه أقوالاً للهداية فهو ودقيقُ العلمِ ولطيفُ الإشارةِ في لفظٍ قليلٍ وكلامٍ بَيّن ذي معنى كبير.

٣- إنَّ مفهوم العدالة الاجتماعية، مفهوم عام يشمل كلَّ مجالات الحياة؛ وذلك لأنَّ موضوعه هو المجتمع، وأساسه الأول هو العدل، والإسلام حقق العدالة الاجتماعية وحارب الظلم بشتى أنواعه، ولم يميز بين المسلمين وغير المسلمين في ذلك، أمَّا النظم الاجتماعية والوضعية الأُخرى، فإنَّ فرص تحقيق العدالة الاجتماعية، تلازمها النسبية في نتائجها وحقائقها، وذلك لأنَّها تظهر كأثر لفلسفات سياسية راجعة لأهواء الأفراد في المجتمع.

٤- لقد فكر الإمام عليٌّ عليه السلام في المجتمع الذي يحكمه، وفكر في أفضل الطرق والوسائل التي تنمي مقوماته الاجتماعية وترتفع به إلى الذروة في الرفاهية والقوة والأمن، مع ملاحظة أنَّه مجتمع يدين بالإسلام، وأنَّ شؤونه الاجتماعية تخضع لقوانين الإسلام، وأنَّه يجب أنْ يأخذ سبيله إلى النمو والتكامل في إطار إسلامي بحت.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن أبي الحديد، عزّ الدين بن هبة الله المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧م.

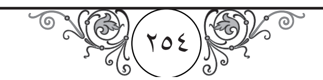
ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد، الفصول المهمة، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٨م.

ابن الطلاع، أبو عبد الله محمد بن فرج المالكي (ت٤٩٧هـ)، أقضية رسول الله صلَّى الله عليه وآله، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، القاهرة، مطبعة دار الكتاب المصري، ١٩٧٨م.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت٤٠٣ هـ)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عني بنشره وصحّحه ووقف على طبعه: عزّت العطار الحسيني، ط٢، القاهرة، مطبعة المدني المؤسسة السعودية، ١٩٨٧م.

ابن المثنى التميمي البصري (ت٢٠٩هـ)، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواسزكين، بلا، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ.

ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٥م.



ابـن حنبـل، أحمـد أبـو عبـد الله بـن محمـد، (ت٢٤١هــ)، مسـند أحمـد، د. م، المكتبـة الإسـلامية للطباعـة والنـشر، د. ت.

ابن حنبل، فضائل الصحابة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.

ابـن حيـان الأندلـسي، محمـد بـن يوسـف (ت٧٤٥هــ)، تفسـير البحـر المحيـط، بـيروت، دار الكتـب العلميـة، ٢٠٠٧م.

ابـن خلـكان أحمـد بـن محمـد بـن إبراهيـم (ت٦٨١هــ)، وفيـات الأعيـان، تحقيـق: دكتـور إحسـان عبـاس، ط٥، بـيروت، دار صـادر، ٢٠٠٩م.

ابـن رسته، أبـو عـلي أحمـد بـن عمـر، (ت٣٠١هــ)، الأعـلاق النفيسـة، وضـع حواشـيه: خليـل منصـور، بـيروت، دار الكتـب العلميـة، ١٩٩٨م.

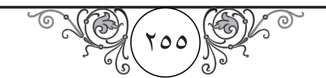
ابـن سـلام، أبـو عبيـد القاسـم (ت٢٢٤هــ)، الأمـوال، تحقيـق: خليـل محمد هراس، بـيروت، دار الفكـر، ٢٠١٠م.

ابـن سـلامة، القـاضي أبـو عبـد الله محمـد القـاضي (ت٤٥٤هــ)، مسـند شـهاب، تحقيـق: حمـدي عبـد المجيـد السـلفي، بـيروت، د. ط، ١٩٨٥م.

ابـن عبـد ربـه، أحمـد بـن محمـد الأندلـسي، (ت٣٢٨هــ)، العقـد الفريـد، تحقيـق: محمـد عبـد القـادر شـاهين، بـيروت، المطبعـة العصريـة، ٢٠٠٩م.

ابـن عسـاكر، عـلي بـن الحسـين (ت٥٧١هــ)، تاريـخ دمشـق، تحقيـق: عمرو بـن غراميـة، بـيروت، دار الفكـر، ١٩٩٥م.

ابـن قتيبـة، أبـو محمد بـن مسـلم الدينـوري، (ت٢٧٦هــ)، المعـارف، تحقيـق:



ثـروت عكاشـة، القاهرة، مطبعـة دار الكتـب، ١٩٦٠م.

ابـن قتيبـة، الإمامـة والسياسـية (منسـوب)، تحقيـق: طـه محمـد زينـي، د. م، مؤسسـة الحلبـي للنـشر والتوزيـع، د. ت.

ابـن كثـير، أبـو الفـداء إسـماعيل (ت٧٧٤هــ)، البدايـة والنهايـة، تحقيـق: أحمـد بـن ملحـم، بـيروت، دار الكتـب العلميـة، ١٩٨٧م.

ابـن منظـور، أبـو الفضـل جمـال الديـن محمـد بـن مكـرم الإفريقـي المصري، (ت٧١١هـ)، لسـان العـرب، بـيروت، دار صادر للطباعـة، د. ت.

أبو خليل، شوقي، في التاريخ الإسلامي، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٦م.

الأزهـري، محمـد بـن أحمـد (ت٣٧٠هــ)، تهذيـب اللغـة، تحقيـق: نخبـة مـن العلـماء، القاهـرة، الـدار المصريـة للتأليـف، ١٩٦٤م.

الأصفهـاني، الحسـن بـن محمـد الراغـب (ت٥٠٢هــ)، المفـردات في غريـب القـرآن، دمشـق، دار القلـم، ١٤١٢هــ.

الأعشـى، ميمـون بـن قيـس، ديـوان الأعشـى الكبـير، القاهـرة، مكتبـة الآداب، د. ت.

القاسـمي، ظافـر، نظـام الحكـم في الشريعـة الإسـلامية والتاريخ الإسـلامي، د. م، د. ط، ١٩٧٨م.

البازيـاني، محمـد سـيد نـوري، مفهـوم السـلم في الفكـر الإسـلامي، بـيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٧م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤م.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ) أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٤م.

ابن نبي، مالك، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، الجزائر، دار الفكر، ١٩٨٦م.

الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد لرحمن محمود عثمان، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣م.

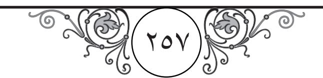
الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم، الغارات، تحقيق: جلال الدين الآرموي، ط١، طهران منشورات آنجمن آثار ملي، ١٣٩٥هـ.

الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ)، التعريفات، بيروت، دار الكتب، ١٩٨٣م.

الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، (ت٣٧٠ هـ)، أحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العربية، د. ت.

الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.

الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل،



بيروت، الأعلمي، ١٩٧٤م.

الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد (ت١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية، بيروت، دار الكتب، ١٣١٠هـ.

الذهبي، شمس الدين أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تذكرة الحافظ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: حمزة فتح الله وآخرين، بيروت، دار البصائر مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

الزبيدي، محبّ الدين أبو الفيض السيد محمد (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، الدر المنثور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

شهاب الدين محمد بن عليّ (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري، ط٢، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

الصاحب بن عباد، إسماعيل (ت٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٤م.

الصنهاجي، عبد الحميد بن محمد (ت١٣٥٩هـ)، آثار بن باديس، تحقيق: عمار الطالبي، الجزائر، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ١٩٦٨م.

الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الأُمم والملوك ط٤، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٣م.

الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٥م.

عامر، نريمان، عوامل السلم الأهلي والنزاع الأهلي، دمشق، مركز المجتمع المدني والديمقراطية، ٢٠١٣م.

العايد، أحمد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، د. م. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د. ت.

عبدة، محمد، شرح نهج البلاغة، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٦م.

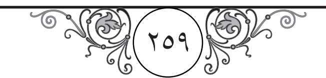
الغروي، محمد، السلم الاجتماعي في القرآن والحديث، بيروت، دار الأضواء، ١٤١١هـ.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، إيران، دار الهجرة، ١٤٠٥هـ.

الكبيسي، أحمد، الوجيز في شرح قانون الأحوال الشخصية (الوصايا والمواريث)، جامعة بغداد، كلية القانون، د. ت.

كنعان، محمد بن أحمد، السيرة النبوية والمعجزات (خلاصة تاريخ ابن كثير)، ط٣، بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.

الماوردي، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ)،





أدب القاضي، تحقيق: محيي هلال السرحان، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١م.

مجموعة من المؤلفين، كتاب الإسلام دين البشرية، ط٢، د. ط، مؤسسة البلاغ للتأليف والنشر، ٢٠٠٦م.

المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، القاهرة، د. ط، ١٩٦٤م.

المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، ط١، بيروت، مؤسسة العلمي للمطبوعات، ١٩٩١م.

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، القاهرة، إحياء التراث العربي، ٢٠٠٧م.

المقدسي، مطهر بن طاهر، (ت٣٥٥هـ)، البدء والتاريخ، باريس، ١٩٠٣م.

الميلاني، علي الحسيني، نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، بيروت، دار المؤرخ، ١٩٩٥م.

النحوي، عدنان علي رضا، أدب الوصايا والمواعظ - منزلته - ومنهجهُ - وخصائصه الإيمانية، نشر دار النحوي، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م.



الهيثمي، نور الدين علي (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٩٩٤م.

النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

ول، ديورانت، قصة الحضارة (عصر الإيمان)، ترجمة: محمد بدران، ط٣، د. م، ١٩٧٤م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٤م.

موقف السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام من بيعة الغدير وآثارها السِّياسية والاجتماعية

م. شيماء ياس خضير

الملخص العربي.

نشأت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام في أحضان الوحي والنبوّة وتخلقت بخلق النبيِّ الأكرم محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتشبعت بمبادئ الدين الإسلامي والرسالة السّماوية، واستطاعت مع قصر حياتها أنْ تقدِّم دروساً في العزّة والإباء ومواجهة الظلم والجور، فكان لانحراف الأُمَّة الإسلامية عن دلالات بيعة الغدير أنْ حتَّم عليها الوقوف بقوّة أمام الباطل ومؤازرة الإمام عليٍّ عليه السَّلام في هذا المعترك، فقد كان للأيام القليلة التي قضتها ما بين وفاة الرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبين شهادتها مشحونة بالدفاع عن الولاية والإمامة بغرض بيان الحقائق القرآنيّة والنبويّة التي دعت إلى تنصيب الإمام عليٍّ عليه السَّلام خليفة لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقوله: «هذا أخي ووصي من بعدي ووارثي فاسمعوا إليه وأطيعوا له»، كما كان لخطبتيها في المسجد النبويِّ وبنساء المدينة أثر بالغ في النفوس لما تضمنته من الواقعية والصدق لاستنادها على أُسس متينة قوامها الكتاب الكريم والسُنّة النبوية المباركة، فقد ذكّرت المسلمين عاقبة أمرهم وما يترتب عليه من عواقب

وخيمة للأُمَّة الإسلامية قد تؤدي إلى انهيار البناء الإسلاميِّ الذي شيّده الرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من خلال دعوته الشريفة، إذ كانت تهدف الدفاع عن الإسلام الصحيح ونصّ بيعة الغدير بعيداً عن التحريف والتأويل، وهذا ما حدا بها عليها السَّلام لتحمّل الأذى في سبيل حفظ الإسلام وتعاليم الرسالة المحمّدية، فهُتكت حرمة بيتها وكُسر ظلعها وأُسقط جنينها حتى اشتد عليها المرض وانتقلت إلى جوار ربِّها فسلام الله عليها يوم ولدت ويوم ماتت ويوم تبعث.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصّلاة والسَّلام على المبعوث رحمةً للعالمين نبيِّنا محمَّد الهادي الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إِنَّ أهمّ الأهداف التي توخّتها السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام من بيان حقيقة بيعة الغدير إثبات أحقيّة الإمام عليٍّ عليه السَّلام في خلافة الأُمَّة بعد الرسول محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويتّضح ذلك من خطبتها في المسجد النبويِّ التي أدّت فيها واجبها الرسالي.

إنَّ سبب اختيار موضوع (موقف السَّيدة الزهراء من بيعة الغدير وآثارها السّياسيّة والاجتماعيّة) لتسليط الضوء على الدلالات والأبعاد السّياسيّة في حياة السّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام للدفاع عن بيعة الغدير والتي تنطوي في حقيقتها الدفاع عن الإمامة وأولوية الإمام عليٍّ عليه السَّلام في

إمامة الأُمَّة بعد أبيها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

اقتضت ضرورة البحث تقسيمه على مبحثين جاء المبحث الأوَّل المعنون (ماهية بيعة الغدير حقيقتها ودلالاتها الدينيّة والسّياسيّة) للحديث عن النصوص القرآنية والأحاديث النبويّة الدالة على إمامة الإمام عليٍّ عليه السَّلام في غدير خم، فيما كرس المبحث الثاني المعنون (موقف السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام من نقض بيعة الغدير وأثرها السّياسيّة والاجتماعيّة) موقف السّيدة فاطمة الزهراء عليها السّلام في الدفاع عن بيعة الغدير بعد وفاة الرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والذي تضمن خمسة محاور، جاء المحور الأوَّل بعنوان (موقف الزهراء من بيعة السّقيفة ونقض بيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام) لدراسة موقف السّيدة الزهراء من نقض بيعة الغدير وجور أهل السّقيفة من سلب الخلافة وانتهاك حرمة بيتها عليها السَّلام، لننتقل بعدها إلى المحور الثاني المعنون (خطبة السّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام في المسجد النبويِّ)، والذي كُرس فيه الحديث عن خطبتها عليها السَّلام في المسجد النبويِّ، ليستتبعه المحور الثالث المعنون(خطبة السَّيدة فاطمة الزهراء بنساء المدينة)، والذي استعرضت فيه تذكير الزهراء عليها السَّلام لنساء المهاجرين والأنصار بخذلان أزواجهن لأهل بيت النبيِّ، ليأتي المحور الرابع تحت عنوان (مقاطعة السَّيدة فاطمة الزهراء لأبي بكر وعمر بن الخطاب)، بينت فيه غضبها على من سلب حقَّها وحقَّ زوجها في فدك والإمامة وما آل إليه حالها من الخذلان والمرض الذي تسبب في استشهادها مكسورة الضلع

والنفس، وهذا ما حمله المحور الخامس المعنون (استشهاد السَّيدة الزهراء عليها السَّلام ودفنها).

اعتمد البحث على مصادر عدَّة ومتنوعة منها كتاب الإمامة والسِّياسة لابن قتيبة الدينوري، وكتاب شرح خطبة الزهراء وأسبابها لنزيه القميحا، والموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء وكتاب الزهراء فاطمة بنت محمّد لعبد الزهراء عثمان، فضلاً عن عدد من الكتب حول بيعة الغدير من ضمنها حديث الغدير لعلي الحسيني الميلاني، ومعنى حديث الغدير لمرتضى الخسرو شاهي، وحديث الغدير بين أدلة المثبتين وأوهام المبطلين لهاشم الميلاني، والكثير من الكتب التي أغنت البحث بكمٍّ من المعلومات القيمة.

المبحث الأول: بيعة الغدير حقيقتها ودلالاتها الدينية والسياسية

بعد أنْ أحدث الإسلام انقلاباً جذرياً في حياة أفراد المجتمع بتغيير تفكيرهم وسلوكهم وعاداتهم المتأصلة طوال سنين لفعل القيادة الحكيمة المتمثلة برسول الله محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذي خطط ونفذ واستطاع خلق مجتمع إسلاميٍّ يقوم على أساس البراءة من الأصنام ومن ربوبية الملوك واعتماد الإيمان بالله وحده، فبعد أنْ بلَّغ المسلمين ما يحتاجونه من بيان القرآن وسنّته خشي بعد وفاته من أهل الشقاق والنفاق أنْ يرجعوا بالأُمَّة إلى حكم الجاهلية، لاسيما بعد أنْ أدرك وجود مخطط نفاقيٍّ في المجتمع الإسلامي يقوم على أمرين أَوَّلهما فصل القرآن

عن السُّنّة، وثانيهما بغض العامة للإمام عليٍّ عليه السَّلام(١)؛ لذا أدرك ضرورة تنصيب إمام للأُمَّة يدير شؤونها الدينية والسياسية خلفاً عنه(٢)، وعليه فقد أعلن في أكثر من مناسبة تولية الإمام عليٍّ عليه السَّلام إماماً وخليفة للمسلمين من بعده، وهناك العديد من النصوص الجلية الدالّة على خلافته بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بلا فصل، وقد تواترت في ذلك الشأن أحاديث عديدة منها «هذا أخي ووصي من بعدي ووارثي فاسمعوا إليه وأطيعوا له»(٣)، وحديث آخر «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي»(٤).

لم يكن تنصيب الرسول محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للإمام عليٍّ عليه السَّلام إماماً وخليفةً لقرابة له في رحم أو في دين، بل أمر من الله تعالى وقد دلَّت على ذلك العديد من الآيات القرآنية، فقد روى محمَّد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السَّلام قال: «لمَّا نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(٥)، دعاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: يا عليُّ إنَّ الله يأمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنِّي متى أُباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فَصَمِتُ عليها حتى جاءني جبرئيل فقال لي: يا محمّد إلَّا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك(٦)، فدعاهم إلى ذلك مرتين بعد أنْ أطعمهم وسقاهم قال لهم: يا بني عبد المطلب إنِّي قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة، فقد

أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يؤازرني على أمري هذا ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، فقلت وأنا أحدثهم سناً: يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه، قال: فأخذ برقبتي وقال: إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»(٧)، وعن ابن عباس بإسناده عن محمّد الكلبي عن أبي عبد الله قال: «إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عَرف أصحابه تولية الإمام عليٍّ عليه السَّلام إماماً وخليفةً له، إذ قال لهم: أتدرون من وليُّكم بعدي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٨)، يقصد بذلك الإمام عليّاً عليه السَّلام»، وفي رواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري روى شاذان بن جبرئيل القمِّي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذ ورد علينا أعرابي أشعث الحال عليه أثواب رثّة والفقر بين عينيه، فلمَّا دخل سلَّم بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنشد أبياتاً شعرية تدلُّ على فقره وحاجته، فما إنْ سمع الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال لأصحابه: «يا معشر المسلمين إنَّ الله ساق إليكم أجراً وجزاءً من الله غرفاً في الجنة تضاهي غرف إبراهيم الخليل عليه السَّلام، فمن منكم يواسي هذا الفقير؟»، فلم يجبه أحد، وكان في ناحية المسجد الإمام عليٌّ عليه السَّلام يصلِّي تطوعاً فأومأ بيده إلى الأعرابي فدنا منه فدفع إليه الخاتم من يده، وهو راكع في صلاته فأخذه الأعرابي وانصرف(٩)، ثمَّ إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

هبط عليه جبرئيل ونادى: السَّلام عليك يا محمَّد، ربك يقرئك السَّلام ويقول اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ(١٠)﴾، فعند ذلك قام الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائماً على قدميه وقال: «يا معشر المسلمين أيُّكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله وليَّ كلِّ من آمن؟»، قالوا: يا رسول الله ما فينا عمل خيراً سوى ابن عمِّك عليِّ بن أبي طالب وهو في صلاته، فعند ذلك تلا عليهم الآية الكريمة التي تحوي على إقرار من الله سبحانه وتعالى بإمامة الإمام عليٍّ عليه السَّلام على المسلمين بما لا يقبل التأويل(١١).

وفي السَّنة العاشرة للهجرة في اليوم الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من ذي القعدة أذَّن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الناس بالحجِّ، فتجهَّز الناس للخروج معه وحضر المدينة ومن ضواحيها ومن جوانبها خلق كثير قاصدين بيت الله الحرام(١٢) في حجّة عرفت بحجّة الوداع تارة وحجّة الإسلام وحجّة البلاغ تارة أُخرى(١٣) حيث خطب فيهم: «أيُّها الناس لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً فإنَّ الشيطان قد يئس أنْ يعبد بعد هذا اليوم فلا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنِّي قد خلفت فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»(١٤).

فما إنْ قضى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نُسكه وقفل راجعاً إلى المدينة وانتهى إلى الموضع المعروف بغدير خم(١٥) من الجحفة التي

تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين(١٦) يوم الخميس الثامن من ذي الحجة(١٧)، حتى هبط عليه جبرئيل يحمل بلاغاً من السماء تمثل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١٨) بأنْ يقيم علياً عليه السَّلام علماً للناس وينصبه لهم إماماً ويأخذ منهم البيعة على حبِّه وطاعته(١٩)، فمن خلال لهجة الخطاب القرآني الكريم التي اتخذت شكل الإنذار نكتشف خطورة البلاغ الذي يتوجب على النبيِّ إعلانه للأُمَّة(٢٠)، هناك دعا النبيُّ محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى ردِّ من تقدَّم منهم وحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان، فظلل لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بثوب وصعد على أعتاب الإبل فأخذ بيد عليٍّ بن أبي طالب فرفعها حتى رأى الناس بياض إبطيهما(٢١)، فقال: «أيُّها الناس، ألست أَولى بكم من أنفسكم؟»(٢٢)، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنَّ الله مولاي، وأنا وليُّ كلِّ مؤمن، فمن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»(٢٣)، يقولها ثلاثاً، ثم قال: «اللهم والِ من والاهُ، وعادِ من عاداهُ، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب»(٢٤)، ثمَّ طفق القوم يهنئون، وأَوَّل من هنأ الإمام عليّاً عليه السَّلام الله عزَّ وجلَّ، فلقد هبط جبرئيل من عند الله مهنئاً لرسول الله بتتويج أمير المؤمنين بالخلافة والولاية، حيث نزلت آية الإكمال بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٢٥)، ثمَّ إنَّ رسول الله صلَّى

الله عليه وآله أمر من حضر المشهد من أُمَّته بالتهنئة، حيث قال: «معاشر الناس قولوا: أعطيناك على ذلك عهداً عن أنفسنا وميثاقاً بألسنتنا وصفقة بأيدينا نؤديه إلى أولادنا وأهالينا لا نبغي بذلك وأنت شهيد علينا وكفى بالله شهيداً، قولوا ما قلت لكم وسلِّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين»(٢٦)، وقالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا نهتدي لولا أنْ هدانا الله(٢٧)، وتلا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢٨)، وممَّن هنّأه في مقدّم الصحابة أبو بكر وعمر بن الخطاب(٢٩) الذي قال: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة(٣٠)، وقد حصل هذا في يومٍ واحد ومكانٍ واحدٍ على مرأى ومسمع الغالبية المطلقة من الصحابة والمسلمين الذين شهدوا حجّة الوداع، فمن المعروف أنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا فرض شيئاً جديداً على المسلمين لا يجعل له مقدمات ولا ترتيبات، فحين فرضت الصلاة أخبر المسلمين بذلك مباشرة وهكذا سائر الفرائض كالصوم والزكاة، أمَّا في حادثة الغدير فنجد أنَّ الأمر قد اختلف، فقد نزلت آية تأمر الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بتبليغ ما أَنزل الله إليه، وبعد التبليغ نزلت آية الإكمال، وهذا يدلُّ على أنَّ كمال الدين كان متوقفاً على تنصيب الإمام عليٍّ عليه السَّلام إماماً وخليفةً للأُمَّة بعد رسولها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم(٣١)، لقد وضعت بيعة لغدير الحقَّ في نصابه فالرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا ينطق عن هوى إنْ هو إلَّا وحي يوحى، وهذا يعني أنَّ الله تعالى وجّه رسوله

الكريم ليعلن للناس أجمعين أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام هو أَولى بخلافة المسلمين من بعده لما له من مكانة عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة نستدلُّ على أنَّ الرسول محمّداً صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يترك أمر الأُمَّة سدى، فقد وجهها لما فيه صلاحها بعد أنْ أدرك وجود عمل منظم ومبرمج يهدف إلى إقصاء الإمام عليٍّ عليه السَّلام عن إمامة الأُمَّة(٣٢)، من خلال حادثتين: الأُولى عدم تنفيذ أوامره بتجهيز جيش أُسامة(٣٣)، حيث إنَّ الرسول محمّداً صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حاول أنْ يقصي وجوه الصحابة ساعة وفاته عن المدينة المنورة بتجهيز جيشٍ لحرب الروم ماعدا الإمام عليّاً عليه السَّلام، ليخلوا جوُّ المدينة من المعارضين له، إلَّا أنَّ إصرارهم على البقاء في المدينة ساعة وفاة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يدلُّ على التخطيط لإقصاء الإمام عليٍّ عليه السَّلام عن إمامة الأُمَّة وخلافتها(٣٤)، والحادثة الثانية منعهم الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من كتابة كتاب يعهد فيه للمسلمين إمامهم وخليفتهم من بعده، إذ قال: «ائتوني بالكتب والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، فما كان من جوابهم إلَّا أنْ قالوا: إنَّ رسول الله يهجر(٣٥)، فأخذ الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوصي بالتمسك بأهل بيته أساس القرآن وأحكام الدين لسلامة الأُمَّة من مناهل الردى، حيث قال في حديث الثقلين «إنِّي تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسكتم بهما فلن تضلوا أبداً»(٣٦) ويقصد بعترته السَّيدة فاطمة الزهراء(٣٧)

والإمام عليّاً وأبناءهما عليهم السَّلام، إذ كان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعلم ما سيجري على السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام من بعده من شتى أنواع الظلم والاضطهاد والإيذاء وهتك الحرمة؛ ولهذا أراد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ يتمّ الحجّة على الناس، حتى لا يبقى لذي مقام مقال أو عذر، فأشار إلى منزلة السّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إذ قال فيها: «فاطمة بضعة منِّي من أغضبها فقد أغضبني»(٣٨)، فلما إنْ قُبض الرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم(٣٩)، حتى اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة ليختاروا من بينهم أبا بكر خليفة للمسلمين(٤٠) ونكران حقّ الإمام عليٍّ عليه السَّلام بإمامة وخلافة الأُمَّة، مدعين أنَّه لا يجوز اجتماع النبوّة والإمامة في بيت واحد(٤١).

المبحث الثاني: موقف السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من نقض بيعة الغدير وأثرها عليها

أولاً: موقف الزهراء من بيعة السقيفة ونقض بيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام

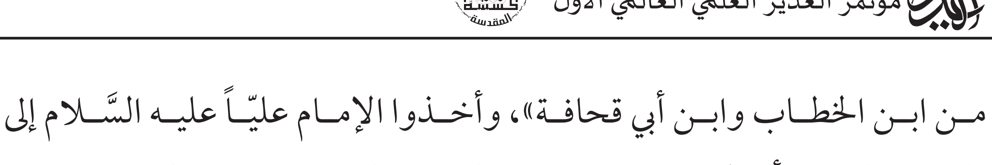
تمثل موقف السّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام بكشف زيف بيعة السّقيفة وعدم شرعيتها، حيث وجدت أنَّ قبول بيعة أبي بكر يعدُّ سكوتاً عن انحراف الإسلام عن مساره الصحيح والخروج عن تعاليم الرسالة المحمدية التي نصت بإمامة الإمام عليٍّ عليه السَّلام؛ لذا رأت العمل

على كسب عدد كبير من المسلمين المعارضين لبيعة السّقيفة، وعليه فقد سارت مع الإمام عليٍّ عليه السَّلام إلى منازل صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لدعوتهم لنصرة الإمام عليٍّ عليه السَّلام(٤٢) امتثالاً لوصيّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم غدير خم، مخاطبة إيّاهم: «يا معشر المهاجرين والأنصار، انصروا الله فإنِّي ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم بايعتموه، أنْ تمنعوه وذريته ممَّا تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، فأوفوا لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ببيعتكم»(٤٣)، فكان جوابهم مخيباً: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لأبي بكر، ولو أنَّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فأجابهم الإمام عليٌّ عليه السَّلام: «أفكنت أدَعُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بيته لم يدفن وأخرج أُنازع الناس سلطانه؟»، فردَّت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام: «ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله محاسبهم ومطالبهم عليه»(٤٤)، إنَّ خروج السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام ليلاً مع شدّة اللوعة التي تنتابها لفقد أبيها صلَّى الله عليه وآله وسلّم وضعف حالها وقوّة السلطة في ملاحقة من يعارضها، إنّما هو أداءٌ للدور الرسالي الذي يقتضيه الواجب الإسلامي المقدّس في حفظ العقيدة الحقّة من الضياع والانحراف، بعد أنْ تخلى أكثر المسلمين عن بيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام، وقفت إلى جانبه في بيان أُسس العقيدة الإسلامية، والدفاع عن نصِّ الإمامة التي كادت أنْ تندثر وتزول بفعل القوى الحاكمة لولا مواجهتها لهذه السُّلطة وتحمل

المحن والأذى في سبيل حفظ الإسلام من الزيف(٤٥).

إنَّ ما أثار أبا بكر وعمر بن الخطاب عدمُ بيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام لهم ممَّا يؤلب المسلمين بعدم شرعية خلافتهم كون الإمام عليٍّ عليه السَّلام الشخص الثاني في الإسلام بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وممَّا زاد الأمر سوءاً لدى أبي بكر هو تأييد عدد من الصحابة للإمام عليٍّ عليه السَّلام فضلاً عن قيام بعض القبائل التي بايعت أبا بكر مسبقاً بمحاولة الرجوع عنها ورفض قبائل أُخرى البيعة مطلقاً، فأخذ أبو بكر وعمر بن الخطاب بالتخطيط للقضاء على أيِّ محاولة تهدف لإزاحة أبي بكر؛ لذا رأوا أنَّ أفضل وسيلة للقضاء على المعارضين لهم بالحصول على بيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام ولو بالقوة، وقد علم عمر بن الخطاب باجتماع عدد من الصحابة في بيت الإمام عليٍّ عليه السَّلام، فقرر الهجوم عليه(٤٦)، فأقبل في جمع كبير إلى بيت الإمام عليٍّ عليه السَّلام مطالباً إيّاه بالبيعة، وبعد رفض الإمام عليٍّ عليه السَّلام الخروج من البيت، دعا عمر بن الخطاب بحطب ونار وقال: ليخرجن أو لأُحرقن البيت على من فيه، فقيل له: إنَّ في الدار فاطمة، قال: وإن!! فقالت له السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام: «يا ابن الخطاب أجئتنا لتحرق دارنا؟»، قال: نعم أو تدخلوا إلى ما دخلت فيه الأُمَّة(٤٧)، فقالت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام: «لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جنازةً بين أيدينا وقطعتم أمركم فيما بينكم ولم تؤمرونا، ولم تروا لنا حقاً، كأنَّكم لم تعلموا ما قال رسول الله صلَّى الله

عليـه وآلـه وسـلَّم يـوم غديـر خـم، والله لقـد عقـد لـه يومئـذٍ الـولاء ليقطـع منكـم بذلـك منهـا الرجـاء، ولكنَّكـم قطعتـم الأسـباب بينكـم وبـين نبيِّكـم، والله حسـيب بيننـا وبينكـم في الدنيـا والآخـرة»(٤٨)، عندهـا نـادى عمـر حتى أسـمع علياً والسَّـيدة فاطمـة الزهـراء: والله لتخرجـن يـا عـليّ ولتبايعـن خليفة رسـول الله وإلَّا أضرمـت عليـك النـار، فقالـت السَّـيدة فاطمـة الزهـراء عليهـا السَّـلام: «يـا عمـر أمـا تتقـي الله؟ تدخـل عـلَيَّ بيتـي؟»، فأبـى أن ينـصرف ودعـا عمـر بالنـار فأضرمهـا في البـاب، وكانـت السَّـيدة فاطمـة الزهـراء خلـف البـاب، وقـد علـم عمـر بـن الخطـاب بذلـك فرفـس البـاب برجلـه، فكـسر ضلعهـا وأسـقط جنينهـا(٤٩)، فصاحـت «يـا أبتـاه يـا رسـول الله!»، فرفـع عمـر بـن الخطـاب السَّـيف وهـو في غمـده فوجـأ بـه جنبهـا، فصرخـت «يـا أبتـاه»، فرفـع السَّـوط فـضرب بـه ذراعهـا، فنـادت «يـا رسـول، الله لبئـس مـا خلفـك أبـو بكـر وعمـر في ذريتـك»(٥٠)، فوثـب عليـه الإمـام عـليٌّ عليـه السَّـلام، فأخـذ بتلابيبـه فصرعـه ووجـأ أنفـه ورقبتـه، وهـمَّ بقتلـه، فذكـر قـول رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم ومـا أوصـاه بـه، فقـال: «والـذي كـرم محمـداً صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم بالنبـوة، يـا بـن صهـاك لـولا كتـاب مـن الله سـبق، وعهـدٌ عهـد إليَّ رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم لعلمـت أنَّـك لا تدخـل بيتـي»، فأرسـل عمـر يسـتغيث فأقبـل النـاس حتـى دخلـوا الـدار، فثـار الإمـام عـليٌّ عليـه السَّـلام إلى سـيفه فسـبقوه إليـه وكاثـروه، فألقـوا في عنقـه حبـلاً، فحالـت بينهـم وبينـه السَّـيدة فاطمـة الزهـراء عليهـا السَّـلام وهـي تبكـي وتنـادي بأعـلى صوتهـا «يـا أبـت يـا رسـول الله مـاذا لقينـا بعـدك



من ابـن الخطـاب وابـن أبي قحافـة»، وأخـذوا الإمـام عليّـاً عليـه السَّـلام إلى المسـجد لمبايعـة أبي بكـر(٥١) فلحقتـه السّـيدة الزهـراء عليهـا السّـلام(٥٢)، وهـي بأشـدّ الأحـوال، فجعلـت تعـدو وتصيـح، «خلـوا عـن ابـن عمِّـي، خلو عـن بعـلي، والله لأكشـفن عـن رأسي ولأظعـن قميـص أبي عـلى رأسي وأدعـو عليكـم»(٥٣)، ووصلـت إلى بـاب المسـجد النبـويِّ، ورأت القـوم يرفعـون السَّـيف عـلى الإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام، إمَّـا أنْ يبايـع أو يُقتـل فخاطبـت أبـا بكـر «مـالي ومالـك يـا أبـا بكـر تريـد أن تؤتـم ابنـيّ وترملني مـن زوجـي، والله لـولا أنْ تكـون سـيئة لنـشرت شـعري وصرخـت إلى ربِّي»(٥٤)، واسـتطاعت السَّـيدة الزهـراء عليهـا السَّـلام أنْ تحـول بينهـم وبـين أخـذ البيعـة مـن الإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام، فهـا هـي السَّـيدة فاطمـة الزهـراء عليهـا السَّـلام تقـف سـدّاً منيعـاً في الدفـاع عـن الإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام بخروجهـا إلى البـاب والتصـدي للمهاجمـين، لأنَّهـا علمـت إنْ تركـت الإمـام فسـوف يُقتـل أو يُبايـع، وبكلتـا الحالتـين سـتطمس معـالم الديـن الإسـلامي القويـم، فخروجهـا خلفـه ومنعهـم مـن قتلـه أو أخـذ بيعتـه، هـذا دليـل عـلى دفاعهـا عـن الإمامـة والإمـام(٥٥)، وممَّـا أثـار سـخط السَّـيدة فاطمـة الزهـراء عليهـا السَّـلام عـلى أبي بكـر قيامـه بسـلب حقِّهـا في فـدك(٥٦) التـي تركهـا لهـا رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم، ورفـض أبـو بكـر إعطاءهـا إيَّاهـا بحجّـة أنَّـه سـمع رسـول الله يقـول (نحـن معـاشر الأنبيـاء لا نـورث، ومـا تركنـاه صدقـة)(٥٧)، وقـد ألقـت عليـه السَّـيدة فاطمـة الزهـراء عليهـا السَّـلام الحجَّـة بقولـه تعـالى: ﴿وَوَرِثَ سُـلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(٥٨)، وهـذا دليـل عـلى أنَّ الأنبيـاء يورثـون، إلَّا

أنَّ أبا بكر رفض تسليمها لها، على الرغم من شهادة أُمِّ سلمة والإمام عليٍّ عليه السَّلام بحقِّها(٥٩)، لأنَّه أدرك أنَّ إرجاع فدك يعني تسليمه للخلافة فيما بعد، حيث إنَّ السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام لم تخرج لإثبات حقٍّ محدد بفدك، بقدر ما كانت ردَّة على الغاصبين الأوائل، وهي تراهم قد غصبوا كلَّ حقٍّ بأخذ الخلافة من غير استحقاق؛ لذلك لم تكن فدك إلَّا مفتاحاً للدخول في حلبة المعارضة والانتفاض، وردّ على الأُمَّة المستسلمة للتبرير والمتخلية عن بصرها أمام الخديعة المصلحيّة التي يستفيد منها ولاة الظلم والجور، وعليه فإنَّ أهمّ الأهداف التي توخّتها السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام في مطالباتها الماليّة، هو الدفاع عن الإمامة ومقامها ضدَّ أولئك الذين حرفوا مسار الشريعة المقدسة(٦٠).

ثانياً: خطبة السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام في المسجد النبويِّ

اندفعت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام في مظاهرة نسائية من بيتها إلى المسجد النبويِّ، وهو حاشد بالمهاجرين والأنصار، إذ اختارت عليها السَّلام الكلمة بما تحمله من حجّة بالغة وبرهان ساطع سلاحاً للمواجهة وشحذ الهمم، كي تعرّي أُسس السقيفة وتزعزع كيانها وتفضح زيفها، فنيطت دونها ملاءة، فجلست وأنَّت أنَّةً حتى أجهش القوم لها بالبكاء، ثمَّ افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم(٦١) وبيان قربها منه ومنزلتها لديه، وبعدها ذكرت ولاية أهل البيت عليهم السَّلام كفرض إلهي لا يختلف عن سائر الواجبات والفروض التي عدّدتها في الخطبة وبينت

العلّة من إيجابها، فقالت عليها السَّلام: «فجعل الله طاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة»(٦٢)، ثمَّ أخذت بالتعريف بنفسها وأبيها، إذ قالت: «أيُّها الناس، اعلموا أنِّي فاطمة، وأبي محمّد، أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإنْ تعزروه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمِّي دون رجالكم»(٦٣)، وبينت قرب وأفضلية الإمام عليٍّ عليه السَّلام من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقولها: «وكلَّما فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم»(٦٤)، حيث أشارت عليها السَّلام إلى عدم حفظ وصية رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أهل بيته، وتألبهم على سلب الخلافة، ونبّهت إلى سوء اختيارهم بنقضهم تلك الوصية «فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لمَّا يندمل والرسول لمَّا يقبر ابتدار خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وأنَّ جهنم لمحيطة بالكافرين، كتاب الله تعالى بينهم، يتلونه آناء الليل وأطراف النهار»(٦٥)، وأوضحت أنَّ استعجالهم في اجتماع السقيفة وتنصيب أبي بكر خليفة لهم خوف خروج الأمر من أيديهم، قد أوقعوا الأُمَّة الإسلامية في انحراف عن تعاليم الإسلام الصحيح، باغتصاب الحقِّ من أهله، بل وخداع المسلمين

بأحقيتهم في ذلك، فلو لم يكن هناك دليل لكانوا أمام الله من المعذورين، إذ تبطل زعمهم بقولها: «وأنتم الآن تزعمون أنْ لا إرث لنا، أ أُغلب على إرثي»(٦٦)، حيث أعلنت أنَّ نكران حقِّها في فدك وحقِّ الإمام عليٍّ عليه السَّلام بإمامة الأُمَّة ما هو إلَّا كذب وافتراء، إذ إنَّ مسألة إمامة الإمام عليٍّ عليه السَّلام ذُكرت في القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واستعرضت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام كيفية استلامهم منصباً ليسوا هم بأهلٍ له، فهذا المنصب بحاجة إلى عالم بكلِّ علوم القرآن الكريم، فضلاً عن الشجاعة والفصاحة والتقى، وهذه الصفات لا تجتمع إلَّا في رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ووليه وخليفته الإمام عليٍّ عليه السَّلام، إذ قالت عليها السَّلام: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمِّي»(٦٧).

أدركت السَّيدة الزهراء عليها السَّلام أنَّ المهاجرين والأنصار يقع عليهم العبء الأكبر في انحراف الرسالة المحمّدية عن أهدافها التي خطّها القرآن الكريم، وأشاد بها الرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بتنصيب الإمام عليٍّ عليه السَّلام إماماً وخليفة للمسلمين في غدير خم، فأشارت إلى خذلانهم لأهل بيت الرسول محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعدم نصرتهم وتغافلهم، وعدم إنصافها ممَّن ظلمها، وإبعاد الإمام عليٍّ عليه السَّلام عن الخلافة وهو أعلم الناس بعد الرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالرسالة وأحكامها وقوانينها؛ وهو لذلك أحق برعاية شؤون الأُمَّة التي صنعها الوحي المقدس، بقولها «أبعدتم من هو أحقّ



بالبسط والقبض»(٦٨)، ثمَّ خاطبتهم خذوا إمامة الأُمَّة معيوبة ناقصة، كالناقة المجروحة الظهر المعيوبة، وأَيُّ عيب أقبح من ترك النبيِّ مسجًى، ونكران بيعة الغدير واجتماعكم بالسقيفة لسلب إمامة الأُمَّة من أهلها، معلنة أنَ إمامتهم هذه موسومة بغضب الله، وسوف ننظر أيّنا أحسن عملاً عند الله، فهو نعم المولى ونعم النصير، ما يدلُّ على عمق حزنها ومدى تأثرها وغضبها ممَّن ظلمها وغصب حقَّها وحقَّ الإمام عليٍّ عليه السَّلام، «فدونكموها، فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله، وشنار الأبد، فاعملوا إنَّا عاملون، وانتظروا إنَّا منتظرون»(٦٩)، كان لخطبة السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام أثر بالغ ومحرّك لنفوس المسلمين، لما حملته تلك الخطبة من الواقعية والصدق والاستناد إلى أُسس متينة قوامها الكتاب الله الكريم والسُنّة النبويّة المباركة، في بيان مظلوميتها وإشادتها بفضل الإمام عليٍّ عليه السَّلام وأحقيته في خلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، ممّا جعل الأنصار يهتفون باسم الإمام عليٍّ عليه السَّلام، وأنّى يكون ذلك لولا خروج السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام وخطبتها التي ذكّرت فيها وحذّرت؛ الأمر الذي شعر فيه أبو بكر بالخطر، فسعى إلى إخماد تعاطف المسلمين وحرف رأيهم عن مناصرة السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام من خلال التضليل والتظاهر بقوله (هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت) (٧٠)، حيث بين أنَّه تقلَّد هذا المنصب بناءً على رغبة المسلمين، ولم يسعَ لها، لما وجدوا فيه من سابقة



في الإسلام، عندها أشارت السَّيدة الزهراء عليها السَّلام إلى الحاضرين في المسجد من المسلمين وبينت لهم مدى الجريمة التي ارتكبوها ومدى الانقسام الذي سبّبوه للأُمَّة من الانحراف عن الدين، والتزوير في شريعة سيد المرسلين، فهذا الأمر في رقبتكم وأنتم مسؤولون عنه إلى يوم القيامة، حيث خاطبتهم «يا معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها، كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأُخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه اغتصبتم، لتجدن والله محمله ثقيلاً وغبه وبيلاً»(٧١).

خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنساء المدينة

بعد أن اشتدت علّة السّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام بكسر ضلعها نحل جسمها حتى صار كالخيال، فتوافدت عليها نساء المهاجرين والأنصار للسؤال عن حالها، فخطبت فيهن خطبة ألقت فيها الحجّة البالغة على رجالهن الذين استصرختهم في المسجد النبويِّ، فلم تجد منهم ناصراً ولا مغيثاً لانتزاع حقِّها في فدك وحقِّ الإمام عليٍّ عليه السَّلام في إمامة الأُمَّة، فقد بينت لهن الأدلة والشواهد في أحقية الإمام عليٍّ عليه السَّلام بإمامة المسلمين بعد الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إذ خاطبتهن «أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد أنْ عجمتهم وشنأتهم بعد أنْ سبرتهم»(٧٢)، وهنا تشير عليها السَّلام إلى بغضها لهؤلاء المنافقين الذين امتنعوا عن نصرة آل الرسول، «ويحهم أنّى

زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوّة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطّبين بأُمور الدنيا والدين»(٧٣)، حيث جعلت مسؤولية انحراف الأُمَّة في رقابهم، لأنَّهم لم يوالوا من نصبه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم يوفوا بما عاهدوا عليه، وتذكيرهم بمدى الخسران المبين الذي هم عليه مستشهدة بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(٧٤)، وذكرت لهنَّ فضل الإمام عليٍّ عليه السَّلام بالإسلام وشجاعته وصولته لحماية حمى الأُمَّة وتشييد أركانها، فأيّ شيء أعابوه فيه حتى أبعدوه عن إمامة الأُمَّة، وقدَّموا عليه غيره «وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا والله منه نكير سيفه وقلَّة مبالاته لحتفه وشدَّة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله عزَّ وجلَّ»(٧٥).

كرست السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام جانباً كبيراً من خطبتها لتذكير النساء لأزواجهن فيما لو بايعوا الإمام عليّاً عليه السَّلام لردَّهم إلى الطريق القويم، ولم يرضَ منهم إلَّا التمسك بحبل الله المتين «والله، لو مالو عن المحجّة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة لردَّهم إليها، وحملهم عليها»(٧٦)، وبينت لهن بالتلميح الذي هو أقوى من التصريح أفضليّة الإمام عليٍّ عليه السَّلام حيث قالت: «وتالله لو تكافّوا عن زمامٍ نبذه إليه رسول الله لاعتقله، ثمّ لسار بهم سيراً سجحاً، لا يكلم خشاشه، ولا يكلّ سائره ولا يملّ راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً، صافياً روياً تطفح ضفتاه، ولا يترفق جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح

لهم سراً وإعلاناً»(٧٧)، حيث أشارت إلى أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام لو وليه إمامتهم لسار على كتاب الله وسيرة النبيِّ الكريم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، سيراً سهلاً ليس فيه أذية أو ملل، وسيسير بالعدل والإنصاف وعدم التفريق، ولكنَّهم عندما اختاروا ما فيه ضلالهم برضوخهم إلى حكم الباطل فسيلقون عاقبة أمرهم سوءاً، حيث تعجب كلَّ العجب من فعلهم وأي أساس استندوا عليه في اختيارهم أبا بكر «ليت شعري إلى أيّ لجأ لجأوا، وإلى أيّ سنادٍ استندوا، وعلى أيّ عمادٍ اعتمدوا، وبأيّ عروةٍ تمسّكوا، وعلى أيّ ذريةٍ قدّموا واحتنكوا، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل..»(٧٨)، وأنهت عليها السَّلام خطبتها بتذكيرهم عاقبة أمرهم وما يترتب عليه من عواقب وخيمة على الأُمَّة الإسلاميّة تؤدي إلى انهيار البناء الإسلامي الذي شيّده الرسول محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من خلال دعوته الشريفة «فيا حسرة لكم، وأنَّى بكم، وقد عميت عليكم، أنلزمكموها، وأنتم لها كارهون»(٧٩).

أعادت النساء قول السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام على رجالهنّ، فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يُبرَم العهد ويُحكَم العقد، لما عدلنا إلى غيره، عندها أدركت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام حجم نفاقهم ومراوغتهم، ففي الوقت الذي يرفضون فيه نقض بيعة أبي بكر مع أنَّها خلافة باطلة، لم يراعوا العهد والوعد الذي قطعوه مع رسول الله في غدير خم ببيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام،

فأيُّ تذكير وأيُّ وعيد يخشى منه هؤلاء بعد ذلك، فما كان جوابها عليها السَّلام إلَّا أنْ قالت: «إليكم عنّي، فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم»(٨٠).

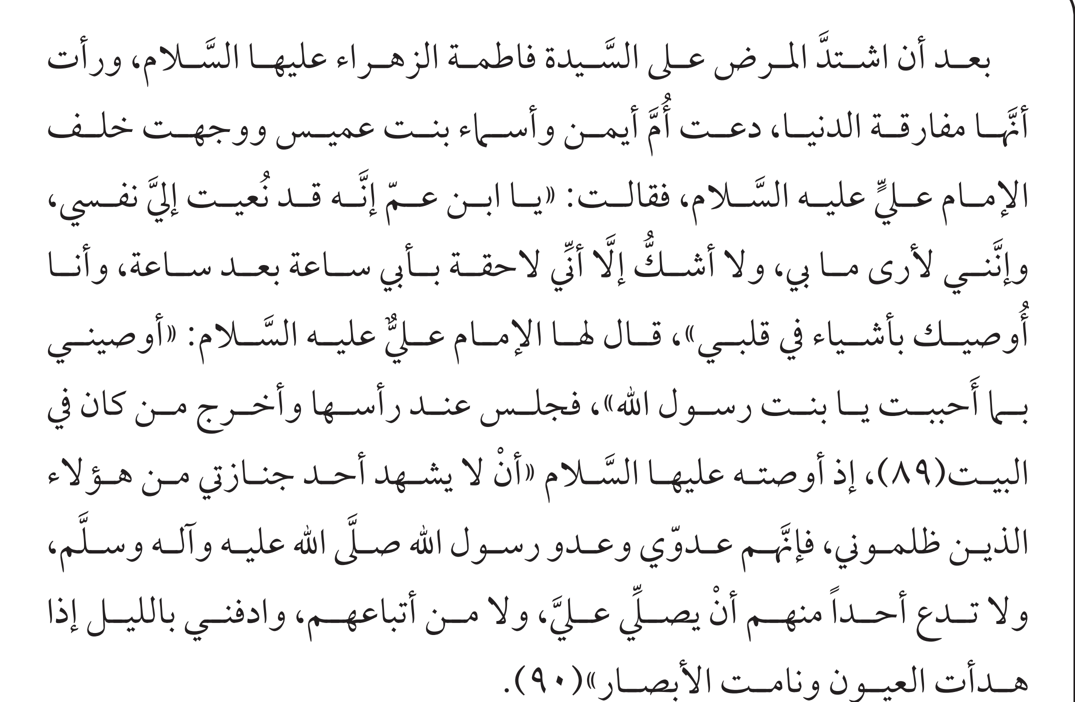
مقاطعة السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام لأبي بكر وعمر بن الخطاب

استمرت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام في جهادها عن حقِّ الإمامة الربانية، فقد اختارت الامتناع عن الكلام مع عمر بن الخطاب وأبي بكر، إذ أدانتهما بالقول والفعل وهي تشكو لأبيها منهما لما هجموا على دارها «يا أبتِ يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة(٨١)»، وقالت: «ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله»، «والله لا أُكلِّم عمر حتى ألقى الله»(٨٢)، ولمَّا منعها أبو بكر فدكاً حلفت أنْ لا تكلّمه أبداً(٨٣).

لم تكن السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام من سواد الناس، بل بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والأحب إلى قلبه، وهو القائل فيها: «فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني»، فما إن انتشر خبر سخطها على أبي بكر وعمر بن الخطاب، وتأليب المسلمين عليهم، حتى حاولا استرضاءها، فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى السّيدة فاطمة الزهراء فإنا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا عليها، فلم تأذن لهما، فاضطرا إلى توسيط الإمام عليٍّ عليه السَّلام بأنْ يشفع لهما، فاستجابت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام لتدخّل الإمام عليٍّ عليه السَّلام فأدخلهما عليها(٨٤)، فلمَّا قعدا

عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط! فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنَّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنَّك لأحبّ إليَّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنِّي مت، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلكِ وشرفكِ وأمنعكِ حقّكِ وميراثكِ من رسول الله، إلَّا أنِّي سمعت أباك رسول الله: لا نورث ما تركناه صدقة(٨٥)، فقالت عليها السَّلام: «أريتكما إنْ حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟»، قالا: نعم، فقالت عليها السلام: «نشدكما الله ألم تسمعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي؟ فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني»، قالا: نعم، سمعنا، من رسول الله، قالت: «فإنِّي أُشهد الله وملائكته، أنَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لأشكونكما إليه»(٨٦)، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه ومن سخطكِ يا فاطمة! ثمَّ انتحب أبو بكر(٨٧) وأخذ يبكي حتى كادت نفسه تزهق، وهي تقول: «والله، لأدعونّ الله عليه في كلِّ صلاة أُصليها»، ثمَّ خرج فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كلُّ رجل منكم مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي(٨٨).

استشهاد السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام


بعد أن اشتدَّ المرض على السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام، ورأت أنَّها مفارقة الدنيا، دعت أُمَّ أيمن وأسماء بنت عميس ووجهت خلف الإمام عليٍّ عليه السَّلام، فقالت: «يا ابن عمّ إنَّه قد نُعيت إليَّ نفسي، وإنَّني لأرى ما بي، ولا أشكُّ إلَّا أنّي لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي»، قال لها الإمام عليٌّ عليه السَّلام: «أوصيني بما أَحببت يا بنت رسول الله»، فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت(٨٩)، إذ أوصته عليها السَّلام «أنْ لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، فإنَّهم عدوّي وعدو رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا تدع أحداً منهم أنْ يصلِّي عليَّ، ولا من أتباعهم، وادفني بالليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار»(٩٠).

وما إنْ قُبضت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام حتى ارتجت المدينة بالبكاء والعويل كيوم فُقد فيه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واجتمع المسلمون وهم ينتظرون خروج الجنازة للصلاة عليها، فخرج لهم أبو ذر وقال لهم: إنَّ ابنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد أُخِرَ إخراجها في هذه العشية، فانصرف المسلمون(٩١)، وبعد أنْ جهزها الإمام عليٌّ عليه السَّلام صلَّى عليها مع الحسنين عليهما السَّلام وعقيل وعمار وسلمان والمقداد وأبو ذر، ودفنها ليلاً، في موقعٍ لا يعرف لهذا اليوم، إذ بنى الإمام عليٌّ عليه السَّلام حولها أربعين قبراً في البقيع (٩٢)، ثمَّ إنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام هاج به الحزن، فخاطب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائلاً: «ستنبئك ابنتك بتظافر أُمَّتك على هضمها، فأحفها السؤال،

واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر»(٩٣).

في الصباح حضر أهل المدينة للصلاة على السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام، فعلموا بدفنها ليلاً، قال عمر بن الخطاب: هاتوا النساء لنبش القبور وإخراج الزهراء بغرض الصلاة عليها، فبلغ ذلك الإمام عليّاً عليه السَّلام، فخرج غاضباً وبيده سيفه وهو يقسم بالله، لئن حول من القبور حجر ليضعن السيف فيهم، فتلقاه عمر بن الخطاب ومعه أصحابه فقال له: مالك والله يا أبا الحسن لننبشن قبرها ونصلِّي عليها، فاخذ الإمام عليٌّ عليه السَّلام بمجامع ثوبه وضرب به الأرض، وقال له: «يا ابن السوداء أمَّا حقي فتركته مخافة أنْ يرتد الناس عن دينهم، وأمَّا قبر فاطمة الزهراء فوالذي نفسي بيده لئن حول منه حجر لأسقين الأرض من دمائكم»، فجاء أبو بكر وأقسم عليه برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ يتركه، فخلَّى عنه وتفرَّق الناس(٩٤).

على الرغم من الاتفاق على أنَّ وفاتها سنة ١١هـ، إلَّا أنَّ الاختلاف نشأ في تحديد مدّة بقائها بعد أبيها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد تباينت في ذلك عدَّة روايات منها، أربعون يوماً، أو خمسة وسبعون يوماً، أو خمسة وتسعون يوماً(٩٥)، أو ستة أشهر(٩٦)، وفي رواية فضة سبعة وعشرون يوماً(٩٧)، ومهما يكن من أمر فإنَّ كلَّ هذه الأقوال تؤكد أنَّ مدَّة لبث السَّيدة فاطمة عليها السَّلام بعد أبيها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنَّما هي فترة يسيرة، وبذلك تحققت نبوءته بسرعة اللّحاق به، وأنَّها أوّل من يفد عليه من أهل بيته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم(٩٨)، فسلام على



السَّيدة فاطمة الزهراء يوم ولدت ويوم ماتت ويوم تبعث.

الخاتمة

بعد دراسة الموضوع اتضحت لنا عدة استنتاجات أهمّها:

١- لقد وضعت بيعة الغدير الحقَّ في نصابه، فالرسول محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا ينطق عن هوى إنْ هو إلَّا وحيٌ يوحى، وهذا يعني أنَّ الله تعالى وجَّه رسوله الكريم ليعلن للناس أجمعين أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام هو أَولى بخلافة المسلمين من بعده لما للإمام عليٍّ عليه السَّلام من مكانة عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي الإسلام.

٢- إنَّ من أهم الأبعاد التي أَسس لها يوم الغدير توضيح معنى الإمامة ببعديها النظري والعملي، والتي مثلت ضرورة حتميّة في الإسلام، فعليها يتوقف المشروع الإلهي، وعليه فقد أدَّت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام دوراً مهماً في الدفاع عن مفاهيم ودلالات بيعة الغدير واستمراريتها، فأوقفت حياتها الروحيّة والفكريّة والجسميّة للدفاع عن الرسالة والذود عن حياضها، فلولاها لاندثرت الإمامة واندرست معالمها.

٣- مثلت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام القدوة الصالحة لنساء الأُمَّة والمثل الأعلى لكلِّ قيم العزِّ والعظمة والشرف والطهارة، فعلى الرغم من المعاناة وقسوة الظروف كانت المرأة الصابرة والسَّند الروحي للإمام عليٍّ عليه السَّلام بعد أن ابتعد عنه الجميع، حيث أَدَّت عليها السَّلام دوراً متميزاً وحضوراً فاعلاً في نصرة الدين الإسلامي لإقرار ما



جاء في بيعة الغدير، فرسمت للمرأة المسلمة طبيعة الدور الشرعي الذي يجب أنْ تسير عليه في الحياة.

٤- انطلقت بروحها بعيداً عن ذاتها وعاشت مع الرسالة في فكرها وإحساسها، فأصبحت قرآناً يتحرك في الحياة على خطى ثابتة للوصول إلى الهدف الأسمى في تطبيق تعاليم الرسالة المحمدية، حيث كان لها دور كبير في الدفاع عن أمر الله الذي حمله وحافظ عليه أبوها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غدير خم.

٥- نجحت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام في كشف انحراف الأُمَّة التي انقلبت على أعقابها بعد وفاة الرسول محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفضح أخطر حركة تآمرية على الأُمَّة الإسلاميّة والدين المحمدي الأصيل، والمتمثلة ببيعة السَّقيفة مع بيان تبعاتها متلاحقة على آل البيت عليهم السَّلام وإلى يومنا هذا.

٦- إنَّ دفاع السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام عن الإمامة باعتبارها فرضاً إلهيّاً لا يختلف عن سائر الواجبات والفروض، فرأت من الواجب العمل على توضيح حقيقة الإمامة في النص القرآني والحديث النبويِّ، إذ كانت عليها السَّلام تسعى من مواجهتها انحراف الأُمَّة إلى تحقيق ثلاثة أهداف: الأوّل الدفاع عن الإمامة، والثاني الذود عن حياض الإسلام، والثالث الحرص على دين الناس والشفقة عليهم، فلقد كانت من الشفقة عليهم إلى درجة السعي لاغتنام أيِّ فرصة من أجل هدايتهم.



قائمة المصادر

١-القرآن الكريم.

٢- أبـو الفتـح محمّـد بـن عـليّ الكراجكـي المتـوفى سـنة ٤٤٩هــ، دليـل النـص بخـبر الغديـر عـلى إمامـة أمـير المؤمنـين عليـه السَّـلام، تحقيـق: عـلاء آل جعفـر، مؤسسـة آل البيـت عليهـم السَّـلام لإحيـاء الـتراث، قـم، ١٤١٦هـ.

٣- أبـو محمَّـد عبـد الله بـن مسـلم بـن قتيبـة الدينـوري المولـود ٢١٣هـ والمتـوفى ٢٧٦هــ، الإمامـة والسّياسـة المعـروف بتاريـخ الخلفـاء.

٤- أبـو منصـور الحسـن بـن يوسـف بـن المطهـر الأسـدي ٦٤٨-٧٢٦، كتـاب الألفـين الفـارق بـين الصـدق والمـين، ج١، تحقيـق: المؤسسـة الإسـلاميّة للبحـوث والمعلومـات، قـم.

٥- أحمـد محمـود صبحـي، نظريّـة الإمامـة لـدى الشـيعة الاثنـي عشريـة (دراسـة فلسـفية للعقيـدة)، منشـورات دار النهضـة العربيـة، بـيروت، ١٩٩١.

٦- إسـماعيل الأنصـاري الزنجـاني الخوينـي، الموسـوعة الكـبرى عـن فاطمة الزهـراء عليهـا السَّـلام، المجلـد ١١ بعـد وفـاة أبيهـا إلى وفاتهـا، قـم المقدسـة، ١٤٢٧هـ.

٧- إسـماعيل الأنصـاري الزنجـاني الخوينـي، الموسـوعة الكـبرى عـن فاطمة الزهـراء عليهـا السَّـلام، المجلـد ١٣ غصـب حقِّهـا وخطبهـا، قـم المقدسـة، ١٤٢٧هـ.



٨- المروج الخراساني، نظرة إلى الغدير، مؤسسة النشر الإسلامي، بيروت، ١٤١٦هـ.

٩- المولوي الحافظ علي محمّد فتح الدين الحنفي، فلك النجاة في الإمامة والصلاة، حققه وقدمه: أصغر عليّ محمّد جعفر، ط٢، مؤسسة دار الإسلام، (د، م)، ١٩٩٧م.

١٠- جعفر السبحاني، الحجّة الغراء على شهادة الزهراء، مؤسسة الإمام الصادق، مطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٢هـ.

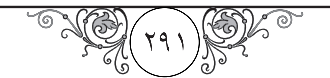
١١- حبيب بدرة، سلوا فاطمة عليها السَّلام، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٧.

١٢- رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسني الحسيني المتوفى ٦٦٤هـ، اليقين في إمرة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب، مؤسسة دار الكتاب، قم، ١٩٥٠م.

١٣- رياض سحيب روضان، علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي (دراسة في الإلهيات)، أُطروحة دكتوراه، قسم الفلسفة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠م.

١٤- سامي البدري، السّيرة النبويّة تدوين مختصر مع تحقيقات وإثارات جديدة، تحقيق وضبط النصوص: السَّيد حسن البدري والشيخ إحسان المظفر، ط٣، مطبعة الفقه، دار الفقه للنشر، قم، ٢٠٠٥م.

١٥- سليم بن قيس الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق:





محمّد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني، مطبعة الهادي، قم، ١٤٢٠هـ.

١٦- شكري ناصر المياحي، الإمام عليٌّ عليه السَّلام دراسة في الفكر العسكري، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠١٣م.

١٧- عادل الأديب، الإمام عليُّ بن أبي طالب عليه السَّلام أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام، مطبعة المغرب، بغداد، ٢٠١٣م.

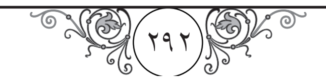
١٨- عباس محمود العقاد ومحمّد عمارة وآخرون، الإمام عليٌّ عليه السَّلام وقصة يوم الغدير، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، ص ١٩٩.

١٩- عبد الله البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، ج١١/ ٢، سيدة النساء فاطمة الزهراء ومستدركاتها، للسيد محمَّد باقر بن مرتضى الموحد الأبطحي الأصفهاني، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السَّلام، ط٣، قم، ١٤١٦هـ.

٢٠- عبد الرزاق المقرّم، وفاة الصديقة الزهراء عليها السَّلام، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.

٢١- عبد الزهراء عثمان محمّد الشهيد عزّ الدين سليم، الزهراء فاطمة بنت محمّد، مكتبة العلمين العامة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٩م.

٢٢- عبد المنعم الكاظمي، «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»، ج١٣،



مطبعة صوت الخليج، الكويت، ١٩٧٦م.

٢٣- علي الأحمدي الميانجي، ظلامة الزهراء في النصوص والآثار، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢٤- علي بن الحسين الهاشمي، المطالب المهمّة في تاريخ النبيِّ والزهراء والأئمّة، منشورات المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٦٨م.

٢٥- علي الحسيني الميلاني، حديث الغدير، مركز الأبحاث العقائديّة، قم، ١٤٢٠هـ.

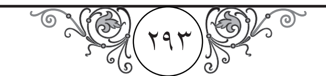
٢٦- علي محمّد فتح الدين الحنفي المتوفى ١٣٧١هـ-١٩٥٢م، فلك النجاة في الإمامة والصلاة، حققه وقدمه: أصغر عليّ محمّد جعفر، ط٢، مؤسسة دار الإسلام، لاهور، ١٩٩٧م.

٢٧- فاطمة علي الجعفر، التجليات الفاطميّة، القدس للطباعة والنشر، (د، م)، (د، ت).

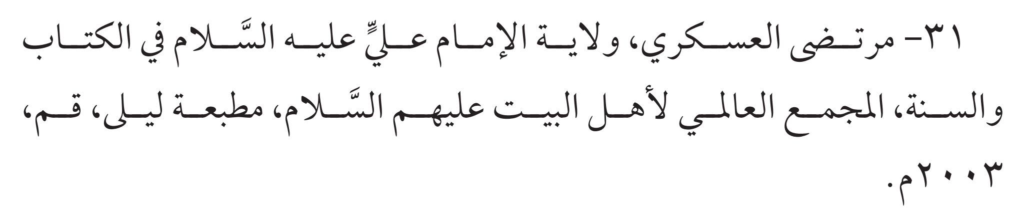
٢٨- فاطمة عليّ الجعفر، الغدير عيد أصحاب اليمين بولاية أمير المؤمنين، مشكاة النور، (د، م)، ٢٠٠٨م.

٢٩- فوزية المرزوق، نفحات من حياة فضة خادمة الزهراء عليها السَّلام، مؤسسة الإمام عليٍّ، القطيف، دار العلوم، ٢٠١٠م.

٣٠- مرتضى الخسروشاهي، معنى حديث الغدير، تقديم وتحقيق: السيد هادي الخسروشاهي، مؤسسة بوستان، كتاب مركز الطباعة والنشر، قم، ١٣٨٦هـ.






٣١- مرتضى العسكري، ولاية الإمام عليٍّ عليه السَّلام في الكتاب والسنة، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السَّلام، مطبعة ليلى، قم، ٢٠٠٣م.

٣٢- محمَّد باقر الحكيم، الزهراء أهداف، مواقف، نتائج، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف، ٢٠٠٦م.

٣٣- محمَّد بن الفتال النبشابوري الشهيد في سنة ٥٠٨هـ، روضة الواعظين، تحقيق: غلا محسين المجيدي ومجتبى الفرجي، مطبعة نكارش، منشورات دليل ما، قم، ١٤٢٣م.

٣٤- محمَّد صادق الخرسان، الغدير والمنصب محاولة لفهم المنصب واستحقاقاته عند أمير المؤمنين عليه السَّلام حسماً لإشكالية: المنصب مسؤولية أم امتياز، الأمانة العامة للعتبة الكاظميّة المقدسة، قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة شعبة البحوث والدراسات، بغداد، ٢٠١٣هـ.

٣٥- محمَّد كاظم القزويني، الإمام عليٌّ من المهد إلى اللحد، ط٢، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٦- محمَّد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، المطبعة العلمية، مكتبة بصيرتي، قم، ١٤١٤هـ.

٣٧- محمَّد مهدي الآصفي، الإمامة في التشريع الإسلامي تجديد في بحث الإمامة، مكتبة النجاح، النجف، ١٩٦٣م.

٣٨- مكارم الشيرازي، آيات الولاية في القرآن، تقديم: أبي القاسم



عليان نزادي، مدرسة الإمام عليٍّ، قم، ١٤٢٥، ص ٣٥٨-٣٥٩.

٣٩- منير السيد عدنان الخباز، ميثاق الإمامة في آية الولاية، تقرير: أحمد سلمان، ط٢، (د. م)، ٢٠١٤.

٤٠-نزيه القميحا، شرح خطبة الزهراء عليها السَّلام وأسبابها، ط٢، بيروت، ١٩٩٥هـ.

٤١- هاشم الميلاني، حديث الغدير بين أدلة المثبتين وأوهام المبطلين، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

٤٢- واثق الشمري، مظلومة من الولادة حتى الشهادة، ط٢، دار المتقين، بيروت، ٢٠١٠م.

الهوامش

١- سامي البدري، السيرة النبويّة تدوين مختصر مع تحقيقات وإثارات جديدة، تحقيق وضبط النصوص: السَّيد حسن البدري والشيخ إحسان المظفر، ط٣، مطبعة الفقه، دار الفقه للنشر، قم، ٢٠٠٥م، ص ٢٦٨-٢٦٩.

٢- عادل الأديب، المصدر السابق، ص ٩٩-١٠٠.

٣- رياض سحيب روضان، علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي (دراسة في الإلهيات)، أُطروحة دكتوراه، قسم الفلسفة كلية الآداب، الجامعة المستنصريّة، ٢٠١٠، ص ٣٤-٣٥.





٤- أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية (دراسة فلسفية للعقيدة)، منشورات دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٢٣-٢٢٤.

٥- القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

٦- محمّد صادق السّيد محمّد رضا الخرسان، الغدير والمنصب محاولة لفهم المنصب واستحقاقاته عند أمير المؤمنين عليه السَّلام حسماً لإشكالية المنصب مسؤولية أم امتياز، الأمانة العامة للعتبة الكاظميّة المقدسة، قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة شعبة البحوث والدراسات، بغداد، ٢٠١٤م، ص١٤.

٧- شكري ناصر المياحي، شكري ناصر المياحي، الإمام عليٌّ عليه السَّلام دراسة في الفكر العسكري، دار الفيحاء لطباعة والنشر والتوزيع، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠١٣م، ص ٢٨.

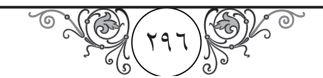
٨- القرآن الكريم، سورة التحريم، الآية: ٤.

٩- منير السيد عدنان الخباز، المصدر السابق، ص١٥-١٦.

١٠- القرآن الكريم، سورة النمل، الآية: ٣.

١١- رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني المتوفى ٦٦٤هـ، اليقين في إمرة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب، مؤسسة دار الكتاب، قم، ١٩٥٠م، ص ٥١.

١٢- هاشم الميلاني، حديث الغدير بين أدلة المثبتين وأوهام المبطلين،



المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، ص١٣٧.

١٣- المروج الخراساني، نظرة إلى الغدير، مؤسسة النشر الإسلامي، بيروت، ١٤١٦هـ، ص٥١.

١٤- سامي البدري، المصدر السابق، ص٢٦٤.

١٥- منير السيد عدنان الخباز، ميثاق الإمامة في آية الولاية، تقرير: أحمد سلمان، ط٢، (د. م)، ٢٠١٤م، ص ١٠٤.

١٦- عباس محمود العقاد ومحمّد عمارة وآخرون، الإمام عليٌّ وقصة يوم الغدير، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، ص ١٩٩.

١٧- محمّد صادق السيد محمّد رضا الخرسان، المصدر السابق، ص٧.

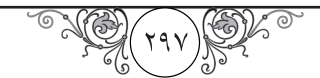
١٨- القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: ٦٧.

١٩- فاطمة علي الجعفر، الغدير عيد أصحاب اليمين بولاية أمير المؤمنين، مشكاة النور، (د، م)، ٢٠٠٨م، ص ٦.

٢٠- هاشم الميلاني، المصدر السابق، ص ١٣٧-١٣٨.

٢١- محمّد صادق السيد محمّد رضا الخرسان، المصدر السابق، ص ٨.

٢٢- أبو الفتح محمّد بن عليّ الكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩هـ، دليل النصّ بخبر الغدير على إمامة أمير المؤمنين، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السَّلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٦هـ، ص٣٧.





٢٣- علي الحسيني الميلاني، حديث الغدير، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ١٤٢٠هـ، ص١٢.

٢٤- مرتضى الخسروشاهي، معنى حديث الغدير، تقديم وتحقيق: السّيد هادي الخسروشاهي، مؤسسة بوستان كتاب مركز الطباعة والنشر، قم، ١٣٨٦هـ، ص ٢٨.

٢٥- القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: ٣.

٢٦-فاطمة علي الجعفر، المصدر السابق، ص ١٣-١٤.

٢٧- القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

٢٨-القرآن الكريم، سورة الفتح، الآية: ١٠.

٢٩- حيث شهد البيعة عدد كبير من المسلمين ممّن حجَّ مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حجّة الوداع وسمع خطبته التي أكد فيها بما لا يقبل الشك بإمامة الإمام عليٍّ عليه السَّلام على المسلمين بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لمزيد من التفاصيل ينظر: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسني الحسيني المتوفى ٦٦٤هـ، المصدر السابق، ص ١١٣-١٢٥.

٣٠- محمَّد باقر الحكيم، الزهراء أهداف، مواقف، نتائج، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف، ٢٠٠٦م، ص ٤٧.

٣١- محمّد بن الفتال النبشابوري، الشهيد في سنة ٥٠٨هـ، روضة



الواعظين، تحقيق: غلا محسين المجيدي ومجتبى الفرجي، مطبعة نكارش، منشورات دليل ما، قم، ١٤٢٣، ص ٢١٥-٢١٧.

٣٢- محمّد باقر الحكيم، المصدر السابق، ص ٦٣-٦٤.

٣٣- جهز الرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل وفاته جيشاً بقيادة أُسامة بن زيد لمواجهة خطر الروم على ثغور المسلمين، وقد شكل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذا الجيش من كبار الصحابة، وأهل النفاق لتخلو المدينة بعد وفاته سوى من الإمام عليٍّ عليه السَّلام ليتسنى له قيادة الأُمَّة الإسلامية دون منازع، إلَّا أنَّ الكثير من الجيش بقي في المدينة على الرغم من مناداة الرسول «جهزوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلف عنه»، إلَّا أنَّهم كانوا يدركون وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وقد بيتوا أمراً بإقصاء الإمام عليٍّ عليه السَّلام عن منصبه في قيادة الأُمَّة. لمزيد من التفاصيل ينظر: جعفر السبحاني، الحجّة الغراء على شهادة الزهراء، مؤسسة الإمام الصادق، مطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٢هـ، ص ٧-٨.

٣٤- عادل الأديب، المصدر السابق، ص١٠٥.

٣٥- محمّد مهدي الآصفي، المصدر السابق، ص ٢.

٣٦- علي محمّد فتح الدين الحنفي المتوفى ١٣٧١هـ-١٩٥٢م، فلك النجاة في الإمامة والصلاة، حققه وقدمه: أصغر علي محمّد جعفر، ط٢، مؤسسة دار الإسلام، لاهور، ١٩٩٧م، ص ٢٩-٣٢.

٣٧- ولدت السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام في ٢٠ جمادى الثانية





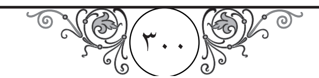
في السَّنة الخامسة للبعثة، أقامت بمكة ثماني سنين وبالمدينة عشر سنين، حظيت بمنزلة كبيرة عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، تزوجت من الإمام عليٍّ عليه السَّلام، ولها من الأولاد الإمامان الحسن والحسين وزينب الكبرى وأُمّ كلثوم. لمزيد من التفاصيل ينظر: عليّ بن الحسين الهاشمي، المطالب المهمَّة في تاريخ النبيِّ والزهراء والأَئمّة، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٨م، ص ١٤-١٨.

٣٨- جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص ١٦-١٧.

٣٩- قبض الرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بالمدينة يوم الإثنين لليلتين بقيتا من شهر صفر، أي في ٢٨ صفر سنة١١هـ، عن ثلاثٍ وستين سنة، ودفن بحجرته في المسجد النبويِّ. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمّد بن الفتال النبشابوري الشهيد في سنة ٥٠٨هـ، المصدر السابق، ص ١٨٢.

٤٠- واثق الشمري، مظلومة من الولادة حتى الشهادة، ط٢، دار المتقين، بيروت، ٢٠١٠م، ص ١٠٣.

٤١- في حوار دار بين عمر بن الخطاب وابن عباس قال فيه عمر: أتدري يا بن عباس ما منع الناس منكم؟ قال: لكنَّني أدري ما هو، فقد كرهت قريش أنْ تجتمع لكم النبوّة والخلافة، فتجحفوا الناس جحفاً، فنظرت لأنفسنا، فاختارت، وفقت وأصابت. لمزيد من التفاصيل ينظر: عادل الأديب، المصدر السابق، ص ١٢٣؛ علي الأحمدي الميانجي،



ظلامة الزهراء في النصوص والآثار، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٥٧ -٥٨.

٤٢- محمّد باقر الحكيم، المصدر السابق، ص ٤٢-٤٣؛ عبد المنعم الكاظمي، «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»، ج١٣، مطبعة صوت الخليج، الكويت، ١٩٧٦، ص ١٣٩-١٤٠.

٤٣- نزيه القميحا، شرح خطبة الزهراء عليها السَّلام وأسبابها، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٣١٤.

٤٤- حبيب بدرة، سلوا فاطمة عليها السَّلام، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٢١٢.

٤٥- إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء، المجلد ١١ بعد وفاة أبيها إلى وفاتها، قم المقدسة، ١٤٢٧هـ، ص ١١٧-١١٨.

٤٦- أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المولود ٢١٣هـ والمتوفى ٢٧٦هـ، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء ١-٢، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٠.

٤٧- جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠.

٤٨- عبد الله البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، ج١١/ ٢ سيدة النساء فاطمة الزهراء ومستدركاتها للسيد محمّد باقر بن مرتضى الموحد الأبطحي الأصفهاني،



تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السَّلام، ط٣، قم، ١٤١٦هـ، ص ٥٥٥-٥٥٦.

٤٩- جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص ٥٣.

٥٠- سليم بن قيس الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمّد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني، مطبعة الهادي، قم، ١٤٢٠هـ، ص ٣٨٧.

٥١- بعد أن جيء بالإمام عليٍّ عليه السَّلام إلى أبي بكر للمبايعة رفض الإمام عليٌّ عليه السَّلام مبايعته، إذ قال له: «أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أَولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم بالقرابة من النبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنا أحتج بمثل ما احتججتم به، فأنا أقرب منكم إلى رسول الله وأحقّ بالخلافة». لمزيد من التفاصيل ينظر: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المولود ٢١٣هـ والمتوفى ٢٧٦هـ، المصدر السابق ص ٢٨-٢٩.

٥٢- عبد الله البحراني الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٥٥٧-٥٥٨.

٥٣- محمّد كاظم القزويني، الإمام عليٌّ من المهد إلى اللحد، ط٢، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٢٢٨-٢٢٩.

٥٤- حبيب بدرة، المصدر السابق، ص ٢١٢.

٥٥- محمّد كاظم القزويني، المصدر السابق، ص ٢٢٩.

٥٦- فدك قرية في الحجاز قريبة من المدينة، كانت أرضاً يهودية حتى

السنة السابعة للهجرة، حيث قذف الله الرعب في قلوب أهلها، فصالحوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليها، فأصبحت ملكاً لرسول الله لأنَّها ممّا لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب بدليل الآية الكريمة ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وتؤكد أغلب المصادر الإسلامية أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد قدمها إلى ابنته الزهراء عليها السَّلام، وبقيت عندها حتى وفاته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث انتزعها أبو بكر منها عنوة. لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الزهراء عثمان محمّد الشهيد عزّ الدين سليم، الزهراء فاطمة بنت محمّد، مكتبة العلمين العامة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٩م، ص ١٢٥-١٢٧.

٥٧- واثق الشمري، المصدر السابق، ص ٧٣.

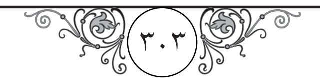
٥٨- القرآن الكريم، سورة النمل، الآية ١٦.

٥٩- سليم بن قيس الهلالي، المصدر السابق، ص ٣٩١.

٦٠- عبد الزهراء عثمان محمّد الشهيد عزّ الدين سليم، المصدر السابق، ص١٢٨-١٣٣.

٦١- حبيب بدرة، المصدر السابق، ص ٣٢١-٣٢٧.

٦٢- إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخويني، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء، المجلد ١٣ غصب حقِّها وخطبها، قم المقدسة، ١٤٢٧هـ،



ص ١٧٥.

٦٣- حبيب بدرة، المصدر السابق، ص ٣٢٩-٣٣٠.

٦٤- نزيه القميحا، المصدر السابق، ص ١١٨.

٦٥- محمّد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، المطبعة العلمية، مكتبة بصيرتي، قم، ١٤١٤هـ، ص ٣٥٨.

٦٦- إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخويني، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء، المجلد ١٣.

٦٧- حبيب بدرة، المصدر السابق، ص ٣٣٥-٣٣٨.

٦٨- عبد الزهراء عثمان محمّد الشهيد عزّ الدين سليم، المصدر السابق، ص ١٣٧.

٦٩- حبيب بدرة، المصدر السابق، ص ٣٤٧-٣٤٨.

٧٠- نزيه القميحا، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

٧١- حبيب بدرة، المصدر السابق، ص ٣٥٠-٣٥١.

٧٢- عليّ بن الحسين الهاشمي، المصدر السابق، ص ٢٠-٢١.

٧٣- حبيب بدرة، المصدر السابق، ص ٤١١.

٧٤- نزيه القميحا، المصدر السابق، ص ٣١١.

٧٥- محمّد كاظم القزويني، فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ٤٣٦.



٧٦- نزيه القميحا، المصدر السابق، ص٣١٢.

٧٧- حبيب بدرة، المصدر السابق، ص ٤١٣-٤١٤.

٧٨- محمّد كاظم القزويني، فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ٤٣٧-٤٣٨.

٧٩- عبد الزهراء عثمان محمّد الشهيد عزّ الدين سليم، المصدر السابق، ص١٤٥-١٤٦.

٨٠- علي بن الحسين الهاشمي، المصدر السابق، ص ٢٢.

٨١- أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المولود ٢١٣هـ والمتوفى ٢٧٦هـ، المصدر السابق، ص ٣٠.

٨٢- علي الأحمدي الميانجي، المصدر السابق، ص ١٠٣.

٨٣- إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخويني، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء، المجلد ١٣ ص٤٨.

٨٤- أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المولود ٢١٣هـ والمتوفي ٢٧٦هـ، المصدر السابق، ص ٣١.

٨٥- واثق الشمري، المصدر السابق، ص ٧٩.

٨٦- فاطمة علي الجعفر، التجليات الفاطميّة، القدس للطباعة والنشر، (د، م)، (د، ت)، ص ٣٥٤.

٨٧- حيث قال أبو بكر: لا آسى على شيء من الدنيا إلَّا على ثلاث فعلتهن ووددت أنِّي تركتهن، وثلاث تركتهن وددت أنِّي فعلتهن، وثلاث



وددت أنِّي سالت عنهن رسول الله -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-، فأمَّا الثلاث اللاتي وددت أنِّي تركتهن، فوددت أنِّي لم أكشف عن بيت فاطمة عن شيء، وإنْ كانوا قد غلقوه على الحرب. لمزيد من التفاصيل ينظر: جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص ٥٢.

٨٨- نزيه القميحا، المصدر السابق، ص ٢٤٥-٢٤٧.

٨٩- محمّد بن الفتال النبشابوري الشهيد في سنة ٥٠٨هـ، المصدر السابق، ص ٢٤٧.

٨٤- محمّد صادق السيد محمد رضا الخرسان، الغدير والمنصب، شعبة البحوث والدراسات الإمامة العامة للعتبة الكاظميَّة المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مطبعة دار النرجس، بغداد، العدد ٢٠٠٠، لسنة ٢٠١٤م.

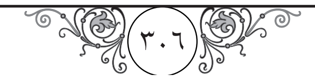
٩٠- عبد الرزاق المقرم، وفاة الصديقة الزهراء عليها السَّلام، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٠١.

٩١- محمّد بن الفتال النبشابوري الشهيد في سنة ٥٠٨هـ، المصدر السابق، ص ٣٤٩.

٩٢- عبد الرزاق المقرم، المصدر السابق، ص ١٠٥.

٩٣- جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص ٧٤.

٩٤- فاطمة علي الجعفر، التجليات الفاطمية، ص ٣٦٨.



٩٥- محمّد كاظم القزويني، الإمام عليٌّ من المهد إلى اللحد، ص ٢٣٢.

٩٦- واثق الشمري، المصدر السابق، ص ٧٣.

٩٧- فوزية المرزوق، نفحات من حياة فضة خادمة الزهراء عليها السَّلام، مؤسسة الإمام عليّ، القطيف، دار العلوم، ٢٠١٠م، ص ٨٣.

٩٨- محمّد كاظم القزويني، الإمام عليٌّ من المهد إلى اللحد، ص ٢٣٢.

واقعة الغدير مشترك اسلامي ومتطلب اجتماعي

الشيخ منير صادق الكاظمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله المصطفى واله الغر النجبا وبعد:

كثيرة هي المعطيات التي تكشف عن مدى حكمة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في معالجاته للموضوعات بنوعيها الديني والدنيوي فلقد برهنت الخطوات التي اتخذها رسول الله أمام الأحداث الجسام وهو يمعن في صياغة القرارات التي من شأنها توفير الاحتياطات والضمانات التي تحقق الصيانة للمشروع الإسلامي من حيث النجاح والبقاء والانتشار بين البلاد والعباد من جهة ومن جهة اخرى أسهمت خطوات النبي صلى الله عليه وآله في تصريف المواد المعرفية والفكرية والعلمية في الخطاب الإسلامي بين الناس بما يسهم في صناعة الشخصية الإسلامية، وإذا كانت طاقات الفاعل (رسول النبي صلى الله عليه وآله) متألقة في هذا الجانب كان قبالها قصور عند القابل (المجتمع والمحيط)، لذا كانت العقبات والمعوقات كثيرة لتحقيق هذه الجوانب الإيجابية في الحياة الإسلامية، منها

عامل الوعي عند الناس والقابليات المتفاوتة عندهم من حيث الإذعان والتقبل للتغيير الذي اراده الإسلام فيهم من حيث التحولات الاجتماعية من الجاهلية الى الإسلام، ومن العقبات أيضا كثرة الأعداء وما انبثق منهم من مؤامرات تجاه دولة النبي، ثم عامل الوقت ونعني به الأجل الذي يمكن أن يعيش به النبي صلى الله عليه وآله يكفي أم لا يكفي لتمرير ذلك كله، نعم فالوقت مطلوب على وجه الضرورة للتغيير في كل مجتمع والانتقال به من حال الى حال فلابد لذاك المحيط من تحولات أولها التعقل لذلك التغيير ومناهجه ثم الهضم والانصهار ثم مرحلة التطبيق، من هنا كان لزاما على الخاتم الأعظم صلى الله عليه وآله ولكي يتجاوز هذه المعوقات التفكير في إعداد القادة والسادة وأهل الريادة لتكميل المشروع الإسلامي من بعده حتى يأخذ مجاله في الحياة، وقد استفاض التاريخ وحفظ لرسول الله هذه التدابير بأمر من السماء ليقرأ على الناس ما أمرت به دوائر الوحي القرآني ليتعرف الناس على تلك الشخصية التي ستقوم بمهام الدور التكميلي لإتمام المشروع الإسلامي والوقوف أمام هذه العقبات اذا غادرنا رسول النبي صلى الله عليه وآله ورحل عن هذه الحياة، فصدحت أصوات التاريخ بواقعة الغدير التي صرح بها بالخلافة والولاية لعلي عليه السلام، ليكون الأمين على الشرع المبين بعد النبي والهادي إذ كان رسول النبي صلى الله عليه وآله هو المنذر، وما هذه الدراسة إلا محاولة في الغدير الأغر وحادثته التاريخية لنقف على شيء من تدابير الخاتم الأعظم صلى الله عليه وآله فيما يتعلق بهذا الشأن الخطير

الـذي هـو في صميـم الأمـة، لـذا خـرج البحـث بالعنـوان أعـلاه بمقدمـة وتمهيـد بعنـوان: التدابـير العمليـة في إدارة ميـدان الغديـر في الفكـر النبـوي. وبـه نقـف عـلى طبيعـة الأحـداث التـي قـام بهـا النبـي لتهيئـة المسـلمين لبيـان السـماء.

ثـم مبحثـين الأول بعنـوان: نـص الغديـر شـأن اسـلامي مشـترك في القـران والحديـث والتاريـخ. وفي هـذا المبحـث نقـف عـلى طبيعـة النصوص الإسـلامية القرآنيـة والحديثيـة والتاريخيـة، كمتبنيـات أجمـع عليهـا المسـلمون عـلى اختلاف اتجاهاتهـم فيـما يخـص حـدث الغديـر.

المبحـث الثـاني: الغديـر الاغـر متطلـب اجتماعـي وصيانـة للمـشروع الإسـلامي. وبـه نقـف عـلى طبيعـة التحـولات الاجتماعيـة التـي عاشـتها المنظومـة البشريـة في ربـوع الجزيـرة العربيـة مـن تأثـيرات اخلاقيـة وسـلوكية قبـل الإسـلام وبعـده، ومـا هـو دور الغديـر في تلـك التحـولات.

التمهيد: التدابير العملية في إدارة ميدان الغدير في الفكر النبوي.

وأول مـا يتبـادر الى الذهـن في التمهيـد السـؤال التـالي، اذا كان الغديـر الأغـر بـكل ظروفـه ومعطياتـه وتدابـيره وخطواتـه يفصـح ويـصرح بالإمامـة والولاية وتسـمية الشـخص لهـذا المنصـب الخطـير الـذي يحتـل المرتبـة الاسـمى مـن بـين العناويـن بالنسـبة الى مسـاحة الخطـاب الدينـي (الإمامـة والخلافـة)، فالسـؤال هـل كان الغديـر هـو البدايـة في هـذا الشـأن، وهـل كانـت وقعـة الغديـر هـي المنـبر الأول الـذي اعتـلاه النبـي صـلى الله عليـه وآلـه ليسـمي بـه عليـا عليـه

السلام اماما للأمة أم كانت هناك محاولات في هذا، ويا ترى الى أي مدى زمني تصل هذه المحاولات وماهي التدابير التي اتخذها رسول النبي صلى الله عليه وآله في هذا الشأن، ولأجل الوقوف على جواب هذا السؤال، لنا ان نقف على مظان التاريخ لنستخبر الحقيقة من خلال المواقف التي قام بها النبي في ما يخص شأن تسمية صاحب الإمامة والخلافة والولاية من بعده، وأول ما يستوقفنا في ذاك هو ما استفاضت به كتب التفسير وصرحت به صحائف متون الحديث وتلتها أسفار التاريخ والأخبار في ما يسمى بـ(حديث الدار) فلقد أورد الطبري في بيان هذه الواقعة ما نصه عن عبد الله بن عباس عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول النبي صلى الله عليه وآله وأنذر عشيرتك الأقربين دعاني رسول النبي صلى الله عليه وآله فقال لي يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبرئيل فقال يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رحل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول النبي صلى الله عليه وآله حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال

خذوا بسم الله فأكل القو م حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وايم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعا وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول النبي صلى الله عليه وآله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال لهد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول النبي صلى الله عليه وآله فقال الغد يا علي إن هذا الرجل سيقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثم قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول النبي صلى الله عليه وآله فقال يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعو له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع(١).

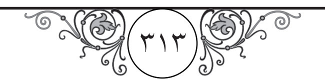
---

(١) الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، الناشر دارالكتب العلمية، بيروت،

نعم ذهبت بعض الأقلام من المؤرخة والمفسرة بإبدال عبارتي (خليفتي ووصيي) بلفظ (كذا وكذا)، بل ونقلها بعض ممن كتب بعبارة (وصيي وخليفتي) في طبعات كتابه الأولى وعمد الى حذفها واستبدالها في طبعة كتابه الثانية[1]، والذي يهمنا من هذا كله هو مانحن فيه من تاريخية التصريح بموضوع الخلافة والولاية بعد النبي والذي تبين من هذا الخبر انها تولدت مع أول دعوة للنبي لأهل بيته وأقربائه للإسلام، فالنبي يضع للخلافة والوصاية من بعده الأولوية في أول برامجيات وخطط الدعوة، وقد افصحت الرواية بالمسمى ومن هو كان، ولم يتوقف التاريخ في عطائه في تزويدنا فيما يخص هذا الشأن فهذا حديث المنزلة الذي حدد به النبي شأن علي عليه السلام منه فوقف النبي مرارا وتكرارا لبيان هذه الشأنية فقال مخاطبا عليا عليه السلام: وَخَرَجَ بِالنَّاسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ أَخْرُجُ مَعَكَ قَالَ فَقَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ لَا فَبَكَى عَلِيٌّ فَقَالَ لَهُ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَّا وَأَنْتَ خَلِيفَتِي قَالَ وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي

ط الأولى – ١٤٠٧هـ، ج١، ص٥٤٢؛ السيوطي، جامع الأحاديث (باب مسند علي بن ابي طالب)، ج٣١، ص١٥٤، رقم الحديث: ٣٣٩٨٤، النسخة التي تحوي جمع الجوامع للسيوطي وكتاب كنوز الحقائق للمناوي وكتاب الفتح الكبير للنبهاني؛ ابن كثير: ابو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير ابن كثير (تح:سامي محمد سلامة)، الناشر: دار طيبة، ط الثانية، ١٩٩٩م، ج٦، ص١٦٩.

(١) ينظر هيكل: محمد حسين، حياة محمد، الطبع والنشر: مطبعة مصر، القاهرة، ط الأولى، ١٣٥٤هـ، ص١٠٤.



كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي(١). والحادثة استفاضت بها كتب الحديث يوم ان استنفر رسول النبي صلى الله عليه وآله المسلمين في غزوة تبوك للقاء الروم، وقد جاء في بعض مرويات هذه الواقعة قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام مواسيا له بيان ابقاءه في المدينة: فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك(٢).

وهذا منبر ثان للنبي صلى الله عليه وآله وهو يصرح به في تسمية علي عليه السلام القائد والرائد والخليفة والحاكم من بعده والسائس لأمور العباد والبلاد، والفاظ النص لا تقبل التأويل في ذلك، وفي هذا اشارة الى ان النبي ولكثرة ما كان يبدي من اهتمام في أمر الخلافة والولاية والامامة، كانت هذه المفردات والعنوانات تشغل اهتماماته في السلم والحرب، لذا نجد ان رسول النبي صلى الله عليه وآله يحاول من خلال التكرار في التعامل في هذا الجانب تهيئة الأمة في معرفة امامها وقائدها بعد النبي وتحديد اصول المرجعيات من بعده في ذلك، فيصل بنا الحديث في تدابير النبي صلى الله عليه وآله وخطواته لتركيز هذا الأمر في الأمة على ما

---

(١) الشيباني: احمد بن حنبل، مسند احمد(تذييل شعيب الارنؤوط)، الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة، ج١، ص٣٣٠.

(٢) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين (تح: مصطفى عبد القادر)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٩٩٠م، ج٢، ص٣٦٧. أقول وقد استفاضت متون الأحاديث ومصنفاتها بنقل هذه الحادثة التي تصل الى عشرات المصادر في توثيقها، ينظر في ذلك الخرسان: عبد المطلب، حديث المنزلة اسانيده موارد صدوره، ط الثانية -٢٠١٢م.

تقتضيه الحكمة في ذلك ليضمن النجاح الى يوم الغدير ووقعته وما صرح به النبي بعد أن قطع الشوط الأول لينتهي بما نسميه بـ(حجة الوداع) وما الذي قام به النبي صلى الله عليه وآله من إعلام الناس في البيان السماوي في امر الخلافة والولاية من خطوات، وأول ما يخص هذا الجانب طبيعة الكم الجماهيري من المسلمين الذي حرص النبي على اخراجه معه في تلك السنة في حجه ليشكل حشدا من المسلمين فقد ذكر المفيد ما نصه: ثم اراد رسول النبي صلى الله عليه وآله التوجه إلى الحج، وأداء ما فرض الله تعالى عليه فيه، فأذن في الناس به وبلغت دعوته إلى أقاصى بلاد أهل الإسلام فتجهز الناس للخروج معه وحضر المدينة من ضواحيها ومن حولها ويقرب منها خلق كثير، وتأهبوا وتهيئوا للخروج معه[1]. وقد صرح بعض من كتب في احداث السنة العاشرة للهجرة ان النبي صلى الله عليه وآله كان يأمر الناس بالخروج، بل وأخرج معه كل أهل بيته بما فيهم نساءه بأجمعهن[2]، حتى ذكر بعضهم ان الاعداد قد وصلت الى تسعين الف وقيل مائة واربعة عشر الف وقيل عشرين الف وقيل اكثر[3].

والامر الاخر البيانات التي اطلقها رسول الله فيما يتعلق بأهل بيته،

(١) المفيد: محمد بن النعمان، الارشاد (تح: مؤسسة ال البيت: - قم)، الناشر المؤتمر العالمي لالفية الشيخ المفيد، ط الأولى - ١٤١٣هـ، مط: مهر - قم، ج١، ص١٧١.

(٢) هيكل: محمد حسين، حياة محمد، ص٤٠٦.

(٣) الحلبي: ابن برهان، اسيرة الحلبية، مط: محمد علي صبيح واولاده - ميدان الازهر - ١٩٣٥م، ج٣، ص٢٨٩.



ومن بين تلك البيانات ما صرحت به الروايات بما يعرف ب(حديث الثقلين) وهو ما نصه كما يروي المحدثون النبي صلى الله عليه وآله: عن جابر قال: رأيت رسول النبي صلى الله عليه وآله في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول «أيها الناس، قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي[(١)]. والاغرب ان علماء الحديث يصرحون بأن النبي قاله في عدة اماكن من رحلته الالهية في حجة الوداع[(٢)]، ثم الاعجب ان منهم يذكر ان النبي صلى الله عليه وآله قال عبارة الخليفتين ولم يقل الثقلين[(٣)]، وهذا التكرار في هذه المواطن في ذكر الحديث لبيان فضل أهل بيته ومحددا في الوقت نفسه ما يترتب على الناس من بيان من يجب اتباعهم كمرجعيات بعد النبي صلى الله عليه وآله هذا من امر النبي صلى الله عليه وآله في يوم عرفة يقرأ على الناس حديث الثقلين، ولكن النبي صلى الله عليه وآله لم

---

(١) الطبراني: احمد بن سليمان، المعجم الاوسط (تح: طارق بن عوض الله)، الناشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥هـ، ج٥، ص٨٩؛ الترمذي: محمد بن عيسى، الجامع الصحيح (تح: احمد محمد شاكر)، الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت، ج٥، ص٦٦٢، علق الالباني على الحديث بقوله: صحيح.

(٢) ينظر الطائي: نجاح، سيرة الإمام علي ٧، الناشر: دار الهدى - بيروت، ط الأولى: ٢٠٠٣م، ج٣، ص١٢١. فقد ذكر المؤلف تعدد المواطن التي بادر بها رسول االله ٦ في التصريح بهذا الحديث خلال حجته الوداعية الاخيرة.

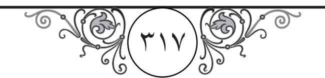
(٣) ينظر ابن ابي شيبة، مصنف ابن ابي شيبة (تح: كمال يوسف الحوث)، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ، ج٦، ص٣٠٩.

يكتف بذلك فيما يخص بيان شأن المرجعية من بعده، فتراه يوم منى[1]، يقرأ على الناس حديثا آخر وهو ما يسمى بحديث (الائمة من قريش) الوارد بطريق جابر بن سمرة السوائي فقد نقل عن النبي صلى الله عليه وآله قوله في ذلك اليوم: إن هذا الدين لا يزال عزيزا إلى اثني عشر خليفة قال ثم تكلم بكلمة لم أفهمها وضج الناس فقلت لأبي ما قال قال كلهم من قريش[2]. يكاد ان يكون هذا النص مما اجتمعت على نقله المتون الحديثية، ويبقى التساؤل الذي تحير به الشارحون لهذا الحديث عندما صالوا وجالوا في بيان تحديد من هم الائمة، وكلهم قد اخفقوا مهما اجتهدوا في تأويله وتخريجه لتحديد دائرة الاسماء لهؤلاء الأئمة كما صرح بذلك كبار المحدثين[3]، مع وجود اخبار صريحة في تحديد اشخاص الحديث واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فقد اورد صاحب حلية الأولياء عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله قوله: من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال عليا من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي فانهم عترتي خلقوا من طينتي رزقوا فهما وعلما وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي للقاطعين

(١) نجاح الطائي، سيرة الإمام علي ٧، ج٣، ص١٢٦.

(٢) الشيباني: احمد بن حنبل، مسند احمد (تعليق: شعيب الارنؤوط)، الناشر مؤسسة قرطبة – القاهرة، ج٥، ص٩٣.

(٣) ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن، كشف المشكل من حديث الصحيحين (تح: علي حين البواب)، الناشر: دار الوطن – الرياض – ١٩٩٧م، ج١، ص٢٨٩.



فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي[1]. قال أبو نعيم فالمحققون بموالاة العترة الطيبة هم الذبل الشفاه المفترشون الجباه الأذلاء في نفوسهم الفناة المفارقون لمؤثري الدنيا من الطغاة هم الذين خلعوا الراحات وزهدوا في لذيذ الشهوات وأنواع الأطعمة وألوان الأشربة فدرجوا على منهاج المرسلين والأولياء من الصديقين ورفضوا الزائل الفاني ورغبوا في الزائد الباقي في جوار المنعم المفضال ومولى الأيادي والنوال[2]، وهنا موضع آخر صرح به النبي صلى الله عليه وآله وهو الذي لا ينطق عن الهوى بأسماء الخلفاء والامراء والائمة من بعده،. وعند الشروع في الكلام عن حدث الغدير سوف يقف القاريء والمتتبع لما قام به النبي افصحت به روايات دللت على خطوات تمهيدية لافتة منه صلى الله عليه وآله اختزلها صاحب موسوعة الغدير[3]، بقوله: فلما قضى مناسكه وانصرف راجعا إلى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات وصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه جبرئيل الامين عن الله بقوله: يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك. الآية. وأمره أن يقيم عليا علما للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة

---

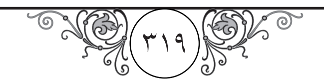
(١) الاصبهاني ابو نعيم احمد بن عبد الله، حلية الأولياء، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٥هـ، ج١، ص٨٦؛ السيوطي، جامع الأحاديث، ج٢٠، ص٣٨٢.

(٢) حلية الأولياء، ج١، ص٨٦.

(٣) الاميني: الشيخ عبد الحسين بن احمد النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والادب، الناشر دار الكتب الإسلامية - ١٣٦٦هـ - طهران، مط: حيدري، ج١، ص١٠-١١.

علـى كل أحـد، وكان أوائـل القـوم قريبـا مـن الجحفـة فأمـر رسـول الله أن يـرد مـن تقـدم منهـم ويحبـس مـن تأخـر عنهـم في ذلـك المـكان ونهـى عـن سـمرات خمـس متقاربـات دوحـات عظـام أن لا ينـزل تحتهـن أحـد حتـى إذا أخـذ القـوم منازلهـم فقـم مـا تحتهـن حتـى إذا نـودي بالصـلاة صـلاة الظهـر عمـد إليهـن فصـلى بالنـاس تحتهـن، وكان يومـا هاجـرا يضـع الرجـل بعـض رداء عـلى رأسـه وبعضـه تحت قدميـه مـن شـدة الرمضـاء، وظلـل لرسـول الله بثـوب عـلى شـجرة سـمرة مـن الشـمس، فلـما انـصرف صـلى الله عليـه وآلـه مـن صلاتـه قـام خطيبـا وسـط القـوم عـلى أقتـاب الابـل وأسـمع الجميـع:... إن الله مـولاي وأنـا مـولى المؤمنـين وأنـا أولى بهـم مـن أنفسـهم فمـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه، يقولهـا ثلـث مـرات، وفي لفـظ احمـد إمـام الحنابلـة: أربـع مـرات ثـم قـال: أللهـم وال مـن والاه، وعـاد مـن عـاداه، وأحـب مـن أحبـه، وأبغـض مـن أبغضـه، وانـصر مـن نـصره، واخـذل مـن خذلـه، وأدر الحـق معه حيـث دار، ألا فليبلـغ الشـاهد الغايـب، ثـم لم يتفرقـوا حتـى نـزل أمـين وحـي الله بقولـه: أليـوم أكملـت لكـم دينكـم وأتممـت عليكـم نعمتـى، الآيـة. فقـال رسـول النبـي صـلى الله عليـه وآلـه: ألله اكـبر عـلى إكـمال الديـن، وإتمـام النعمة، ورضى الـرب برسـالتي، والولايـة لعـلي مـن بعـدي، ثـم طفـق القـوم يهنئـون أمـير المؤمنـين صلـوات الله عليـه وممـن هنـأه في مقـدم الصحابـة: الشـيخان ابـو بكـر وعمـر كل يقـول: بـخ بـخ لـك يـا بـن ابـى طالـب أصبحـت وأمسـيت مـولاي ومـولى كل مؤمـن ومؤمنـة.

الى هنـا نكتفـي بحشـد الأخبـار والآثـار النبويـة التـي دللـت عـلى حـرص



النبي لتوضيح امر امامة علي وخلافته ووصايته التي لاحت للقريب وللبعيد وعبر ما احتفظت به مدونات الحديث واسفار التاريخ وكتب التفسير، ان البعد الزمني لهذا الأمر يكاد ان يكون من اليوم الأول لدعوة النبي ولقد ساير الدعوة حتى اعلام النبي المسلمين انه سوف يلتحق بربه فختم امر الإمامة والوصاية مع ختم حياته في حجة الوداع، متخذا بذلك صلى الله عليه وآله الخطوات والتدابير في صيانة هذا الأمر والحفاظ عليه وإلزام المسلمين باتباعه، ومن بين تلك الخطوات اقدام النبي صلى الله عليه وآله على إبلاغ الأمة ولاية علي عليه السلام بظروف ومميزات خاصة، تمثلت بالاجتماع الكبير والحشد الجماهيري الاكبر من المسلمين، والأسلوب الخاص في البيان، والمنبر الخاص الذي تفرَّدت به هذه الواقعة التاريخية، وأنها تزامنت مع وداع النبي صلى الله عليه وآله لأمته، وأمر آخر يكمن في اختيار الظرف الجغرافى في ملتقى الطرق في الجحفة قبل أن يتفرق المسلمون في طريق عودتهم إلى أوطانهم، وبالصيف الحار الذي كان في تلك الأيام الثلاثة في تلك الصحراء الملتهبة، وامور اخر اعرضنا عن ذكرها من أرادها فليرجع الى مصادر التاريخ المعتبر التي امتلأت في نقل هذه الحادثة والتي تدلل من القريب والبعيد وتكشف عن حكمة النبي صلى الله عليه وآله في إدارة هذا التبليغ السماوي ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المبحث الأول بعنوان: نص الغدير شأن اسلامي مشترك في القران والحديث والتاريخ

وفي هـذا المبحـث سيأخذ الـكلام مجالـه وفـق مـا يسـمى بالمنهـج التاريخـي القائـم عـلى استقصاء كل مـا يتعلـق في امـر الغدير عـبر مصنفـات الماضين نقف عـلى النـص الغديـري مـن نوافـذ النصـوص الإسـلامية القرآنيـة والحديثيـة والتاريخيـة، كمتبنيـات أجمـع عليهـا المسـلمون عـلى اختـلاف اتجاهاتهـم فيـما يخـص حـدث الغديـر، وأول مـا يقـرره المتتبـع لحادثـة الغديـر سـوف يجـد ان الباحـث اينـما توجـه بخيالـه العلمـي وشـخص بناظريـه سـواء نحـو كتـب التفسـير أو أسـفار التاريـخ أو متـون الحديـث سـيجدها مستفيضة في نقـل هـذا الحـدث والوقـوف عليـه بـل وسـيجد أن النقـول التاريخيـة والنصـوص تتناولـه عـلى نحـو التفصيـل، بـل لقـد اعتـاد القدمـاء وممـن بعدهـم سـواء الحافـظ منهـم أو المحـدث أنهـم اذا وقفـوا عـلى حديـث متواتـر كثـر ذكـره في المصنفـات والمؤلفـات وتعـدد رواتـه وكثـر حاملـوه، ألفـوا فيـه أجـزاء وأبوابـا خاصـة في مصنفاتهـم الحديثيـة، مـن هنـا نقـف عـلى حديـث الغديـر وقـول النبـي صـلى الله عليـه وآلـه فيـه (مـن كنـت مـولاه فهـذا عـلي مـولاه) أدرجـوه كعنـوان شـاخص في الانقـال الحديثيـة، وهنـا لابـد مـن إشـارات وومضـات لهـا الصلـة في ذلـك نذكرهـا متسلسـلة وردت مـن خـلال كلـمات العلـماء في ذلـك.

فحديـث الغديـر ووقعتـه حـضي باهتـمام العلـماء ممـا دفـع بهـم الى وضـع مصنفـات خاصـة فيـه عـلى مـر القـرون واختـلاف الدهـور وكـرور الليـالي والايـام، ولقـد احـصى ذلـك بجهـود مشـكورة صاحـب كتـاب الغديـر في الـتراث الإسـلامي بقولـه: ويظهـر ممّـا يـأتي أن التأليـف في الغديـر بـدأ منـذ



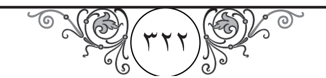
القرن الثاني، ومنذ بداية نشأة التأليف، واستمر حتى اليوم[1]. وقد احصى مما كتب في الغدير عبر القرون من المصنفات حتى قاربت المائتي كتاب موزعة من القرن الثاني حتى القرن الخامس عشر وأما ما يخص الحديث فيما يتعلق بالإسناد فدونك ما سطرته يراع العلامة الفذ الشيخ الاميني في موسوعته الخالدة[2]، حيث افرد عنوانا في بيان سند الحديث الذي ذكرته الأئمة من الحفاظ والمحدثين فأحصى أسمائهم ومؤلفاتهم في ذلك ما بلغ الثلاث والاربعين ما بين محدث وحافظ عبر القرون، ابتدأهم بالحافظ ابو عيسى الترمذي وأنهاهم بالحافظ المعاصر شهاب الدين ابو الفيض احمد بن محمد بن الصديق الحضرمي.

وقد علق العلماء على شهرة حديث الغدير على نحو التصريح بأقوال منها، قول الذهبي في ترجمته لابن جرير الطبري في كتابه الذي الفه في اثبات حديث من كنت مولاه: رأيت مجلداً من طرق هذا الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرة تلك الطرق[3]. وأعجب من ذلك ما نقل عن احد العلماء وهو علي بن محمد أبى المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين أستاذ أبي حامد الغزالي فيما يخص مؤلفات كتبت في سند حديث الغدير قوله: رأيت مجلدا في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر غدير

(١) الطباطبائي: السيد عبد العزيز، الغدير في الثراث الإسلامي، الناشر والطبع: مركز الابحاث العقائدية – قم، ص٢١.

(٢) الغدير في الكتاب والسنة والادب، ج١، ص٢٩٤.

(٣) الذهبي: محمد بن احمد، تذكرة الحفاظ، مط: مجلس دائرة المعارف النظامية. الهند حيدر اباد، ١٣٣٣هـ، ج٢، ص٢٥٣.



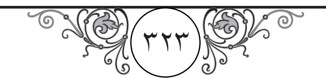
خم مكتوبا عليه المجلدة الثامنة والعشرون من طرق النبي صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون[(١)]، وقد نقل عن الحافظ شمس الدين الذهبي قوله في نص الحديث معلقا: أن «من كنت مولاه فعلي مولاه» متواتر يتيقن أن رسول النبي صلى الله عليه وآله قاله، وأما اللهم وال من والاه، فزيادة قوية الإسناد[(٢)]. قال علامة اليمن المقبلي فيما يخص شأن حديث الغدير: انه إذا لم يكن حديث غدير خم معلوما فليس شيء بمعلوم في دين الإسلام[(٣)]. أقول لقد وضع هذا الفقيه العالم الأحاديث بمجموعها المأثورة عن النبي وضع القبول والرفض بلحاظ قبول حديث الغدير فإذا جاء من ينكر هذا الحديث فجدير به رفض المجموعة الحديثية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله حيث انها لاترتقي بالسند والتواتر والشهرة كهذا الحديث، وأما على مستوى التفاسير ونقلها للحديث وواقعة الغدير فهذا ابن كثير قد تعرض الى نقل الحادثة وتوثيقها[(٤)]، وهذا السيوطي في تفسيره للاية ٥٥

(١) القندوزي: سليمان بن ابراهيم الحنفي، ينابيع المودة لذوي القربى (تح: سيد علي جمال اشرف)، الناشر والطبع: دار اسوة - قم، ١٤١٦هـ، ج١، ص١٠١.

(٢) الالوسي: السيد محمود ابو الثناء، تفسير روح المعاني، ط الأولى - ١٣٠١هـ، مط: بولاق - مصر، ج٢ ص٣٥٠.

(٣) الحسيني: السيد محمد علي هبة الدين، رسالة غديرية (تح: د الشيخ عماد الكاظمي)، الناشر: مركز احياء تراث السيد هبة الدين) العراق الصحن الكاظمي، ط الأولى - ١٤٣٣ هـ، مط: مكتب المصادر - بغداد، ص٥٩.

(٤) ابن كثير: اسماعيل بن عمر، تفسير ابن كثير(تح: سامي محمد سلامة)، الناشر: دار طيبة، ط الثانية - ١٩٩٩م، ج٣، ص٢٨.



من سورة المائدة، والفخر الرازي في تفسيره الكبير[1].

وأما التاريخ فما زالت نوافذه تحكي للقريب والبعيد للسابق واللاحق فضائل علي عليه السلام وسوابقه وسيرته ومسيرته، ودونك المصادر المعتبرة للتاريخ قد تكفلت في هذا، وقد افردت للأجيال حياة علي عليه السلام فوائد وفرائد وعوائد ومبان ومغان ومعان شهد بها المؤالف والمخالف فهذا ابن خلدون وهو يحكي عن عقائد الشيعة في الإمامة على انها نص غير مفوض أمره للامة قائلا لقد استدلوا ـ أي الشيعة ـ بنصوص عبر عنها مرة بقوله ما هو جلي وخفي، وعندما جاء لنص الغدير اعتبره من النصوص الجلية فيقول: وتنقسم هذه النصوص عندهم إلى جلي وخفي: فالجلي مثل قوله: من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا: ولم تطرد هذه الولاية إلا في علي، ولهذا قال له عمر: أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ومنها قوله: أقضاكم علي، ولا معنى للإمامة إلا القضاء بأحكام الله وهو المراد بأولي الأمر الواجبة طاعتهم بقوله: « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، والمراد الحكم والقضاء. ولهذا كان حكماً في قضية الإمامة يوم السقيفة دون غيره. ومنها قوله: من يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي، فلم يبايعه إلا علي[2].

وهنا لابد من وقفة في هذا الخبر الذي يعتبره ابن خلدون من النصوص

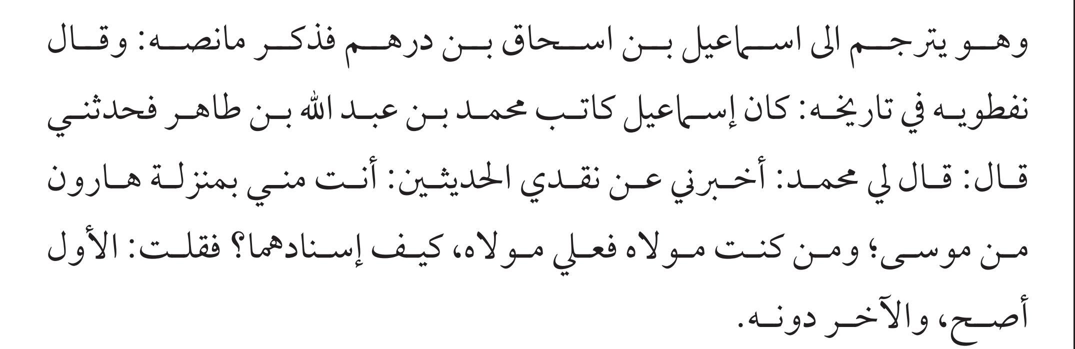
(١) الفخر الرازي، تفسير الكبير، الناشر والمحقق: دار احياء التراث العربي- بيروت، ط الرابعة - ١٤٢٢هـ، مج ٤، ج١٢، ص٤٠١.

(٢) ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون (مراجعة لجنة من العلماء)، الطبع والنشر: مكتبة ومطبعة: مصطفى محمد - شارع محمد علي - مصر، ص١٩٧.

الجلية بتعبيره أي الواضحة في سندها وشهرتها وتواترها على ما عبر هو بلفظ (جلي) والذي يهمنا من النص الذي ساقه ما يتعلق بقوله: من يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي، فلم يبايعه إلا علي. ففيه من الدلالة والإشارة على ان عليا هو الإمامة بحكم وفائه للمشارطة التي ذكرها النبي في بيعته فما كان من القوم الذين بايعوه إلا علي بحكم هذا النص، واما مايخص خبر الغدير وسنده فقد اعتبره نص جلي ببيعة علي عليه السلام. وهذا الخطيب البغدادي يروي رواية الغدير باسناد مسلسل وهو يترجم ليحيى بن عمر الاخباري قول الاخير لرواية في ذلك يسندها معنعنة الى عبد ارحمن بن ابي ليلى قوله: سمعت علياً - بالرحبة - ينشد الناس من سمع رسول رسول النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»؟ فقام اثني عشر بدرياً فشهدوا أنهم سمعوا رسول النبي صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[1]. وفي هذه الرواية وثق اثنا عشر رجلا بدريا ممن قاتل مع رسول الله شاهدين على قول النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه. ومن روائع ما جاء في التاريخ وهي يحكي عن سند الغدير ووقعته وما قال فيه رسول الله وما قاله النبي صلى الله عليه وآله في حديث المنزلة ما ذكره الحافظ الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام

(١) الخطيب البغدادي: احمد بن علي، تاريخ مدينة السلام (تح: د بشار عواد)، النشر والطبع: دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ١٤٢٢ه، ج١٦، ص٣٤٨.




وهـو يترجـم الى اسـماعيل بـن اسـحاق بـن درهـم فذكـر مانصـه: وقـال نفطويـه في تاريخـه: كان إسـماعيل كاتـب محمـد بـن عبـد الله بـن طاهـر فحدثنـي قـال: قـال لي محمـد: أخـبرني عـن نقـدي الحديثـين: أنـت منـي بمنزلـة هـارون مـن موسـى؛ ومـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه، كيـف إسـنادهما؟ فقلـت: الأول أصـح، والآخـر دونـه.

قـال نفطويـه: فقلـت لإسـماعيل القـاضي: فيـه طـرق، رواه البصريـون والكوفيـون؟ فقـال: نعـم، وقـد خـاب وخسر مـن لم يكـن عـلي مـولاه. هـذا لفـظ إسـماعيل[1]. وقـد عـبر الحاكـم العبـاسي المهـدي عـن حديـث الغديـر عندمـا وبـخ احدهـم لشـتمه عليـا عليـه السـلام فقـال: وشـتمك أبـا الحسـن عـلي بـن أبي طالـب ووقوعـك فيـه وتنقصـك إيـاه وولايتـك مـن عـاداه. فـالله عصيـت ونبيـه عاديـت فقـد أتـاك يقـين راض وحديـث صـادق عـن النبـي صـلى الله عليـه وآلـه وقولـه: مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه[2]. وقـال احـد المعاصريـن في حديـث مـن كنـت مـولاه مانصـه: قـال الإمـام أحمـد واسـماعيل القـاضي والنسـائي وابـو عـلي النيسـابوري: لم يـرد في حـق أحـد مـن صحابـة بالأسـانيد الجيـاد أكثـر ممـا جـاء في عـلي ومنهـا حديـث: مـن كنـت مـولاه

(١) الذهبي: احمد بن محمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الاعلام (تح: د عمر عبد السلام تدمري)، النشر والطبع: دار الكتاب العربي - بيرت، ط الثانية - ١٩٩٣م، ج٣٠، ص١٢٤. وقد خرج المحقق مصادر الحديثين وكانت بالعشرات.

(٢) الليثي: ابو عمر خليفة بن خياط، تاريخ خليفة ابن خياط (تح: د أكرم ضياء العمري)، الناشر: دار القلم - مؤسسة الرسالة دمشق - بيروت، ط الثانية ١٣٩٧هـ، ج١، ص١٣١.

فعلي مولاه، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم له: أنت مني وأنا منك[1].
أقول بعد هذه المحاولة في هذا المبحث التي جرت بلحاظ حشد نصوص الغدير من هذه المضان المعتبرة، ومحاولة عرض بعضا من تعليقات العلماء عليها على ضوء العقل والمنطق بآلية علمية وموضوعية، بقي ان نشير الى ما يتعلق من شهرة نص الغدير ووقعته بما جاء على السنة بعض المعاصرين من علماء الإسلام نذكر بعضا منهم ممن كتب معلقا ومقرضا لموسوعة الغدير التي كتبها العلامة الاميني وهي اعتراف بالحق ذكرها الشيخ عبد الامير قبلان وإليك بعضا منها:

قال الاستاذ محمد عبد الغني المصري في رسالة كتبها للعلامة الاميني في سنة ١٩٥٢.

قال فيها: ولما كانت واقعة الغدير (غدير خم) من الحقائق الثابتة التي لا تقبل الجدل وكان الحديث حديث الغدير مما كاد ينعقد اجماع الأمة الإسلامية سنة وشيعة على صحته الى ان قال: ولما كان حديث الغدير قد بلغ من الصحة والتواتر وقوة السند مبلغا لا يحتاج معه الى اثبات مثبت، او تأييد مؤيد فقد كان الموقف الجليل في غنى ان يخص صحة اسناد الحديث بفضل، فأنه لا يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل... ولكنه جرى في المنهج العلمي على سنن الجادة واستقامة القصد. فالترمذي يقول في صحيحه: ان هذا حديث حسن صحيح. والحافظ ابن عبد البر القرطبي يقول بعد ذكر حديث المؤاخاة وحديثي الراية

(١) العمري: اكرم بن ضياء، عصر الخلافة الراشدة، الناشر مكتبة العبيكان، ج١، ص٨٧.



والغدير. هذه كلها اثار ثابتة.

ويقول الاستاذ صفاء خلوصي.

ان قضية الغدير لا شك في صحته اذ لا يمكن ان تبنى هذه الروايات المتوافرة، والقصائد الطوال على شيء غير واقع فالثابت ان موقف الرسول في غدير خم مما يمكن الايمان بصحته وإثباته بنصوص كثيرة تخرج عن نطاق الحصر.

ويقول الاستاذ الشيخ محمد سعيد دحدوح امام جمعة وجماعة في اريحا من نواحي حلب في كتاب ارسله الى الشيخ الامين سنة ١٩٥٠ نعم وقفت امام تبج الغدير وخضت غماره، وسبحت فيه، فاذا امامي مشاهد التاريخ، واقلام الزمان، واقلام المؤلفين، وفصول الكتب، ونشيد الشعر، واريج الحديث تدلني على ان الغدير حق ليس بمختلف، وان الناس يقولون ما لا يعلمون اما ابتغاء الفتنة، او تقربا للملوك الظالمين، او جبنا عن النطق بالصواب والواقع.

ويقول الاستاذ الكبير عبد الفتاح عبد المقصود في رسالة كتبها الى صاحب موسوعة الغدير.

ان حديث الغدير لا ريب حقيقة لا يعتورها باطل، بلجاء بيضاء كوضح النهار، وانه لنفثة من نفثات الالهام جاشت بها نفس الرسول الكريم لتقرر بها قدر ربيبه وصفيه وأخيه بين امته واصفيائه المحبين.

وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم[1].

المبحـث الثـاني: الغديـر الاغـر متطلـب اجتماعـي وصيانـة للمـشروع الإسـلامي.

وبـه نقـف عـلى طبيعـة التحـولات الاجتماعيـة التـي عاشـتها المنظومـة البشريـة في ربـوع الجزيـرة العربيـة مـن تأثـيرات اخلاقيـة وسـلوكية قبـل الإسـلام وبعـده، ومـا هـو دور الغديـر في تلـك التحـولات.

وقبـل الخـوض في مـا يخـص هذا المقـام مـن الحديـث في أمـر الغدير لابـد هنا مـن مقدمـة، والحديـث فيهـا انـه مـع بـروز احـداث تاريخيـة شـديدة الوضـوح، محفوفـة في سـلامة السـند قويـة في ظهورهـا لاحـت كحقيقـة ناصعـة إلا إن هـذا كلـه سـوف لايشـفع في احيـان كثـيرة للتسـليم بامـر تلـك الواقعـة والاعـتراف بهـا حديثـا كانـت أم نصـا تاريخيـا، وذلـك لـبروز مـا يسـمى بالمفاهيـم عـلى سـاحة ذلـك النـص وتزاحمهـا المسـتمدة مـن اختـلاف المشـارب والعقائـد، فـكل سـوف يفـسر النـص أو الوقـع التاريخـي ويسـتنطقه حسـب مفهومـه، وليـس ببعيـد مـن حوكمـة الأهـواء والعصبيـات والأمزجـة وهـذا مـا يسـمى بمحنـة النـص ايـاً كان نوعـه، وبالتـالي فـان النـص التاريخـي أو الحديثـي سـوف يلـج دائـرة خدعـة التحليـل العقـدي والأيدلوجيـة المذهبيـة وهكـذا مـن أمـور سـوف تسـهم في تفريـغ محتـوى النـص مـن مداليلـه الحقيقيـة.

ولتجنـب بعـض هـذه العراقيـل فـلا نقـول كلهـا والتـي طالمـا عانـى منهـا

(١) ينظر في نصوص هذه الكلمات قبلان: الشيخ عبد الامير، على ضفاف الغدير، النشر والطبع: دار الغدير – بيروت، ص٢٢.



المنهج التاريخي، يأتي الحديث بعيدا عن هذا كله فيما يخص الغدير، لنقرأ الغدير وأثره على الواقع الاجتماعي وما يتطلبه ذلك الواقع من تغييرات وفق الستراتيجيات المستقبلية في إطار المشروع الإسلامي وما سوف يترتب على ذلك الواقع من تبدلات وتحولات اجتماعية، فلا يخفى على الجميع ان البيئة الاجتماعية التي قام بها الإسلام قد ارخ لها المؤرخ بما يصطلح عليها بتاريخ المجتمع العربي الجاهلي، الذي طالما عانا ماعانا من خلل في السلوك وخطل في الافكار، توالت عليه سلطة الوثن فكان صريعا بصورة الواقع المتردي الذي صوره الفذ ابن عم النبي وسفيره الى الحبشة جعفر بن ابي طالب رضوان الله عليه وهو يخاطب ملك الحبشة عند نزوح الثلة الاوائل من المسلمين بأمر من النبي صلى الله عليه وآله لدولته هربا من اضطهاد قريش لهم، شارحا له واقع المجتمع انذاك بقوله: (أَيّهَا الْمَلِكُ كُنّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ وَيَأْكُلُ الْقَوِيّ مِنّا الضّعِيفَ فَكُنّا عَلَى ذَلِكَ حَتّى بَعَثَ اللّهُ إلَيْنَا رَسُولًا مِنّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إلَى اللّهِ لِنُوَحّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدّمَاءِ وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصّلَاةِ وَالزّكَاةِ وَالصّيَامِ...)[1]. وهذا السفير المؤتمن انما لخص بكلماته

(١) ابن هشام: سيرة ابن هشام(تح:د عمر عبد السلام تدمري)، الناشر: دار الكتاب العربي –

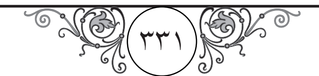
هـذه المشـاهد الاجتماعيـة للجزيـرة العربيـة واهلهـا عـلى مختلـف الأصعـدة الحياتيـة المدنيـة، فالعقيـدة التـي هـي مـادة الفكـر ومنبعـه، صورتهـا الحجـارة والخشـب، والبنـاء الاقتصـادي يمتهنـه الفـرد بثقافـة اللصوصيـة القائمـة عـلى السـلب والنهـب حتـى قـال شـاعرهم:

السـيف والخنجـر ريحاننـا — أفٍّ عـلى النـرجسِ والآسِ
شرابنـا مـن دم أعدائنـا — وكأسنا من جمجمة الـرَّاسِ(١)

العظمـة فيـه بالنسـبة للمعيـار الاجتماعـي للشـخص هـي بقـدر مـا يملـك بعيـدا عـن حسـبه ونسـبه واخلاقـه، والشـخص فيـه لا يتمتـع إلا بنسـبة متدنيـة جـدا مـن عنـاصر الطهـر والسـمو والنقـاء ان لم تنعـدم عنـد الكثير منهـم وذلك بسـبب ضعـف الضمـير الدينـي الـذي هـو المنبـع لهـذه الصفـات ان لم نقـل انعدامـه. مـن هنـا تجـد المشـهد القائـم عـلى مـسرح احـداث ذلـك الزمـان قاتـم ولونـه ظـلام حالـك، تنعـدم فيـه الملامـح الفنيـة وروح الحيـاة تـكاد ان تكـون معدومـة، فالفـرد فيـه لا يفهـم معنـى الإنسـانية الرسـالية ولا المبـدأ النبيـل، النظـام الأسري يعتـبر الانثـى فيـه مصـدر عـار ان وضعتهـا الام تلقاهـا الاب كـما صـور الـرب جـل شـأنه بهيئـة المسـود وجهـه كظيـم، وهـذا التاريـخ بـكل صفحاتـه يحدثنـا عـن مأسـاة وأد البنـاة والتـي تعـد في ذلـك الزمـن مفخـرة يتباهـى بهـا القـوم، وهـذا غيـض مـن فيـض لصـور الواقـع الاجتماعـي الـذي

بيروت، ط الثانية – ١٩٨٩م، ح١، ص ٣٦٢.

(١) القرشي: عباس محمد، حماسة القرشي (ت: خير الدين محمود قبلاوي)، الناشر: وزراة الثقافة، الجمهورية السورية – ١٩٩٥م، ص١٠٨. متوفى عام ١٢٩٩هـ.





انتفض الإسلام عليه، نعم وقف المشروع الإسلامي امام هذا الركام الكبير من تلك المظاهر بكل ما يملكه من قوة، والاسلام ثورة عارمة أخذت على عاتقها التغيير بكل مفاصل هذه الحياة من دون استثناء وقد سجل التاريخ الكفاح الدامي الذي خاضه الإسلام برجاله المخلصين لانتزاع تلك الرواسب والعمل على تذويبها من نفوس الناس ذلك لما لهذه الرواسب الجاهلية من رسوخ، لذا كان يتطلب الأمر جهود مكثفة لتصحيح الكثير من تلك المسارات والأخلاقيات بحاجة الى تحولات اجتماعية من مرحلة (الجاهلية) الى (الاسلام) وتبدلات لأبناء ذلك المجتمع، يعلن فيها الفرد انقلابا وكفرا بتلك السلوكيات وعلى مختلف الاصعدة، ولا يكون ذلك إلا وفق منهج اسلامي متين وبإشراف من رسول النبي صلى الله عليه وآله الرائد والقائد لهذه المسيرة فانطلق النبي صلى الله عليه وآله بحركته الحضارية التي رسمها القران وسط ذلك الوضع فقال عز من قال في محكم التنزيل: هو الذي بعث في الاميين رسولا منه يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل في ظلال مبين(١)، ولكن يجب أن لا نغفل عن أن هذه الحركة تحتاج الى مديات زمنية تكفي لتطبيق مشروع الإسلام التغييري في الناس، فالزمن ليس بمنفك عن هذا الشمروع وهذه الحركة وخصوصا اذا ما علمنا بقاء الكثير من تلك الترسبات الجاهلية في اذهان الكثير منهم، فلازال منهم من يرى ابا سفيان ذلك الجاهلي بصورة زعيم

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٢



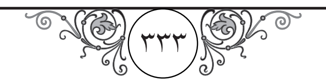
قريش وسيدها رغم عيشه في أجواء الإسلام التي فضحت ابو سفيان ومن يجري مجراه كما يروي مسلم في صحيحه[1]، بل تجد في بعض النصوص التي حفظتها كتب الحديث والتاريخ ما يؤكد معانات النبي من حزب المنافقين وتخوفه منهم فقد نص المؤرخون بقولهم: المأخذ الدائم الذي يؤخذ على الأمويين هو أنهم كانوا أصولا وفروعا اخطر أعداء النبي صلى الله عليه وآله، وإنهم اعتنقوا الإسلام في آخر ساعة مرغمين[2]، والنبي انما هو بشر مرتبط بأجل عاش فيه زمن الدعوة ممتدا الى ثلاث وعشرين عاما فهل تكفي هذه المدة يا ترى في ذاك التغيير أم دور النبي مؤسسا ولابد ممن يكمل هذا المسير والله عز اسمه يقول: انما انت منذر ولكل قوم هاد[3]. من هنا ومن خلال هذه المقدمات كان لابد من النبي ان يطيل الفكر في أمر الأمة من بعده والتفكير بالشخص الذي من شأنه ان يصون المشروع الإسلامي والحفاظ عليه وترسيخه أكثر فأكثر بين الناس ويأخذ زمام هذه المهام من بعد النبي صلى الله

---

(١) فقد أورد مسلم هذه الحادثة بقوله: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها قال فقال أبو بكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ٦ فأخبره فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر فقال يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا لا يغفر الله لك يا أخي. ينظر النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (تح: محمد فؤاد عبد الباقي)، الناشر: دار احياءالتراث العربي – بيروت، ج٤، ص١٩٤٧.

(٢) محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين(تح: سامي الغريري)، الناشر دار الكتاب الإسلامي، ط الأولى، ١٤٢٦هـ، مط: ستار، ص ١٠٩.

(٣) سورة الرعد: الآية ٧.



عليه وآله، والنبي صلى الله عليه وآله قد وضع هذا كله في حساباته وبأمر من الوحي، ولابد من أن الزعامة والامامة والقيادة والريادة ان تنتقل للأمثل من قومه، فصرحت السماء وأفصحت بشخص علي عليه السلام اماما وقائدا وخليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولعل السؤال لماذا (علي) عليه السلام دون غيره وقبل الاجابة على ذلك اقول ان يوم الغدير استفاضت اثاره وظلاله على العالم فملأ أسماع الدنيا صداه ذلك بأنه الحامل لأخطر عنوان يمثل المشكلة الأساسية التي تلازم الإنسانية في مسيرتها، منذ ولادتها حتى اللحظة الأخيرة من عمرها، تلك المشكلة تتجسد بحاجة البشرية دائما إلى من يصلح لقيادتها، وقد سُئل الباقر عليه السلام لأي شيء يحتاج إلى النبي والإمام؟ فقال صلى الله عليه وآله (لبقاء العالم على صلاحه وذلك إن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام، قال الله عز وجل[1]، وعلى كل قاريء لحدث الغدير ومادته التي تحكي عن الولاية والامامة ببعديها العلمي والتاريخي واعيا بكل التصورات لهذين العنوانين كمظهر للقيادة والخلافة، هاتين المفردتان التي تعد أهم مكسب مصيري ليس للمتدينين فحسب سواء الماضون أم المعاصرون وإنما هو ما تتأمله الإنسانية بشكلها العام في حركة الزمان الماضي أم الحاضر أو المستقبل، وان الشخصية التي تتمتع بهذا المنصب الرباني تمثل الركيزة الأم، فتندك عندها كل الجوانب، وتنتظم

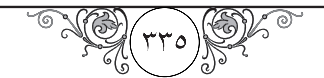
(١) المجلسي، بحار الأنوار، الناشر: مؤسسة الوفا بيرت، مط آثار، ط الأولى ١٤٢٧هـ، ج٢٣، ص١٩.

في خدمتها مختلف الطاقات والقابليات، كلامها إمام الكلام، لا تعرف في معاجم قواميسها (لا) إذا قصدها الناس وجدت عندها علاج مشاكلها وحلول أزماتها، على اختلاف تلك الازمات وتعددها، وما تلك الصورة إلا صنف ممن اجتباهم الله من خلقه فكانت لهم بحق القيادة والسيادة والريادة، أعني محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، وقد قيل للخليل بن أحمد الفراهيدي ما الدليل بأفضلية علي أمير المؤمنين على غيره فقال: احتياج الكل إليه واستغناؤه عنهم دليل على انه إمام الكل[1]. وقد ورد من الاثر عن سيد البشر قوله في علي عليه السلام: عن جابر بن عبد الله الأنصاري (٢) قال: قال رسول النبي صلى الله عليه وآله: أقدم أمتى سلما، وأكثرهم علما، وأصحهم دينا، وأفضلهم يقينا، وأكملهم حلما، وأسمحهم كفا، وأشجعهم قلبا، على، وهو الإمام على أمتى[2]. وقد ازدحمت المكتبة العربية بالمصنفات الحديثية والتاريخية[3]، التي كتبت في احصاء فضائله وبيان رتبته حتى ورد عن احمد بن حنبل

(١) محبوبة: د مهدي، ملامح من عبقرية الإمام علي ٧ (تقديم: هاشم الباججي) الناشر: العتبة العلوية- قسم الشؤون الفكرية - ٢٠١٢م، مط العارف- بيروت، ص١١٣.

(٢) القندوزي: سليمان بن ابراهيم الحنفي، ينابيع المودة لذوي القربى (تح: سيد علي جمال اشرف)، الناشر والطبع: دار اسوة - قم، ١٤١٦هـ، ج١، ص١٨٠.

(٣) ينظر: فضائل أمير المؤمنين للحافظ ابن عقدة المتوفى ٣٣٢ه؛ والمناقب للخوارزمي المتوفى ٥٨٦هـ؛ وكتاب المناقب لابي الحسن علي بن محمد الواسطي الشافعي المتوفى ٤٨٣هـ؛ وكتاب مناقب الإمام علي للمحب الطبري المتوفى ٦٩٤هـ؛ وكتاب البيان الجلي في افضلية مولى المؤمنين علي لابن درويش الاندونيسي؛ ومناقب الإمام علي لابي بكر احمد بن موسى المتوفى ٤١٠ه؛ وكتاب كشف اليقين للعلامة الفذ ابن المطهر الحلي المتوفى ٧٢٦هـ.





قوله: ما جاء لأحد من أصحاب رسول النبي صلى الله عليه وآله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب[١]. وقد أورد صاحب الاستيعاب حشدا من الاخبار في علم علي عليه السلام دون منافس منها ماعن يحيى بن معين عندما سُإل: أكان في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أحد أعلم من علي قال: لا والله ما أعلمه[٢]. وعن ابن عباس قوله: والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر[٣]. وقد أورد القندوزي مسندا الى رسول النبي صلى الله عليه وآله مشخصا للوصي من بعده بقوله: وإني أوصيت الى علي، وهو أفضل من أتركه من بعدي[٤]. ولا نريد للحديث إن انتهى الى فضائل علي عليه السلام أن يطول حيث لاحت تلك الفضائل كالشمس في رابعة النهار فهي لا تخفى إلا على منطمس البصيرة ولا يتنكر لها إلا فاسدة الطينة والسريرة، ولكن القول بعد هذا كله أوليس يتحتم على النبي صلى الله عليه وآله أن يقلقه أمر المشروع الإسلامي أم الواقع الاجتماعي للناس، أو ليس النبي صلى الله عليه وآله كان محقا أن يحشد الجماهير ليفصح

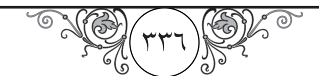
---

(١) الحاكم: محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين (تح: مصطفى عبد القادر عطا)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيرت، ط الأولى ١٤١١هـ، ج٣، ص١١٦، النسخة بتعليق الذهبي.

(٢) القرطبي: ابي عمر يوسف بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ط الثانية- ١٣٣٦هـ، مط: دائرة المعارف النظامية - حيدر اباد، ج٢، ص٤٦٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٦٢.

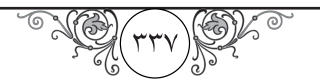
(٤) القندوزي: سليمان بن ابراهيم الحنفي، ينابيع المودة لذوي القربى، ح٢، ص٢٨٨.



بشخص الولي من بعده خوفا من أن يأخذ المنافقون دورهم في تشتيت أمر الأمة وما زال قسم منهم كبير ظاهر ومتخف فصاحب المستدرك يورد ما نصه: وعن علي عليه السلام في قوله عز وجل (وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال: هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، قال المصنف: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد علق الذهبي على هذا الحديث بقوله في التلخيص: صحيح[١]. ولا نريد للحديث في شأن مقام علي عليه السلام وفضائله أن يطول، لأن فضائله لاحت كالشمس في رابعة النهار لا يتنكر لها إلا فاسد الطينة والسريرة ومنطمس البصيرة، ولكن بعد عرض هذا الواقع الاجتماعي ومظاهر القلق التي كانت تهدد المشروع الإسلامي من الإنهيار بوجود الاعداء والمنافقين وقد نوه النبي صلى الله عليه وآله ببعضهم بقوله: وإن أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم، وقد علق الذهبي عليه بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٢]، وهنا افلا تكون واقعة الغدير وما نتج عن مخاضاتها من نصوص هي متطلب اجتماعي وفي الوقت نفسه صيانة للمشروع الإسلامي بضرورة اتخاذ كل التدابير والاحتياطات التي تضمن سلامته بسلامة اختيار الخليفة والقائد الامثل وقد أظهر النبي صلى الله

(١) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، مستدرك على الصحيحين (تح: مصطفى عبد القادر عطا) وبتعليق الذهبي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ، ج٢، ص٣٨٣. ومثله قول عمر بن الخطاب الذي ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف لهذه الآية.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٣٤.



عليه وآله غاية الحكمة في مخططاته الإدارية التي عالج بها أمر الغدير، بقي ان نشير الى أن الشواهد التي استقيناها من قائليها على أن الشيعة زادهم الله شرفا في تمسكهم بعلي انه الصراط المستقيم لم يكن شأنا تفردوا به وانما هو إقرار السابقين من علماء الإسلام عامة في ذلك فقد ورد عن المفسر الفخر الرازي قوله: ومن اتخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه. وقوله ايضا: ان الذي يقتدي في افعاله بعلي فقد اهتدى والدليل عليه النبي صلى الله عليه وآله: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار(١). ولله الأمر من قبل ومن بعد. تم الفراغ من هذه الاوراق وأنا في جوار الامامين الهمامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد عليهم السلام وأنا مستجير بهم حيا وميتا راجيا من الله ان يوفقني لشفاعتهم وشفاعة آبائهم وأبنائهم وهو أقصى المراد يوم الورود إنه سميع مجيب.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم

- ابن ابي شيبة (ت ٢٣٥هـ)

مصنف ابن ابي شيبة (تح: كمال يوسف الحوث)، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

- ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ)

---

(١) الفخر الرازي، تفسير الكبير، الناشر والمحقق: دار احياء التراث العربي- بيروت، ط الرابعة - ١٤٢٢هـ، مج١، ج١، ص١٨٠، ص١٨٢.

كشف المشكل من حديث الصحيحين (تح: علي حين البواب)، الناشر: دار الوطن - الرياض - ١٩٩٧م.

- ابن كثير: اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)

تفسير ابن كثير(تح: سامي محمد سلامة)، الناشر: دار طيبة، ط الثانية - ١٩٩٩م.

- ابن خلدون (

مقدمة العلامة ابن خلدون (مراجعة لجنة من العلماء)، الطبع والنشر: مكتبة ومطبعة: مصطفى محمد - شارع محمد علي - مصر.

- الاصبهاني ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)

حلية الأولياء، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، ط الرابعة ١٤٠٥هـ.

- الالوسي:السيد محمود ابو الثناء (ت ١٢٧٠هـ)

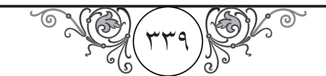
تفسير روح المعاني، ط الأولى - ١٣٠١هـ، مط: بولاق - مصر.

- الاميني: الشيخ عبد الحسين بن احمد النجفي (

الغدير في الكتاب والسنة والادب، الناشر دار الكتب الإسلامية - ١٣٦٦هـ - طهران، مط: حيدري.

- الترمذي: محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)

الجامع الصحيح (تح: احمد محمد شاكر)، الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت.



- الحلبي: علي ابن برهان (ت ١٠٤٤هـ)

السيرة الحلبية، مط: محمد علي صبيح واولاده - ميدان الازهر - ١٩٣٥م.

- الحسيني: السيد محمد علي هبة الدين (ت١٣٨٦هـ)

رسالة غديرية (تح: د الشيخ عماد الكاظمي)، الناشر: مركز احياء تراث السيد هبة الدين، العراق الصحن الكاظمي، ط الأولى - ١٤٣٣.

- الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)

المستدرك على الصحيحين (تح: مصطفى عبد القادر)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى.

- الخرسان: عبد المطلب

حديث المنزلة اسانيده موارد صدوره، ط الثانية -٢٠١٢م.

- الخطيب البغدادي: احمد بن علي (ت٤٦٣هـ)

تاريخ مدينة السلام (تح: د بشار عواد)، النشر والطبع: دار الغرب الإسلامي، ط الأولى: ١٤٢٢هـ.

- الذهبي: احمد بن محمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)

تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الاعلام (تح: د عمر عبد السلام تدمري)، النشر والطبع: دار الكتاب العربي - بيرت، ط الثانية - ١٩٩٣م.

- الذهبي: محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ)

تذكرة الحفاظ، مط: مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر اباد، ١٣٣٣هـ.

- الشيباني: احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)

مسند احمد (تذييل شعيب الارنؤوط)، الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة.

- شمس الدين محمد مهدي (ت٢٠٠١م)

ثورة الحسين (تح: سامي الغريري)، الناشر دار الكتاب الإسلامي، ط الأولى، ١٤٢٦هـ، مط: ستارة.

- الطائي نجاح

سيرة الإمام علي عليه السلام، الناشر: دار الهدى - بيروت، ط الأولى: ٢٠٠٣م.

- الطباطبائي: السيد عبد العزيز (ت١٩٩٦هـ)

الغدير في التراث الإسلامي، الناشر والطبع: مركز الابحاث العقائدية - قم.

- الطبراني: احمد بن سليمان (ت٣٦٠هـ)

المعجم الاوسط (تح: طارق بن عوض الله)، الناشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥هـ.

- الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)





تاريخ الطبري، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى - ١٤٠٧هـ.

- العمري: اكرم بن ضياء.

عصر الخلافة الراشدة، الناشر مكتبة العبيكان

- الفخر الرازي: محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)

تفسير الكبير، الناشر والمحقق: دار احياء التراث العربي- بيروت، ط الرابعة - ١٤٢٢هـ.

- القرشي: عباس محمد (ت١٢٩٩هـ)

حماسة القرشي (تح: خير الدين محمود قبلاوي)، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية السورية - ١٩٩٥م.

- القرطبي: ابي عمر يوسف بن عبد البر (ت٤٦٣هـ)

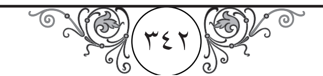
الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ط الثانية- ١٣٣٦هـ، مط: دائرة المعارف النظامية - حيدر اباد.

- القندوزي: سليمان بن ابراهيم الحنفي (ت١٢٩٤هـ)

ينابيع المودة لذوي القربى (تح: سيد علي جمال اشرف)، الناشر والطبع: دار اسوة - قم، ١٤١٦هـ

- الليثي: ابو عمر خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ)

تاريخ خليفة ابن خياط (تح: د أكرم ضياء العمري)، الناشر: دار القلم - مؤسسة الرسالة، دمشق - - بيروت، ط الثانية، ١٣٩٧هـ.



- المجلسي: محمد باقر (ت١١١١هـ)

بحار الأنوار، الناشر: مؤسسة الوفا بيرت، مط آثار، ط الأولى ١٤٢٧هـ.

- محبوبة: د مهدي بن محمد حسين (ت١٩٩١م).

ملامح من عبقرية الإمام علي عليه السلام (تقديم: هاشم الباججي) الناشر: العتبة العلوية- قسم الشؤون الفكرية- ٢٠١٢م، مط العارف- بيروت.

- المفيد: محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ)

الارشاد (تح: مؤسسة ال البيت: - قم)، الناشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط الأولى - ١٤١٣هـ، مط: مهر - قم.

- هيكل: محمد حسين (١٩٥٦م).

حياة محمد، الطبع والنشر: مطبعة مصر، القاهرة، ط الأولى، ١٣٥٤هـ.

المحتويات

